جزيرة العرب

تاريخيا، ثقافيا وجغرافيا

الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
(رئيس ندوة العلماء العام)

تعريب
محمد فرمان الندوي
(أستاذ كلية اللغة العربية وآدابها، بدار العلوم لندوة العلماء، لكناؤ)

المجمع الإسلامي العلمي – لكناؤ – الهند

حقوق الطبع محفوظة

من مطبوعات المجمع الإسلامي العلمي
لكناؤ (الهند) (رقم:٣٦٧)

الطبعة الأولى

ربيع الأول ١٤٣٩ هـ - ديسمبر ٢٠١٧م

اسم الكتاب :	جزيرة العرب تاريخياً، ثقافياً وجغرافياً
اسم المؤلف :	الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
اسم المعرب :	محمد فرمان الندوي
عدد الصفحات :	٢٢٤
العدد :	١١٠٠
سعر النسخة:	٢٠٠ روبية
الناشر :	المجمع الإسلامي العلمي (الهند)
العنوان :	ندوة العلماء ،لكناؤ
الهاتف :	0522-2741539
	Email:info@airp.org.in
	airpnadwa@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

محمد واضح رشيد الحسني الندوي
سكرتير المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ
رئيس الشئون التعليمية لندوة العلماء، لكناؤ (الهند)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين خاتم النبيين سيدنا محمد بن عبد الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فإن جزيرة العرب لها أهمية تاريخية، ولموقعها الخاص؛ لأنها تقع في وسط العالم، ولموقعها الجغرافي حيث تحيط بها مناطق ذات الأهمية التاريخية والسياسية، ولها أهمية دينية لوقوع أول بيت وضع للناس فيها "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ" (آل عمران: ٩٦) فتتوجه أفواج من عازمي العمرة والحج إلى هذه المنطقة المقدسة، وتقضي مدة فيها.

تشتمل هذه الجزيرة على مناطق مجدبة، ومناطق آهلة بالسكان، وتوجد في مختلف مناطقها قبائل لها تاريخ، وخاصة يوجد فيها مهد اللغة العربية التي أصبحت لغة عالمية، وهي لغة القرآن الكريم، ولكن مناطقها تختلف في الطبيعة وطبائع سكانها، وفيها مناطق صحراوية، ومناطق تتصف بجمال الطبيعة، حتى قال شاعر:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادني مسراك وجداً على وجد
أأن هتفت ورقاء في رونق الضحى
على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن جزوعا
وأبديت الذي لم تكن تبدي

وقال شاعر:

تمتع من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار

فتختلف الجزيرة عن غيرها في الطبيعة، فيها أودية، وجبال عالية، وجرداء، وجبال مغطاة أو مقفرة، ومواضع مياه، ومواضع خالية، وأماكن القبائل البائدة، والقبائل التي عُرفت بأرحاء العرب،

وقبائل متنقلة تخلف أطلالاً ذكرها الشعراء في شعرهم كما قال امرؤ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمأل
ترى بعر الأرآم في عرصاتها
وقيعانها كأنه حب فلفل

وقال:

وواد كجوف العير قفر قطعته
به الذئب يعوي كالخليع المعيل

وقال طرفة بن العبد:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وفيها أباطح كما ذكر كثير عزة:

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسّح بالأركان من هو ماسح
وشُدّت على حدب المهارى رحالنا
ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطيّ الأباطح

ولكل قبيلة من قبائل العرب مفاخر تعتز بها، وقد جرت قبل الإسلام حروب طويلة، ذكرها الشعر العربي والأدب العربي القديم، ولا يمكن فهم هذه الثروة الأدبية قبل الإسلام وبعد الإسلام حتى السيرة النبوية الشريفة التي فيها ذكر الأماكن والقبائل لا يمكن فهمها فهماً صحيحاً بدون معرفة طبيعة هذه الجزيرة وتاريخها، فلا تفيد هذه المعرفة في فهم الأدب العربي القديم وخاصة الشعر العربي الجاهلي والإسلامي، بل تفيد في فهم وقائع السيرة النبوية والحديث النبوي الشريف.

قام شقيقي الأكبر الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

(الرئيس العام لندوة العلماء) بتدريس الأدب العربي مدةً طويلةً، وقام بتدريس السيرة النبوية الشريفة كذلك، فأدرك الشيخ ضرورة معرفة جغرافية الجزيرة العربية وأهميتها، فألّف هذا الكتاب، ليس من الناحية الجغرافية فحسب، بل جعله مصدر الأدب العربي؛ فنال الإعجاب والقبول من الذين طالعوا هذا الكتاب من هذه الناحية كالأديب الأردي الشهير الشيخ عبد الماجد الدريابادي والكاتب والصحفي المعروف باللغة الأردية ماهر القادري، فهو كتاب أدبي لأصحاب الذوق الأدبي، وتاريخي لأصحاب الذوق التاريخي، وجغرافي لأصحاب الذوق الجغرافي، فليس كتاباً من الكتب الجغرافية، بل فيه تأثير أدبي أيضاً لاستشهاد المؤلف بالنصوص الأدبية بكثرة.

فالذي يدرس الأدب العربي شعره ونثره في أشد حاجة إلى معرفة طبيعة تلك البلاد المتنوعة، وبدون الاستفادة من هذه المعرفة يصعب عليه فهم النصوص، كذلك دارس السيرة النبوية، وتاريخ العهد الأول من الإسلام الذي يشمل ذكر الأماكن وظروف الحياة وطبائع القبائل، يجد في هذا الكتاب بغيته.

كان هذا الكتاب بالأردية ونال القبول في الأوساط الأدبية والعلمية، ونقله إلى العربية الدكتور محمد فرمان الندوي الذي نقل عدة كتب من الأردية إلى العربية، وقد راعى في هذه الترجمة الأسلوب الذي يقتضيه موضوع الكتاب، وهو تاريخي وأدبي وجغرافي، ليستفيد به القراء العرب، والله ولي التوفيق.

محمد واضح رشيد الحسني الندوي
رئيس الشئون التعليمية لندوة العلماء، لكناؤ (الهند)

١٤٣٨/١١/٢٠هـ
٢٠١٧/٨/١٣م

كلمة المؤلف للطبعة العربية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فإن عنوان جزيرة العرب اختصار لمصطلح شبه جزيرة العرب لبقاع عربية، تشتمل على الحجاز ونجد، وما يجاورها من بقاع ساحلية حولها، وتوصف بشبه الجزيرة، لأهم بقاعها هي الحجاز ونجد وما يجاورهما محاطة من ثلاث جوانبها بالبحر، ومن هذه الناحية تسمى بقاعها بشبه جزيرة العرب، وللاختصار يسميها الناس بجزيرة العرب، أما الجانب الشمالي منها فمتصل بالبر الشمالي منها، ويمر من خلاله شرقاً وغرباً بالأنهار، وبناءً على ذلك تكاد تعد جزيرة.

وبقاع جزيرة العرب هذه هي أهم بقاع الأرض، لكونها محلاً لبيت الله الحرام، وهو أول مسجد أرساه أول إنسان، وهو سيدنا آدم عليه السلام، وصار بلده وطناً لآخر أنبياء الله سيدنا محمد بن عبد الله القرشي الإسماعيلي الإبراهيمي نسباً، وأعظم مركز لعبادة الله تعالى في الأرض، وكان هذا البلد الكريم قد صار بعد آدم عليه السلام أرضاً قاحلة غير عامرة، واستمرت مغمورة على مر الزمن، فأمر الله بتجديدها بيد أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام، وولده سيدنا إسماعيل عليه السلام وأمه، ومنذ ذلك الوقت أصبحت مقصداً يقصد إليها المؤمنون لزيارتها وأداء العبادة فيها، وذلك بعد ما أسكن فيها سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام، ونشأت فيها ذريته، واستمر بذلك هذا المركز الأول لعبادة الله تعالى مزوراً وعامراً، وأصبح أولاده الذين وُلدوا منه مأمورين بالمحافظة لمسجدها المحرم من الله تعالى، ولزيارة عباد الله تعالى من أنحاء العالم، لكونه المسجد المقدس ومركزاً عالمياً لعبادة الله تعالى خالداً وأبداً، ولأهمية مركز العبادة هذا أصبح للمؤمنين وللزائرين مُهماً من ناحية أماكنها المختلفة وأسمائها ومواضعها.

ورغم الخصيصة الدينية لهذه المنطقة المقدسة وكونها محل الزيارة والعبادة بقيت قليلة الخضرة وقليلة أسباب المعيشة، لكونها

قاحلة في غالب بقاعها، ولكن الله تعالى لما خصها بالزيارة الدينية وهي الحج والعمرة، فيزورها آلاف المؤمنين كل سنة، وخلال أيام السنة فصارت عامرة من هذه الناحية، وهي تتوب عن قلة خضرتها وحصول أسباب العيش المادية، ولكنها لأهميتها الدينية تحتاج أن يعرفها ويعرف أهميتها المؤمنون بالله تعالى، ليستفيدوا بها في طلبهم لرضا الله تعالى، وتقديم عبادتهم له، التي تتصل بهذه البقعة الأرضية.

وبناء على هذا السبب أمرني خالي الشيخ السيد عبد العلي الحسني رئيس ندوة العلماء وأخوه خالي الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي أن أدرس أحوال ما يتصل بهذه البقاع، من صفات وأحوال جغرافية وتاريخية ودينية، وأجمعها وأقدمها لمن يريد أن يعرف هذه الجزيرة معرفة جيدة، معرفة لا بد منها لكل مسلم، فقمت بهذا العمل، وقدمته باللغة الأردية، وكانت الحاجة أن ينقل إلى لغات إسلامية أخرى لبلدان يسكنها المسلمون، ومن أهمها اللغة العربية ليستفيد منها طلاب العلم والمهتمون بالعبادة من المسلمين ويجدوها في مكان واحد يعني في كتاب خاص بها، وتحصل لهم معرفتهم.

ونحمد الله تعالى على أن هذا الكتاب نال قبولاً في أوساط العلم الإسلامية، ورأى أحد أساتذة دارالعلوم لندوة العلماء، وهو الأخ محمد فرمان الندوي ضرورة نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية، وهو متخصص في هذه اللغة كذلك، فنقله إلى العربية، وسد بذلك هذه الحاجة التي يرى أهميتها المهتمون بهذه البقعة المقدسة، وقد أحسن هذا العمل، وأرى أن الاستفادة بهذه المعلومات المشتمل عليها هذا الكتاب تتسع اتساعاً، ويطلع بها الدارسون والمهتمون بهذا الموضوع بصورة واسعة.

وأدعو الله تعالى بالتوفيق والقبول – وله الحمد أولاً وآخراً.

١٤٣٨/١١/٥هـ — محمد الرابع الحسني الندوي

٢٠١٧/٧/٢٨م — ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)

التقديم

بقلم: سعادة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي
مدير دارالعلوم لندوة العلماء، ورئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي، لكناؤ

الحمد رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فقد اختار الله تعالى الجزيرة العربية (شبه جزيرة العرب) لبعثة إنسانية كبيرة وإنقاذ العالم البشري من حياة غير طبيعية، والعودة بالإنسان إلى العيش المطلوب من رب العالمين، فقد كان العالم بكامله قد انحرف عن سيره الطبيعي، وانضم إلى المجموعات التي كانت تعيش على هامش الحياة، وبوحي من النفس الأمارة بالسوء.

فقد كانت الفترة بعد الرسالة المسيحية طويلة أكثر من خمس مأة عام، فكانت المجموعات البشرية قد تحولت عن سيرتها الأصيلة، ووقعت فريسة الأفكار الباطلة والأوضاع السيئة، فانتشر الفساد في كل منحى من مناحي الحياة وأصبح اللون الغالب عليها، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يبدّل الأرض غير الأرض، ويبعث آخر دين مع آخر نبي، لآخر أمة تكون خير أمم الأرض السابقة، ويتم إخراجها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع خاتم النبيين والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، الذي بعثه الله تعالى في الجزيرة العربية وبلده الأمين مكة المكرمة، حيث بيته العظيم الكعبة المشرفة، التي بناها بأمره تعالى نبيه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في وسط الأرض، بحكمة ربانية خالدة دائمة مستمرة، ومنذ ذلك الوقت أعلن الله سبحانه أن الإسلام هو الدين المنزل من الله تعالى على نبيه الأخير صلى الله عليه وسلم، وهو قائم بنظامه الكامل للناس إلى يوم الدين: (ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا). (المائدة: ٣).

ومن ثم أصبحت الجزيرة العربية موضع اهتمام المسلمين في العالم كله، ونالت من الأهمية الكبيرة التي لم يحظ بها أي بقعة من العالم من حيث المركز الديني لمسلمي العالم أجمع، وقبلة المسلمين

على المستوى العالمي، وقد رزق الله هذه الجزيرة من العزة والكرامة، وكساها من الهيبة والجلالة وجعلها مفخرة العالم الإسلامي كله ما لم يؤت غيرها من بقاع العالم في أي زمن مضى، وقد زينها ورفع شأنها بالحرمين الشريفين، وشرفها بأداء فريضة الحج فيها، وأغناها بنعمه الوافرة الكثيرة، مما هي مغبوطة لدى العالم البشري أجمع.

وبالنظر إلى قدسيتها وغناء تاريخها أقبل المؤرخون على تحقيق تاريخ الجزيرة العربية وتسجيل آثارها وديارها ومفاخرها ومعادنها ورجالاتها، من العظماء والعلماء والصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان.

وقد وفق الله سبحانه وتعالى سماحة الشيخ الجليل العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي (رئيس ندوة العلماء اليوم) منذ أكثر من خمسين عاماً إلى أن يسجل معلوماته عن الجزيرة العربية، ويملي إفادات هذه الجزيرة وتاريخها المشرق بأسلوب سهل واضح مبسط، باللغة الأردية، وقد حظيت هذه المعلومات التاريخية الجميلة بالطباعة، باسم كتاب (تاريخ جزيرة العرب)، وكان الكتاب متداولاً بين الأوساط العلمية والأدبية، وكان إحدى المواد المقررة في مناهج دارالعلوم التعليمية، وقد زاد فيه المؤلف الكبير على مر الأيام وفق المستجدات التي حدثت على مر الأيام، فأصبح معلمة عن الجزيرة العربية باللغة الأردوية المتداولة في الهند وما والاها بين المجتمعات المسلمة وسكانها.

وقد بدا للأخ العزيز الفاضل الأستاذ محمد فرمان الندوي (أستاذ الأدب العربي بدارالعلوم لندوة العلماء) أن يقوم بنقل هذا الكتاب العظيم إلى اللغة العربية، وقد ساعده الله تعالى على ذلك، فأتم عملية النقل والترجمة بطريق حسن ولغة واضحة وأسلوب سهل، وإنني إذ أهنئه على هذا العمل الجليل أدعو الله سبحانه وتعالى أن يكرمه بالقبول الحسن. والله يحب المحسنين.

١٤٣٨/٠٩/٢٢هـ — سعيد الأعظمي الندوي

٢٠١٧/٠٦/١٨م — رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)

المقدمة

بقلم: العلامة الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فمن عادة الإنسان أنه يتعرف على البيت الذي وُلد فيه، والبلد الذي يعيش فيه، ويستطلع أحوال البلد وبيئته، وموقعه الجغرافي، والتضاريس الداخلية والخارجية وخصائص الرجال الذين يعيشون معه، وهذه إرادة فطرية مباحة، ودليل على حياة الإنسان ونضارته، إنَّ بيتنا وبلدنا الموقتين حيثما كانا، لكن موطننا الإسلامي وبلدنا الواسع من حيث كوننا مسلمين، العالم الإسلامي، وهو مركزنا الديني والروحي، ووكر أرواحنا وعقائدنا، ومهد حضارتنا الإسلامية ووطننا الحبيب الأثير جزيرة العرب، فمن مقتضيات المسلمين العقلية والطبيعية وواجباتهم الدينية والإسلامية أن يتعرفوا على هذا البلد الواسع ويطلعوا على عادات الناس الذين يعيشون في هذا البلد، ويعرفوا طرق ربحهم وخسارتهم، وقدرات معدنية، وخصائص طبيعية لهذه البلدان، إن المسلمين أينما كانوا لا ينبغي لهم أن ينفصلوا عن أحوال العالم الإسلامي وشعبه، ومما يؤكد حاجة التعرف على أحوال جزيرة العرب الجغرافية والطبيعية أن تاريخ الإسلام والسيرة النبوية له صلة قوية بهذه الأرض، فالذين يدرسون السيرة وتاريخ الإسلام بغض النظر عن هذه الأرض وجغرافية أمكنتها، ومساكن قبائلها، و(الحرمين الشريفين) مكة المكرمة والمدينة المنورة وما يحيطهما من أوضاع وأجواء يشعرون بأنهم قد دخلوا في نفق مظلم حالك، بل الواقع أن الاستفادة الكاملة من الحديث الشريف وفهم معانيه، ومعرفة نوعية القصص والوقائع لا يمكن إلا بمعرفة قليلة لجغرافية العرب وموقع هذه الأمكنة، وعلاقة بعضها ببعض على أقل تقدير، فمثلاً أين يقع خيبر؟ وأين موقع تبوك من المدينة؟ وهل يمكن ترحيب القادمين إلى المدينة المنورة بأنشودة ورد فيها: "طلع البدر علينا من ثنيات الوداع". وهل توافق هذه الأنشودة القادمين من مكة المكرمة أو القادمين من تبوك؟ ولماذا أمر أهل

المدينة في باب الطهارة بصرف وجوههم وأدبارهم إلى الشرق والغرب ؟ وما موقع مرّ الظهران الذي كثر ذكره في الحديث وخاصة في أحاديث الحج ؟ وبأي اسم يُعرف الآن، وأين موقع الطائف من مكة المكرمة ؟ وما علاقة حنين وأوطاس بهما ؟ وما الفرق بين بدر وأحد ؟ وما نسبة البعد بينهما من المدينة المنورة ؟ هذه وعشرات من الأسئلة لا تُحل إلا بمعرفة جغرافية الأمكنة المقدسة وأرض الحجاز، وبدون الاطلاع على هذه الدراسات الواسعة يكون طلاب الحديث الشريف والسيرة النبوية دائماً في ظلام، وعقدة عقلية، بل في كثير من المغالطات أيضاً.

إن دارس الأدب العربي لا يستطيع أن يقطع رحلته العلمية بنجاح، بدون الاطلاع على هذه المعلومات فضلاً عن طلاب الحديث الشريف والسيرة النبوية وتاريخ الإسلام الذي هو أولى وأهم لكل مسلم، ولماذا نبغ عدد كبير من الشعراء، وفطاحل الشعراء في أرض نجد، وكيف ازدهر شعر الغزل فيها بوجه خاص، وأين تقع أجا وسلمى ؟ وأين تقع قبيلة بني طي ؟ وأين كانت حكومات المناذرة وأهل الحيرة ؟ وكيف ازدهرت فيها الحضارة ؟ وما هي حدود تهامة ؟ ولماذا يُضرب المثل بليلها وبرودتها وروعتها ؟ وهذا وأمثاله من الأمور التي لا يغض عنها النظر طلاب ديوان الحماسة والمعلقات السبع والدواوين الجاهلية ؟ ولا يُدركون معانيها بفطانتهم ومقاييسهم، ولا يتذوقون معاني الإيماءات والإشارات اللطيفة التي تتكرر في شعر الشعراء العرب.

نظراً إلى هذه الأسباب، بل الحقائق التاريخية كان واجباً أن يؤلّف كتاب حول جغرافية العالم الإسلامي وجزيرة العرب، للمثقفين وأصحاب البصيرة من المسلمين عامة، ولطلاب المدارس الإسلامية وفضلائها وخريجيها، وهو لا يكون كتاباً تاريخياً وجغرافياً في المصطلح العام، بل روعي فيه كلام العرب، والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي والأدب العربي، وكان الكتاب قد ألف في ضوء المصادر القديمة والحديثة والأبحاث الجديدة.

أشكر الله عز وجل على أنه وفق الأستاذ السيد محمد الرابع الحسني الندوي لتأليفه، فقد أتى بهذا التأليف، وسدَّ به فراغاً كبيراً

في أوساط العلم والدين، وهو أستاذ الأدب العربي في دارالعلوم لندوة العلماء، وله شغف طبيعي بجغرافية العالم الإسلامي وجزيرة العرب، وقضى أكثر من عام كامل في الحجاز، وقام برحلات إلى العراق ومناطق مختلفة من خليج فارس وغيرها، ولا يزال يطالع الجرائد والمجلات العربية الحديثة، كما أن له إلماماً تاماً باللغة الإنجليزية، فكان جديراً بهذا العمل، وبعد دراسة هذا التأليف ظهر جلياً أنه حقق هذه الأمنية، أكثر مما يتوقع، وكان من سعادة حظه أيضاً أنه قد استفاد من خاله الجليل الطبيب الشيخ السيد عبد العلي الحسني (رئيس ندوة العلماء سابقاً)، والحقيقة أني لا أعلم أحداً في هذه الفترة أكثر اطلاعاً منه على جغرافية جزيرة العرب والعالم الإسلامي، وقد ألف كتاباً باللغة العربية حول جغرافية جزيرة العرب بجهد بالغ، وأعد خرائط مختلفة للعرب، وقام بتأليف هذا الكتاب وفقاً لمقررات ندوة العلماء، لكنه لم يتمكن من إتمامه حسب خطته ومنهج تأليفه، وكان في حاجة إلى مؤلفات جديدة، فلما طبعت وافاه الأجل المحتوم، ولم يتم هذا الكتاب، كنا نراجعه في جغرافية العرب وحل عويصاتها، وقد قرأ هذا الكتاب حرفاً حرفاً، بل أعد هذا التأليف حسب مشورته وتوجيهاته.

وقد طبع هذا الكتاب في عام ١٩٦٢م، وأدخل في مقررات دارالعلوم التابعة لندوة العلماء، وقد اعتبره أصحاب الفقه والبصيرة حاجة الساعة، وسعياً يوفي بفراغ كبير في المناهج التعليمية لمدارسنا الإسلامية، وقد تلقاه الشيخ عبد الماجد الدريابادي رحمه الله تعالى بتشجيع وتقدير بالغين، وإن هذا الكتاب وإن كان مؤلفاً قيماً باللغة الأردية على موضوعه على الأقل، ويحمل مكانة ينفرد بها إلى حد، لكن كانت المؤلفات والكتب والدراسات باللغة العربية حول هذا الموضوع، وكان المؤلف يشعر بزيادة وتفصيل وإجمال واختصار في ضوء دراسته وتجاربه العلمية، وهو علامة للحياة، وخصيصة العقل الواقعي المتطور، وهو شعار لكاتب بارز، وشرط لانتشار تأليفه القيم، فلما حان وقت الطبعة الثانية له بذل المؤلف جهده المستطاع في أن يجعل العهد النبوي محور كتابه ونقطة انطلاقه وفقاً لمقتضيات العصر، وقدم استعراضاً موجزاً للأدب الجاهلي والإسلامي أيضاً،

كما ذكر موازين وعملات العهد القديم بشيئ من التفصيل، وهي تكون زاداً لطلاب الحديث والفقه والمشتغلين بالسيرة النبوية، ولم يترك ذكر الفصول والبروج والكواكب والنجوم المشهورة وأسمائها المصطلحية، وتناول بذكر ثقافة العرب في العهد النبوي ومدى علمهم ودراستهم، وأكثر من ذكر المواضع المذكورة في السيرة النبوية وعهد الرسالة، وبالنظر إلى هذا جعل مقدار جغرافية العرب الجديدة وحالتهم السياسية قليلاً إلى حد، وسيأتي هذا الموضوع مفصلاً في الجزء الثاني من الكتاب، فصارت هذه الطبعة أكثر نفعاً وشمولاً، وأكثر إفادة وجمعاً للدراسات لطلاب الحديث والسيرة النبوية، والأدب العربي وتاريخه.

يمكن أن هذه السلسلة تنتهي في ثلاثة مجلدات، حسب الخطة التي توخاها مسئولو ندوة العلماء وواضعو مقرراتها التعليمية، على كل، فإن جزءها الأول الذي هو جزء مهم ورئيسي بين يدي طلاب المدارس العربية ومسئوليها وأساتذتها، كما أشعر وأقدر أن هذا الكتاب يسد فراغاً كبيراً في مجال العلم والتعليم – أو بتعبير أكثر حيطة – يملأ فراغاً، شعر به المؤلف أثناء أشغاله العلمية المرهقة، ومسئولياته المضنية، فيخشى أن هذا العمل يحتاج إلى إعادة النظر أيضاً.

نرجو أن أوساط العلم والتعليم تتلقى هذا الكتاب بترحاب كبير، ويُشير أهل الفقه والبصيرة على مؤلف الكتاب في تقديمه بحلة قشيبة وثوب جديد.

أبو الحسن علي الحسني الندوي
دارالعلوم لندوة العلماء، لكناؤ (الهند)

٢٧/جمادى الأخرى/١٤٠٢هـ
٢٢/أبريل/١٩٨٢م

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي كفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فإن إعداد كتاب حول الجغرافية يحمل مسئولية ضخمة، ويقتضي جهداً كبيراً، ويحتاج إلى إمكانيات كثيرة، فيؤدى حقه إلى حد، قبل أربع أو خمس سنوات حينما كلفت لإعداد مؤلف حول العالم الإسلامي قال لي خالي الأكبر الطبيب السيد عبد العلي الحسني (رحمه الله): هذا العمل يتطلب جهداً خاصاً ووقتاً لا بأس به، ويتم في ثلاث سنوات على الأقل، لم أكن أشعر كثيراً في البداية بصعوبة هذا التأليف وخطورته، فحملت كلام خالي الجليل على المبالغة، لكن التجربة أثبتت أن ثلاث سنوات لا تكفي لهذا العمل، ولم أتمكن من إنجازه بعد أربع سنوات أيضا إلا ثلثه، أي قد أكملت جغرافية جزيرة العرب فقط في العالم الإسلامي كله.

وإن تأليف جغرافية جزيرة العرب كان يتطلب جهداً مضنياً، وتفصيلاً كثيراً في العالم الإسلامي، لأن أحوالها ودراساتها بالنسبة إلى بقية العالم الإسلامي لا توجد إلا ناقصة وقليلة، ذلك لأن هذه المنطقة التي تشتمل على الحجاز ونجد ومناطق مجاورة لها لم يعتن بها الباحثون الجدد في الجغرافية إلا قليلاً، فإن هذه المناطق صعبة عامة، ومسكونة قليلاً، وبعيدة من الحضارة الحديثة والمناطق المتطورة.

إن المهمة التي عزمت على إنجازها كان جل عنايتي فيها بأن تذكر أحوال العالم الإسلامي بحيث تكون عوناً في دراية قصص السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، وأقول بكل أسف: قلما اعتنى العلماء والمؤلفون بهذا الجانب، فكان أهل العلم وطلاب المدارس قاصرين في تعيين أمكنة السيرة النبوية وتاريخ الإسلام عامة.

بدأت هذا العمل الجغرافي توخياً لنيل هذه الغاية، وقد تم جزؤه الأول في أكثر من ثلاث مأة صفحة، أرجو أنه سيسلط ضوءً كاشفاً على تاريخ جزيرة العرب بإذن الله تعالى، وسيكون هذا العمل مبعث سعادة وفخر بالغين لي بإذن الله تعالى، أحمد الله تعالى على أني قد زرت بعض البلدان المذكورة في الكتاب، فاستفدت من هذه الزيارات في إعداد هذا الكتاب، حاولت في هذا الكتاب أن أذكر الدراسات

الموثوق بها، فاضطررت إلى أن أدرس الكتب باللغات الثلاث (العربية – الأردية – الإنجليزية)، التي تكون عوناً لي في هذا الموضوع، وكان اعتمادي في هذا على الكتب التي تعتبر من المصادر في الأوساط العلمية، وقد ذكرت في آخره قائمة الكتب التي استفدت منها، وأخذت منها بعض المقتطفات، أما الكتب والمؤلفات التي استفدت منها كثيراً فمنها فجر الإسلام للدكتور أحمد أمين، ومهد العرب للدكتور عبد الوهاب عزام، وجغرافية البلاد العربية للأستاذ بسام كرد علي وإخوانه، ومذكرة صادرة من لندن، وهي States Main Air Book. وكانت الكتب المشتملة على جغرافية العرب في أحوالها الحديثة قليلة جداً، وكانت الحاجة إلى معرفة جغرافية شبه الجزيرة العربية الحديثة أيضاً مهمةً، فوجدت خلال الطبعة الأولى للكتاب صعوبة في هذه الناحية، ولجأت إلى دائرة المعارف باللغة الإنجليزية وبعض المصادر الأخرى، ثم وجدت في الطبعة الأخرى كتباً صدرت حديثاً في المملكة العربية السعودية وبخاصة ما ألفه بسام كرد علي وإخوانه، فاستفدت منها.

وقد أكرمني كثيراً بتوجيهات رشيدة في إعداد هذا الكتاب خالي الأكبر الطبيب السيد عبد العلي الحسني (رحمه الله) رغم مرضه، ولا يزال يفيدني بمشوراته وآرائه السديدة، وقرأ بعض أجزاء الكتاب، وأصلح ما يحتاج إلى الإصلاح والتهذيب، وقام بتعديلات كثيرة في مسودة الكتاب، فأنا إذ أشكر عنايته وتشجيعه في تأليف هذا الكتاب أدعو الله سبحانه وتعالى أن يدخله في جنات الفردوس، من الأسف أن الكتاب لم يتحل بالطباعة في حياته، فلو طبع لكان مسروراً جداً به.

كما أتحفني بإشرافه واعتنائه بالكتاب سماحة خالي الجليل الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي، ولم يزل مهتماً بهذا الموضوع، مما زاد قيمة الكتاب، وقد ازدان جيد هذا الكتاب بمقدمة قيمة له، جزاه الله خيراً.

ولا أنسى بهذه المناسبة الإخوة الذين ساعدوني في إتمام هذا الكتاب، ولا سيما مسئول المكتبة العامة للعلامة شبلي النعماني فضيلة الشيخ محمد مرتضى النقوي (ت ١٩٩٥م) وبعض أساتذة

دارالعلوم لندوة العلماء، وقد ساعدني بعض طلبة دارالعلوم في قراءة الملازم وتصحيح أخطائها المطبعية أيضاً، فلهم الشكر الجزيل.

وأخيراً أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الكتاب نافعاً ويتقبله قبولاً حسناً.

٢٥/ذوالحجة/١٣٨١هـ — محمد الرابع الحسني الندوي

٣٧ – شارع كوئن، لكناؤ (الهند)

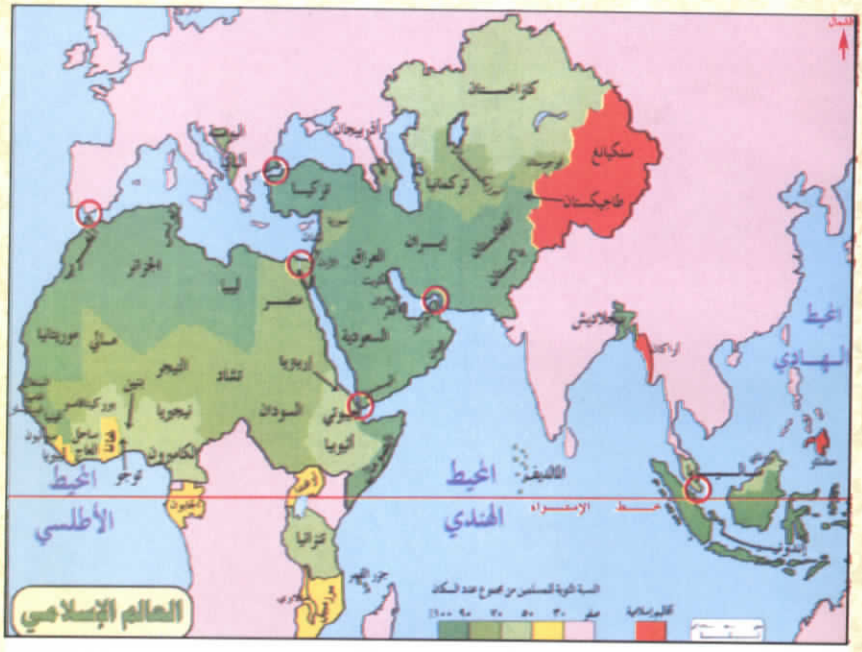
العالم الإسلامي
المحيط الأطلسي
المحيط الهندي
المحيط الهادي
خط الاستواء
الدائرة القطبية الشمالية
الشمال
كازاخستان
أذربيجان
تركيا
تركمانستان
سنكيانج
طاجيكستان
العراق
إيران
أفغانستان
الجزائر
ليبيا
مصر
السعودية
مالي
موريتانيا
النيجر
تشاد
نيجيريا
السودان
إثيوبيا
الصومال
الكاميرون
توجو
بنين
بوركينا فاسو
ساحل العاج
غينيا
ليبيريا
سيراليون
الجابون
أوغندا
كينيا
تنزانيا
جزر القمر
موزمبيق
ماليزيا
بروناي
إندونيسيا
بنجلاديش
باكستان
الهند
سريلانكا
ميانمار
تايلاند
الفلبين
كمبوديا
فيتنام
السنة الثوية للسنامر مرصوع عدد السكان
أقليات إسلامية

تضاريس دول الخليج العربي
البحر المتوسط
العراق
الأردن
الشمال
النفود
جبال حجر وسلمى
جبال طويق
هضبة نجد
الرياض
الربع الخالي
الجمهورية اليمنية
خليج عدن
بحر العرب
سلطنة عمان
خليج عمان
الخليج العربي
قطر
البحرين
الإمارات
جبال الحجر الغربية
جبال السروات
٠ - ١٠٠ متر
١٠٠ - ٢٠٠ متر
٢٠٠ - ١٠٠٠ متر
١٠٠٠ - ٢٠٠٠ متر
أكثر من ٢٠٠٠ متر

الباب الأول

جزيرة العرب
مساحتها، وعمرانها وطبيعتها

نظرة خاطفة على العالم العربي تكشف أن عمرانه قد امتد من خليج فارس إلى البحر الأطلنطي. واتسعت مساحته إلى أربعة ملايين ونصف مليون ميل مربع، لكن تتخللها مناطق صحراوية، في هذه الأرض التي تمتد على مساحات إفريقيا وآسيا، فكانت نسبة سكانها رغم سعة هذه المنطقة أحد عشر أو اثني عشر بليوناً، وهذه المساحة تزداد من الهند بنسبة ٣½، وعمرانها ١/٥ فقط من عمران الهند.

شبه جزيرة العرب:

يمتد العالم العربي على قارتين عظيمتين: آسيا وإفريقيا، فتشتمل المناطق الآسيوية على شبه جزيرة العرب وبعض البلدان الشمالية الأخرى، وشبه جزيرة العرب موطن العرب الأصيل، ومهد الأجيال العربية، ويعتبرها بعض المؤرخين وطن الأجيال السامية، فلهذه المنطقة أهمية كبيرة من جهات شتى.

من أكبر مزاياها أنها موطن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومهد الرعيل الأول للإسلام ودعاته، فنزل القرآن الكريم آخر كتاب الله تعالى في لغتها، ودُونت تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم في اللغة نفسها.

يتسع شبه جزيرة العرب حوالي ٣٤½ درجةً طول البلد شرقاً، إلى ٦٠/ درجة، ومن حوالي ١٢½ درجةً عرض البلد شمالاً إلى ٣٢/ درجة، فتقع بُحيرة العرب جنوباً، وخليج عمان وخليج العرب شرقاً، ويقع في جنوب الشرق العراق، والبحر الأحمر، والأردن وفلسطين والشام والعراق في الشمال.

شبه جزيرة العرب قديم قدم التاريخ، وقد شهدت هذه الجزيرة رقي عديد من الأمم المتطورة وانحطاطهم، بعث كثير من الأنبياء

والرسل قبل الإسلام إلى هذه الأرض. فابتليت أممهم بأنواع من العذاب بسبب كفرها وعصيانها، وهي مركز الأجيال العربية وموطنها، وإن قبائل العرب التي انحدرت إلى مناطق مجاورة كانت تنتمي إليها أصلاً.

إن شبه جزيرة العرب تُعرف بجزيرة العرب توسعاً، لأن من شمالها إلى شمال الشرق يجري نهر الفرات، وفي شمال غربها نهر عاصي، فيقطع بداية هذان النهران البر الشمالي لشبه جزيرة العرب. فصار شبه جزيرة العرب جزيرة العرب، والجدير بالذكر أن العرب يقولون لشبه جزيرة العرب جزيرة العرب تجوزاً، كما يطلقون على البر الحاجز بين دجلة والفرات اسم الجزيرة، وعلى شبه جزيرة الأندلس اسم جزيرة الأندلس.

مساحتها وعمرانها:

تتسع مساحة جزيرة العرب حوالي مليون وثلاث مأة ألف ميل مربع، وإن طولها المتوسط ألف ومأتا ميل، وعرضها سبع مأة ميل، ولا نحدد عمرانها بالصحة الكاملة لفقدان الإحصائيات، لكن حسب التقدير العام يدور حول خمسة عشر مليوناً.[1]

تكتنف جزيرة العرب الرمال والجبال والصحاري، لكن جنوب غربها الذي يشتمل على عسير واليمن وهي أرض خصبة خضراء، وتوجد فيها جبال شاهقة، وكانت نسبة الأمطار فيها غزيرة، فيعمّها خصب واخضرار، وتجاور هذه الجزيرة منطقة مثلها، وهي على جنوبها الشرقي، وتعرف بعمان، وتوجد فيها أيضاً جبال عالية، تسبب لخضارتها وخصبتها، لكن هذه المنطقة محدودة، إلى جبال عمان.

امتدت منطقتان صحراويتان كبيرتان في شمال جزيرة العرب وجنوبها، فصحراء الجنوب كبيرة جداً، تعرف بالربع الخالي،

---

[1] تضم شبه جزيرة العرب حديثاً سبع دول: السعودية واليمن، والكويت وقطر والبحرين وعمان والإمارات وتبلغ مساحة كل من السعودية (٢,١٤٩,٦٩٠ كم) واليمن (٥٥٥,٠٠٠ كم) وعمان (٣٠٩,٠٠٠ كم) والإمارات (٨٣,٦٠٠ كم) والكويت (١٧,٨٢٠ كم) وقطر (١١,٤٣٧ كم) والبحرين (٦٦٥ كم)، وفي عام ٢٠٠٩م بلغ عدد سكان جزيرة العرب حوالي: ٧٥,٣٣٣,٨٩٧ نسمة، ويقدر معدل الزيادة السكانية بحدود ثلاثة ملايين نسمة سنوياً.

فمساحتها الحقيقية مأتا ألف وخمسون ألف ميل مربع، ومساحتها العامة حول أربع مأة ألف ميل مربع، تعرف صحراء الشمال باسم النفوذ الكبرى. تخترق صحراء أخرى واسعة أيضاً في شمالها تماثل براً وقلة مياه بمنزلة الصحراء، وتعرف ببادية الشام، وبادية الشام حدود شمالية لشبه جزيرة العرب، فيقع في إحدى جهاتها العراق، وأخراها الشام، وتتصل "النفوذ الكبرى" بالربع الخالي بالخط الصحراوي الممتد إلى جنوبها، وهذا الخط يمرُّ بالمنطقة المرتفعة العالية من جزيرة العرب، ويُعرف بنجد، وأرض نجد منطقة مهمة ومركزية لجزيرة العرب بين الصحراوين تحمل خصائص أساسية، وهي هضبة عالية في قلب الجزيرة، تجري في أكثر نواحيها العيون والمياه، فيوجد فيها عمران إلى حد متوسط، وأرض خصبة إلى حد خاص، وهناك أيضاً أودية خضراء، تحمل ميزةً خاصةً بين مناطق جزيرة العرب الأخرى، وتمتد هذه المنطقة إلى ثمان مأة ميل طولاً، ومأتين وخمسة وعشرين ميلاً عرضاً.

وفي شمال النفوذ الكبرى توجد صحراء واسعة باسم بادية الشام، وهي منطقة لا ماء فيها ولا نبات، ويجري نهر دجلة والفرات في شرقها، فأكثر أجزائها خالية من الوسائل الخصبة سوى هذه المنطقة المجاورة، فليست هي أقل من صحراء في حرارتها وجفافها، وإن الربع الخالي والنفوذ الكبرى وبادية الشام مناطق مهجورة غير مسكونة، يتعرض المسافرون فيها للخطر، وإن الصحراء الجنوبية: الربع الخالي أشد خطراً، وأكثر صعوبةً، وهي أرض رملية امتدت إلى مآت من الأميال من كل ناحية.

إن المنطقة الطويلة التي تقع في غرب جزيرة العرب من بين المناطق الساحلية لشبه جزيرة العرب، تشتمل على ساحل البحر الأحمر وسلسلة جبالها وأراضيها الميدانية الطويلة، وإن هذه القطعة الأرضية غير خصبة، وتمتد فيها سلسلة من الجبال، والهضاب، ثم ارتفعت جوانبها الشرقية تدريجياً، وتحولت إلى سلسلة جبلية في الحجاز، ثم انكمشت في جانبها الغربي، ثم عمت حدودها ساحل البحر، وأرض الحجاز هذه نصف صحراوية، فإذا رويت أصبحت خضراء، وصالحة

للزرع، وإلا كانت صحراويةً جافةً، وإن جبال الحجاز تكون جافةً، وقاعاً صفصفاً، وإن الضفة الساحلية والمنطقة الوسطية لشبه جزيرة العرب تحتلان جداراً بينها وبين نجد، وتمر أودية كثيرة من بين الضفة الساحلية من الحجاز، فتكون طرق المياه من الجبال في موسم المطر، هذه المياه تجعل هذه الأرض خضراء في ممراتها، فصارت أرضاً ذات نخل في مواضع متعددة، واستعمرت هذه الأراضي بأمكنة المياه، وهذه الضفة تعرف بتهامة أو بغور، وتعرف جبالها بالحجاز، وفي المصطلح العام تسمَّى جميع مناطقها بالحجاز، والحجاز أقدس بقاع في العالم لدى المسلمين، وفيها بلدان مقدسان: مكة والمدينة.

وإن الساحل الذي يمتد على الجانب الشرقي في جزيرة العرب أوسع وأخضر بالنسبة إلى المناطق الأخرى، وتجري فيها عيون صافية، فكانت أراضي ذات نخل كبيرة، وقد اكتشف الآن فيها البترول، تستثمر منها حكومتها، ويعرف هذا الساحل بالأحساء، وتوجد في غربها الدهناء، التي تحول بينها وبين نجد، وتجعل الصحراء الشمالية "النفوذ" متصلة بالصحراء الجنوبية الربع الخالي، وإن الساحل الجنوبي في شبه جزيرة العرب أقل سعة، وغير خضراء، وهي تماثل ساحل الحجاز من خلال حالاتها الطبيعية، لكن في جانبها الشمالي سلسلة جبلية طويلة، تُعرف بحضرموت، وتعرف هذه المنطقة الغربية الجنوبية بهذا الاسم،لكن هناك منطقة ميدانية خاصة في شرقها الذي يغطي الجنوب الشرقي لشبه جزيرة العرب، فليست هي خضراء، بل نصف صحراوية وجافة، وتعدُّ جزءً من عمان، وتعرف بظفار.

طبيعة جزيرة العرب:

قسم الجغرافيون القدماء جزيرة العرب بين خمس مناطق:

١. الحجاز: وهي منطقة جبلية، تغطّي جنوب فلسطين والأردن في شمال الضفة الغربية لشبه جزيرة العرب، إلى شمال اليمن في جنوب العرب.
٢. تهامة: وهي منطقة ميدانية، تمتد إلى ساحل البحر غرب المنطقة الجبلية.
٣. نجد: وهي أرض مرتفعة، تقع في مساحة واسعة شرق الجبال الحجازية.

سوريا
فلسطين
العراق
عرعر
سكاكا
تبوك
حائل
ضباء
الكويت
الخفجي
الجبيل
الدمام
البحرين
الدوحة
قطر
دبي
أبوظبي
الإمارات
مسقط
بريدة
المذنب
المدينة
الرياض
المهوف
البحر الأحمر
مكة
جدة
الطائف
المملكة العربية السعودية
عمان
أبها
جيزان
اليمن
صنعاء
عدن

شبه الجزيرة العربية
الارتفاعات (بالأمتار)

٤. اليمن: هي سلسلة جبال مرتفعة في جنوب الحجاز وتهامة، ومنطقة ميدانية وساحلية في غربها.
٥. العروض: مناطق الصحراء، والوادي في جنوب نجد وجنوب جزيرة العرب.

لكن هذا التقسيم ليس بكامل، لأن منطقتي حضرموت وعمان لم يرد ذكرهما فيها، وكذلك الأحساء، التي ذكرها الجغرافيون جزءً من جزيرة العرب.

فيرى من المناسب أن تقسم جزيرة العرب في ثلاث مناطق:

إحداها: جبال سواحلها العربية والجنوبية، وساحاتها، ويأتي فيها الحجاز وتهامة وعسير واليمن وحضرموت وشحر، ومهرة وظفار وعمان.

أخراها: صحاري مختلفة في جزيرة العرب وأرض رملية، ويأتي فيها صحراء الربع الخالي والدهناء والنفوذ وبادية الشام.

وثالثها: سطح مرتفع لجزيرة العرب، يقع في وسطها، فيأتي فيها سواحلها الشرقية وساحاتها من نجد (اليمامة، والقصيم، وجبال طي) والأحساء، وقطر، والكويت، والبحرين.

الباب الثاني

جبال جزيرة العرب الساحلية وميادينها

جبال السَراة:

تعرف الهضبة الممتدة من الشمال إلى الجنوب على الضفة الغربية لشبه جزيرة العرب بجبال السراة، وقد أحاطت هذه الهضبة بها من الشمال إلى الجنوب، وشيئ من جنوب الشرق، ويتصل طريقها في الشمال بجبال سوريا وفلسطين، فتعرف المنطقة المتسعة من أقصى الشمال إلى وسطه بجبال الحجاز، ومناطق جنوبها بجبال عسير أو بجبال اليمن، وتسمَّى السلسلة الجبلية في شرق جبال اليمن بجبال حضرموت، ثم ليس هناك أثر للجبال، بل ساحات وميادين، وتعرف بمناطق الشِحر ومَهرة وظفار، وتوجد سلسلة جبلية في شمال شرق ظفار، امتدت إلى مناطق واسعة على جنوب شرق جزيرة الشرق، وهي تعرف بجبال عمان.

هذه السلسلة الجبلية تقع قريبة من البحار أمامها عامةً، ويتسع في بعض المناطق سواحلها بينها وبين البحار اتساعاً، مثل ساحل الحجاز الذي يمتد عرضاً خمسين ميلاً أو أكثر، نظراً إلى هذه السعة يسميه المؤرخون القدامى بالمناطق المستقلة المنفردة، ويعتبرون جبال الحجاز منطقة مستقلة، وبهذا التقسيم تحتل جبال الحجاز جداراً بين نجد وتهامة، فتعرف بالحجاز.

فجميع جبال السراة غير جبال الحجاز تقرب من السواحل، وهي ليست بعريضة، فتعتبر جزءً من جبالها، يظن الناس الآن الحجاز وتهامة أيضاً منطقة خاصة، ويسمونها الحجاز.

إن جبال السراة ما عدا اليمن وعسير ارتفاعها خمسة أو سبعة آلاف قدم، لكن عرضها مآت من الأميال، تقطعها الأودية من أمكنة شتى، يجري فيها ماء المطر في صورة سيول، وينصب في البحر على الجانب الغربي، ثم ينجذب على الجانب الشرقي في الصحاري والميادين والأراضي الرملية، وإن المناطق الشرقية لجبال السراة تنخفض تدريجياً، ويُرى صبب إلى الساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب نزولاً

من الجانب الشرقي من هذه الجبال، ثم تبتدئ وهاد على مسافة قليلة في الجانب الغربي.

إن المناطق الساحلية بين الجبال والبحار، التي تقع على الجانب الغربي أو الجنوبي تسمَّى تهامة أو الغور، وتعرف تهامة بهذا الاسم بطقسها الحار، والغور بانخفاض أرضها، فهناك عدة تهامات، تعرف بجبالها، سوى تهامة الحجاز، لأنها صارت منطقة مستقلة رغم سعتها، وصارت تهامة اسماً خاصاً بها.

جبال الحجاز:

سلسلة جبلية من خليج العقبة إلى قرب اليمن تعرف بالحجاز، وهي مثل الجدار، الذي يحول بين نجد أعلى سطح جزيرة العرب وتهامة الحجاز، فسمي بالحجاز.

الحجاز جزء شمالي لجبال السراة، طوله سبع مأة ميل، وعرضه مع تهامة حوالي مأتين وخمسة وسبعين ميلاً، وفي شرقه سطح مرتفع واسع، يُعرف بنجد، وفي غربه ساحل واسع لتهامة، ففي تهامة والحجاز بلدان مقدسان ومعروفان مكة المكرمة والمدينة المنورة، أمَّا ارتفاع الجبال الحجازية فهو ستة آلاف قدم، وترتفع نواحيها المختلفة، أمَّا جبالها الشمالية فهي أكثر ارتفاعاً، وليس ارتفاع جبالها في الوسط كثيراً، بل جبال هذا المكان أقل ارتفاعاً في سلسلة جبال السراة، لكن جبال جنوبها أكثر ارتفاعاً من جبال وسطها، وتقع عليها مدينة الطائف، إن جبال الحجاز باستثناء جبال الحجاز الشرقية والجنوبية تبدو مسطحة وجافة، فهي تسبب الجفاف والحرارة في الرياح بدلاً من أن تكون مؤدية إلى الخصوبة والخضرة، وتزيد حرارة مناطقها، فتكون مكة المكرمة رغم إحاطتها بالجبال ومجاورتها حارّة، وخاصة في فصل الصيف شديدة، إلا أن أوديتها وميادينها الواقعة في سفوح لجبال الحجاز الشرقية خضراء إلى حد ما.

الحرات:

توجد في جبال الحجاز قطع كثيرة مثل خناجر حجرية سوداء، تعرف باللغة العربية بالحرة واللابة، وهي مرتفعة من سطح البحر، وارتفاع بعضها أكثر من خمسة آلاف قدم، تتساقط الثلوج على بعضها في موسم الشتاء، وعدد هذه الحرات كثير، وعدَّها بعض الجغرافيين إلى مأة.

إن الحرات التي تمتد في بعض المواضع إلى عشرات من الأميال، لا تصلح لمشي الرجال والحيوانات بوهادها ونجادها ووعورتها، وهذه الحرات تقع في مناطق بين تبوك ومكة كثيراً، ومن أكبرها حرة عُويرض، وهي ممتدة إلى مأة ميل مربع بين تبوك وعلاء، وارتفاع بعضٍ أجزائها خمسة آلاف قدم، وفي الجنوب تمتد حرة خيبر إلى ٣٠/ ميلاً مربعاً، وفي غربها على مسافة قليلة حرة سُليم، وتسمى حرة المدينة، وهي قريبة من المدينة، وإن المدينة المنورة محاطة بحرتين: حرة الوبرة في غربها، وحرة واقم في شرقها، وهما لا تعدان جزءً من جبال الحجاز، وتقعان في منطقة تهامة، وتكونت الحرات لدى الجغرافيين من المواد البركانية.

مدين وثمود:

المنطقة التي امتدت من العقبة إلى الوجه (Al-Wajh) في الجزء الشمالي من الحجاز تسمَّى مدين، كانت هنا مساكن قوم مدين وأصحاب الأيكة، وفي الجنوب قوم ثمود وأصحاب الحجر، نزل عليهم عقاب الله تعالى ببغيهم وكفرهم لله تعالى، فقُطع دابرهم، لكن بقيت آثارهم حتى الآن، كان أشدهم بأساً وقوة قوم ثمود، مسكنهم وادي القرى، مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم به، راجعاً من غزوة تبوك، ورد ذكره في القرآن، قال الله تعالى: وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخرَ بِالوَادِ (الفجر: ٩) فيه إشارة إلى مهارة ثمود في نحت الأحجار، وتوجد في هذه المنطقة مداين صالح والحجر (مدينة قديمة لثمود) وكانت ثمود ينحتون من الجبال بيوتاً، وكانت جبال هذه المنطقة متنوعة، ومنها جبال الأثالث، وهي تتقطع في أجزاء ثلاثة، وفي شمال وادي القرى وادي السرحان، وهو ممر قوافل الشام.

يعرف الجزء الشمالي من مدين بحِسمى، وجباله مرتفعة إلى حد كبير، وترابه لين وجباله خضراء، وفي جباله جبل مبارك، وجبل المقنع، وجبل الشفا، وإنَّ ارتفاعها ستة آلاف قدم على أكثر تقدير، وفي جنوب جبال حِسمى[1] جبل شامخ، اسمه جبل سارو، وفي الجبال

---

[1] وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: تخرجكم الروم منها كفراً كفراً، إلى سنبك من الأرض، قيل له: وما ذلك السُنبك؟ قال: حِسمى جذام.

الجنوبية من منطقة الحجاز جبل شامخ أيضاً اسمه جبل كرا، وهو متصل في جنوب مكة بساحة عرفات بينه وبين الطائف على مسافة، ويمرّ طريق مكة إلى الطائف من أعلاه.

مدن جبلية في الحجاز:

إنَّ أهم المدن على الهضاب الجبلية من الحجاز: تيماء وخيبر، والحناكية والطائف وغامد وزهران وبني شهر، يقول عدد من الجغرافيين عن المدينة المنورة: هي إحدى المدن الجبلية في الحجاز، موقعها نقطة اتصال بين ساحة تهامة والمدن الجبلية.

تهامة:

قد مرَّت جبال الحجاز من الوجه إلى مكة المكرمة اتصالاً بالجانب الشرقي، وبعداً من الساحل، فصارت منطقة واسعة في غربي هذه الجبال، وتعرف بتهامة الحجاز أو بتهامة فقط، وهي أجمل وأهم من جميع تهامات جبال السراة، وتعرف تهامة باللغة العربية بالغور، ومعنى الغور: الأرض المنخفضة، وفي مقابلها الأرض المرتفعة، وهي نجد.

إن تهامة وإن كانت منطقة ميدانية، لكنها خالية من الجبال، وخاصة في جانبها الشرقي كثير من الجبال الصغيرة والكبيرة والتلال الجبلية، التي ليس ارتفاعها بكثير، ويقدَّر بألفين وخمس مأة قدم إلى آخر حد، وإنّ تهامة الجزء الشمالي من الحجاز ليس عرضه بكثير، هذه المنطقة تعرف بمدين، فساحله ليس بأوسع من سبعة أميال، أمّا بقية تهامة التي هي في جنوب مدين فواسعة جداً، وعرضه خمسون ميلاً عامةً، وإذا قدرنا حدود تهامة وجدناها تغطي جانبين: شرقياً وغربياً، وفي الجانب الشرقي جبال كثيرة، وسطحها مرتفع بالنسبة إلى الجانب الغربي، وإنّ طول ارتفاع هذه الجبال ألفان ومأتان وخمسون قدماً، ومكة المكرمة في هذا الجانب، وهذا الجانب الغربي يخلو من الجبال إلى حد كبير، بل هي منطقة ساحلية وميدانية، وأرضه حجرية، وممزوجة بالطين والصخور، وإنّ جبال تهامة والحجاز جافة وأحجار مسطحة، ويوجد جبل مرتفع في وسط تهامة، إن ارتفاعه ستة آلاف قدم، واسمه رَضوى، وهو أخضر إلى حد

بارتفاعه، وفي جانبه مساكن، تعتقد الفرقة الكيسانية[1] في الشيعة أن الإمام محمد بن الحنفية قد اختفى فيه، وسيخرج في يوم من الأيام، فيوجد فيه عمران قليل للشيعة، وهم ينتظرون خروجه من هذا الجبل.

إنّ طقس تهامة يكون حارّاً، وإنّ البحر الذي يقع أمامه غير متسع، فيؤثر قليلاً في هذا الطقس، وإن أرض تهامة غير صالحة للزرع، لأن ترابها صحراوي وغير أخضر، فلا تكون صالحة بسبب قلة المياه، لكن المناطق التي يمر بها ماء المطر في صورة سيول أو يتوقف فيها أو ينجذب تكون ذات نخل، فتزرع، ويخرج منها الماء، فتعمر به هذه المناطق، إن مساكن أكثر المناطق في تهامة في هذه الأرض، وقامت مساكن أخرى على سواحل البحر، تستفيد من وسائل النقل والاتصال والملاحة، وإن الأودية التي تمر بتهامة يقطع بعضها طولاً، وبعضها عرضاً، ومن أهم الأودية التي تمر طولاً وادي العَقيق، يمتد من المدينة إلى مكة، وتذهب قوافل حجاج بيت الله عامة منه، ومن الأودية التي تمرُّ عرضاً أكبرها وادي الحمض[2]، وتعرف في العهد القديم بوادي إضم، وهذا الوادي يمرُّ من وسط تهامة، يغطيه أكثر الأودية المجاورة، ومن أودية هذه المنطقة وادي الصفراء، امتدّ من المسيجد إلى بدر، ومرّ به عدة مرات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن أهم قراها تقع على مسافة ميل، وفيها أشجار النخيل وزروع أخرى، وفي هذا الوادي الربذة، التي أقام فيها سيدنا أبوذر الغفاري رضي الله عنه، وتوفي فيها ودفن، ويقع هذا الموضع في طريق الحجاج.

أمكنة تهامة ومدنها الشهيرة:

إن أشهر المدن في الجزء الشمالي من تهامة المدينة المنورة. وفي الجزء الجنوبي الذي هو أوسع بكثير مكة المكرمة. ومدينة الطائف تقع في جنوب شرق مكة المكرمة، لكنها مدينة جبلية في الحجاز،

---

[1] تُنسب إلى كيسان مولى الخليفة علي بن أبي طالب، حيث يعتقدون أنه اقتبس من علي ومن ابنه محمد الأسرار كلها من علم الباطن وعلم التأويل وعلم الآفاق والأنفس، وكانت بداية هذا المذهب على يد المختار بن أبي عبيد، عام ٦٤هـ.

[2] جاء ذكره في صلح الحديبية، حيث أمر الرسول الناس، فقال: اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض في طريق تخرجهم على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة.

إلاّ أن جدة تقع على ساحل البحر في الجانب الغربي من مكة، فهي ليست أعظم وأهم مدينة في تهامة، بل في المملكة العربية السعودية بعد مكة المكرمة، وفي الأمكنة الشهيرة ذات النخل في تهامة: المدينة المنورة، وفدك وينبوع، ومرُّ الظهران (وادي فاطمة)[1]، وفي الأمكنة الساحلية الشهيرة مُويلح، ومقنا، وضباء، والوجه، والأملج، وينبوع البحر، ورابغ وليث، ما عدا جدة، وهي تحتل موانئ منطقية، أكبرها رابغ، وتقع أثناء طرق مكة المكرمة والمدينة المنورة.

إنّ تهامة صارت قصيرةً منذ جنوب مكة، فامتدت جبال السراة قرب البحر، فارتفع طولها، وتنتهي منطقة الحجاز هنا.

عسير واليمن:

تعرف جبال السراة بجبال عسير، وجبالها مرتفعة جداً، وإن قمم هذه الجبال عشرة آلاف قدم، ومنطقة عسير ولاية غربية في الجنوب من المملكة العربية السعودية، ويمتاز طول جبالها ببرودة طقسها وخصبة أرضها، وكثير من مناطق عسير خالية من آثار الحضارة الجديدة، وتوجد فيها حياة فطرية بسيطة، ومن أشهر أمكنتها التُّربة، والبيشة، والخميس، والمشيط، والصَبيا، وأبها، ونجران، هذه مناطق داخلية، أمّا قنفدة وجيزان مناطق ساحلية.

وتعرف منطقة جبال السراة في جنوب عسير باليمن، وإن جبال السراة أكثر ارتفاعاً مقابل المناطق كلها، وإن نهاية قممها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ألف قدم.

جبال اليمن وعسير خضراء، وهي على جهة الرياح الفصلية، فتمطر عليها السماء مطراً غزيراً، وهذه الجبال تكون حاجزةً لنقل السحب إلى شبه جزيرة العرب، فلا تصل سحب الجنوب إلى مناطق داخلية من شبه جزيرة العرب، ولا تصل إلى الحجاز أيضاً، فتُروى هذه المناطق والحجاز من سحب قليلة من الشمال.

وعسير اسم قبيلة، سكنت في هذه المنطقة، وفي الجهة الغربية من عسير ساحل ضيِّق يُعرف بتهامة عسير، فالجهة الشرقية من جبال

---

[1] نسبةً إلى فاطمة زوجة بركات بن أبي نُمَي، أحد الأشراف الذين حكموا مكة.

عسير منخفضة، وتمر بها أودية جبلية، تؤدي إلى خضرتها وعمرانها، وفي جهة شمال الشرق من عسير منطقة نجران، حيث سكن فيها النصارى، وتعتبر مركزاً رئيساً لهم في جزيرة العرب، اعتدت على آبائهم دولة اليهود في اليمن، التي ورد ذكرها في سورة البروج حسب تفسير بعض المفسرين، وهي تبعد من مكة على مسافة ٩٠٠/ك م.

إن جبال اليمن أشد ارتفاعاً في نصف المناطق الشمالية، وأقل ارتفاعاً في نصف المناطق الجنوبية، وهذه الجبال امتدت إلى الجنوب الغربي من جزيرة العرب، وفي غربها ساحل ضيِّق، يُعرف بتهامة اليمن، وفي شرقها مناطق ميدانية مرتفعة، انخفضت قليلاً، تُعرف بنجد اليمن.

اليمن دولة خضراء كبيرة، تكثر فيها الأمطار، يبلغ مقدارها عشرين بوصة، وإن أعلى جبال جزيرة اليمن في هذه المنطقة، تكون نهاية ارتفاعها ثلاثة عشر أو أربعة عشر قدماً، ومن أشهرها جبل النبي شعيب عليه السلام، وتمرُّ من خلال جبال اليمن أودية عميقة، فيصعب الذهاب من مكان إلى مكان آخر، بوعورة بناء الطرق بين مستعمراتها، يجتاز المسافرون كثيراً من الوهاد والنجاد، وإن اليمن ما عدا تهامة مناطق خصبة خضراء، ولعل تسميتها باليمن بسبب البركات والخيرات المادية، وحينما تأسست حكومة سبأ وكانت أقوى الحكومات وأكثرها تطوراً، أقيم سد منيع، يمسك به الماء، فتسقى به مناطق ممتدة إلى عشرين ميلاً، وكان هذا السد مبعث خصب وخضرة، وأقيم في مأرب عاصمة سبأ، ويعرف بسدِّ مأرب، انجرف هذا السد بأمر من الله تعالى، من كثرة المعاصي، فتكبد خسائر فادحة، وتبعثر نظام ازدهار قوم سبأ، ورد ذكره في القرآن الكريم، قال الله تعالى: لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُواْ لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ. فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ (سبأ: ١٥ – ١٦).

إن ساحل اليمن أقل نفعاً وخصوبةً من السواحل الأخرى، يكون طقسه حاراً ورطباً، لكن مياه جبال اليمن تسيل في أوديته، فتكون منطقة خصبة إلى حد، ومن أمكنتها الشهيرة: الحديدة،

والمخا، وعدن، تقع على الساحل، وهي موانئ كبيرة، ومن المناطق الداخلية: صنعاء (عاصمة اليمن) وتعز (أكبر مدينة في اليمن) وصعدة، ومأرب وزبيد، وذمار، وظفار، ومنها مأرب قديم جداً، وكان مركزاً شهيراً لسبأ، وكذلك ظفار تحمل تاريخاً قديماً، وعدن تعدّ في منطقة حضرموت، بل هي أكبر مدنها وميناؤها.[1]

حضرموت:

إن سلسلة جبال السراة انحرفت من جنوب غرب جزيرة العرب إلى الشرق مروراً باليمن، ثم امتدت إلى مسافات بعيدة قرب الساحل الجنوبي، وتعرف هذه المنطقة من جبال السراة بحضرموت، وإن جبال حضرموت جافة وغير مخضرة، وهي ليست بأشد ارتفاعاً، وتقل فيها نسبة الأمطار، وفي سفوحها مستعمرات، لكنها صغيرة، وعدد

---

[1] **اليمن:** تقع اليمن في شبه الجزيرة العربيّة في الجنوب الغربي من قارّة آسيا، ويطلق عليها رسميًا اسم جمهوريّة اليمن وعاصمتها الرّسميّة صنعاء، اللّغة العربيّة هي اللّغة الرّسميّة لليمن يتحدّث بها مواطني الدّولة والدّين الإسلامي هو الدّين الرّسمي للبلاد ويستخدم سكّان اليمن عملة الرّيال اليمني كعملة رسميّة تستخدم في البلاد، ويبلغ عدد سكان اليمن حوالي ٢٤ مليون نسمة تقريبا حسب احصائيات سنة ٢٠١٣ الذين يتوزعون وينتشرون في مدن ومحافظات اليمن جميعها التي يبلغ عددها ٢٢ محافظة منها تعز والجوف وصنعاء العاصمة وحضرموت والعديد من المدن الأخرى وتعد محافظة حضرموت أكبر مدينة في البلاد. نظام الحكم في جمهوريّة اليمن نظام جمهوري وديمقراطي حيث يكون هناك رئيس للدّولة يتم انتخابه انتخاباً مباشراً من الشّعب من خلال صناديق الاقتراع ويكون رئيس الدّولة مسؤولاً عن العديد من المهام التي تخص الوطن خلال فترة الحكم التي تكون مدّتها سبع سنوات.

من أبرز الدول التي تعاقبت على هذه المنطقة العربيّة العريقة مملكة سبأ، وحضرموت، ومعين، وحِمير، أمّا الروم فقد كانوا يطلقون عليها ويسمونها بالعربية السعيدة، وقد شهدت الأرض اليمنيّة عدّة دول متعاقبة تعاقبت عليها في العصور الوسطى مثل الدولة اليعفرية، والدولة اليزادية، والدولة الطاهرية، والإمامة الزيدية، والدولة الرسولية وهي التي تعد الدولة الأقوى من بين هذه الدول. وقد خضعت اليمن لسيطرة الدولة العثمانية إلى أن انفصلت عنها في العام ١٩١٨ من الميلاد، وقد شهد هذا العام قيام المملكة المتوكليّة اليمنيّة، وقد سقطت هذه الدولة في العام ١٩٦٢ من الميلاد، واستبدلت بالجمهوريّة العربيّة اليمنيّة، وقد نشأت لاحقاً في الجنوب جمهورية اليمن الديمقراطيّة الشعبيّة إلى أن توحّدت الدولتان معاً في العام ١٩٩٠ من الميلاد وتحديداً في الشهر الخامس.

سكانها قليل، وبين جبالها وبحارها ساحل ضيِّق، يُعرف بتهامة حضرموت، وهو غير صالح للزراعة بضيقه وفقدان وسائل الخصوبة عامة، فتهامة هذه المنطقة تشبه تهامة عسير واليمن في وعورتها وتهامة الحجاز في قلة خصوبتها، فهذه البلاد فقيرة من الحجاز من الخضرة والثروة، لكن توجد هنا أودية طيبة، من أكبرها وأشهرها وادي حضرموت، امتد وهو يقطع سلسلة حضرموت من خلالها إلى مآت الأميال، وفيه قرى كثيرة من حضرموت، ويستفيد سكان حضرموت من أوديتها ووسائل أخرى فيها، أكثر عمرانها في الأودية أو على السواحل، وهذه دولة قديمة وتاريخية، اعتاد أهلها التجارة منذ قديم الزمان، من أهم مدنها تريم، تقع في وادي حضرموت، وتحتل مركزاً رئيساً، وإن أشهر موانئها التي من كبرى بلادها أيضاً: المكلا، وهنا مدينة باسم لَحَج قرب عدن، وتسمى حضرموت باليمن الجنوبية في العهد الجديد، عاصمتها عدن، وهي أكبر مدن المنطقة وموانئها، ومن مواضع حضرموت الداخلية شيون، وشبام وشبوه، غير تريم، ومن مناطقها الساحلية: شحر غير المكلا، ومدينة شحر تحمل مكانة تاريخية.

سواحل الشِحر ومهرة وظفار:

هذه مناطق ميدانية وغير جبلية في الشرق قرب حضرموت، تقع بين جبال عمان (الساحل الشرقي الجنوبي في جزيرة العرب) وبين جبل حضرموت (سلسلة جبلية للغرب الجنوبي فيها) وهي الشحر ومهرة وظفار، فهي تسقى من المياه الجارية من كلا الجانبين، فتجاور ظفار عمان، كما تجاور الشحر حضرموت، وتجاور مهرة بينهما، وظفار حضرموت موضع مختلف عن ظفار اليمن، فظفار تعد جزءً من عمان سياسياً، ومهرة والشحر جزئين من حضرموت، لكن حينما كانت حضرموت ولاية من حضرموت فكانت مهرة والشحر خارجتين من حضرموت، وتثبت بعض الدلائل أن الشحر كانت تعد جزءً من عمان، قال شاعر:

دَارُ سُعْدَى بِشحر عُمَـانِ
قَدْ كَسَاهَا البِلَى المَلَوَانِ

إن الجزء الشمالي من ظفار أخضر إلى حد، يوجد فيه عدة

مراع، يتجر الناس على سواحل ظفار ويصيدون السمك، ويزرع في المناطق الداخلية قصب السكر، وهي خضراء، ومن أهم مدنها صَلالة، تقع على المناطق الساحلية، وفيها مطار، وبلدها الثاني مِرباط، وهو ميناء أيضاً.

إن مهرة والشحر ليستا خضراوين، وأمام مهرة خليج، يعرف بخليج القمر، وقد اشتهرت أفراس مهرة جداً، وتسمى بالفرس المهري، بل استعملت كلمة المهري للأفراس الجياد.

إن الجانب الغربي لمهرة منطقة الشحر، وقديماً تستعمل كلمة الشحر في معنى الساحل، فسميت هذه المنطقة بهذا الاسم، في جنوب هذه المناطق الثلاث بحر العرب، وفي شمالها: صحراء الربع الخالي.

جبال عمان:

هنا سلسلة جبلية صغيرة على ساحل الجنوب الشرقي لجزيرة العرب، تعدّ عند بعض المؤرخين جزءً من جبال السراة، وإن طول ارتفاعها تسعة آلاف قدم أو أكثر، وهي تشتمل على جبال عديدة، منها جبل الظهيرة والجبل الأخضر، وإن أشدها ارتفاعاً الجبل الأخضر، تقع عليه أكبر قرى نِزوى، وهي مقر المناطق الداخلية عمان، وتكثر الأمطار على جبال عمان، فتكون سفوحها خضراء، وتمطر السماء في فصل الشتاء بسحب الخليج العربي، لكن أرضها ليست بخضراء، تثمر بلادها من محصولاتها الزراعية، وتضمها إلى قائمة الدول المتطورة، لكن اكتشاف البترول فيها يجعل أرضها غنية.[1]

سلطنة عمان: هي من الدول العربية، عاصمتها مدينة مسقط، ومساحة أراضيها ٣٠٩,٥٠٠ كم، ونظام الحكم فيها سلطاني وراثي، وعملتهم الرسمية الريال العماني، يعود تاريخ سلطنة عمان إلى ٨٠٠٠٠ عام قبل الميلاد، ومراحل تاريخها كما يلي:

احتل الفارسيون ساحلها، واستوطنوا فيها من عام ٢٠٠٠ إلى ١٠٠٠/ قبل الميلاد، ووصلت القبائل العربية، ومنها قبائل الأزد بقيادة مالك بن فهم الذين هزموا الفرس من عام ٣٠٠ قبل الميلاد إلى عام ٢٢٦هـ، واستعاد الفرس السيطرة من عام ٢٢٦ إلى عام ٦٤٠م، فواصل الأزديون الحكم في المنطقة.

سواحل عمان:

تشبه سواحل عمان التي يشتمل جانبها الجنوبي على ظفار، سواحل حضرموت من حالاتها الطبيعية، وتعرف سواحلها بتهامة عمان، ولها بحار عديدة، في إحدى نواحيها الجبال، وهذه المنطقة الجبلية باردة، ومنطقة تهامة حارّة، يقتات سكانها باستخراج الدرر، وصيد السمك، والتجارة، لكن اكتشاف البترول في نواحيها كان أكبر سبب لتنمية هذه المنطقة وثرائها.

إن الساحل الشمالي لعمان جاف وصحراوي، ويُعَدُّ خارجاً من سلطنة عمان سياسياً، كان يشتمل من قبل على قرى مختلفة ونصف حرة وغير مستعمرة، وصارت الآن دولة متحدة حسب ميثاق عام،[1] ومن

دخل الإسلام في ٦٣٠م، وفي ٧١٥ تم انتخاب أول إمام لها، وهو الجلندي بن مسعود، سيطر البرتغاليون من عام ١٥٠٧ إلى ١٦٢٤، ففي قيادة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي عام ١٦٥٠م طرد البرتغاليون، ثم سيطر عليها البرتغاليون على بعض الأجزاء من عام ١٧١٨ إلى ١٧٤٧م، لكن طردوا من قبل الإمام أحمد بن سعيد الذي كان أول إمام لأسرة آل بو سعيد في عام ١٧٤٧م.

واتسمت البلاد بالعصر الذهبي من التوسع والازدهار من ١٨٠٤م إلى ١٨٥٦م، وظهر التمرد الشيوعي في مدينة ظفار من عام ١٩٦٥م إلى ١٩٧٥م، وكانت بداية إنتاج النفط منذ عام ١٩٦٧م، تولى مقاليد حكمها السلطان قابوس بن سعيد تيمور آل سعيد في عام ١٩٧٠م.

[1] **الإمارات العربية المتحدة:** دولةٌ آسيويّةٌ عربيةٌ، ونظام الحكم فيها: حكمٌ اتحادي رئاسي، وحكمٌ ملكي دستوري، وبلغ عدد سكانها ٩,٢٦٦,٠٠٠ مليون نسمة حسب إحصائيات عام ٢٠١٦م، وعملتها الرسميّة الدّرهم الإماراتي، ولغتها الرسمية اللغة العربية، وسميت الدولة بهذا، لأن فيها سبع إمارات: إمارة أبوظبي، وإمارة الشارقة، وإمارة دبي، وإمارة عجمان، وإمارة أم القيوين، وإمارة رأس الخيمة.

تمّ تأسيس ما عُرف تاريخياً باسم مجلس الإمارات المتصالحة في القرن العشرين عام ١٩٦٧م، وكان مركز هذا المجلس في إمارة دبي، وفي عام ١٩٦٨م أعلنت بريطانيا عن رغبتها بالانسحاب من كافة المناطق التي كانت خاضعةً لها في منطقة الشرق المتوسّط، قدّر عدد سكان الإمارات العربية المتحدة عام ٢٠١٠م حوالي ٨ مليون و٣٠٠ ألف نسمة، وأبناء الإمارات العربية المتحدة من المواطنين الأصليين هم من المسلمين، وتتوزّع مذاهبهم ما بين المالكي والحنبلي والشافعي.

وقد أسس اتحاد الإمارات في عام ١٩٧١م بعد استقلالها عن بريطانيا، وقد وجدت هذه الدولة منذ عام ٦٠٠٠/ إلى ٣٥٠٠/ قبل الميلاد، وهي حقبة العصر الحجري،

المملكة العربية السعودية
العراق
الأردن
الكويت
إيران
مصر
الرياض
مكه المكرمه
عمان
السودان
أرتريا
اليمن
بحر العرب

الإمارات العربية المتحدة
إيران
عمان
قطر
أبو ظبي
دبي
الشارقة
عجمان
رأس الخيمه
الفجيره
العين
طريف
المملكة العربية السعودية

اليمن
التقسيمات الإدارية
السعودية
عُمان
صعدة
الجوف
حضرموت
المهرة
حجة
مأرب
شبوة
لحج
عدن
أبين
تعز

الخصب
الإمارات العربية المتحدة
خليج عمان
صحار
مسقط
الخابورة
صور
عبري
نزوى
المملكة العربية السعودية
الدقم
بحر العرب
اليمن
صلالة
مرباط

أشهر مدنها دبي، والشارقة قديماً، وأبوظبي جديداً.

كانت أبوظبي قرية صغيرة، بل إمارة، لكن اكتشف هنا البترول، فتقدم عمران أبي ظبي بسرعة مدهشة، وتطورت تطوراً سريعاً، وهي تعدُّ الآن من أكبر المدن في هذه المنطقة، وأثراها بين شقيقاتها الأخرى المتحدة، واكتشف البترول الآن في الشارقة ودبي، فازدهرتا ازدهاراً كبيراً، وبين هذه المدن الثلاث الشهيرة هناك أربع إمارات، ليست بأقل أهمية منها عمراناً وعدداً، وهي عَجمان، وأم القيوين، ورأس الخيمة والفُجيرة، كان سكان الساحل الشمالي من عمان حينما لم يكتشف البترول فقراء، فيقرصنون مضطرين للاقتصاد في البحر الذي يقع أمامه، فيسمى هذا الساحل بساحل القرصان، لكن البحر الذي يقع أمامه يُعرف ببحر البنات.

إن الساحل الشرقي من عمان مثل الساحل الجنوبي في سلطنة عمان، يُستخرج منه الياقوت قديماً، ويتجر به على أوسع نطاق، ويشبه هذا الساحل الساحل الجنوبي أرضاً زراعية، وإن منطقة الباطنة منطقة زراعية جيدة، فمن أشهر مدن هذا الساحل مسقط، وهو ميناؤه، وهو يُعَدُّ مدينة كبيرة في سلطنة عمان، وفي قربها مدينة مَطرح، وهي أيضاً ميناء.

الساحل الشرقي من جزيرة العرب:

وبما أن الساحل الشرقي من جزيرة العرب يشبه من نواح متعددة منطقة نجد الداخلية، فيأتي ذكره بعد ذكر مناطق جزيرة العرب الداخلية بإذن الله تعالى.

ثم كانت حقبة العصر البرونزي، ثم حقبة العصر الحديدي، ثم الحقبة الإسلامية، ويُعدّ وصول الإسلام إلى أراضي الإمارات من عام ٦٣٠هـ إلى عام ١٢٥٨ للميلاد، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مجموعة من الصحابة لدعوة حكام القبائل التي حكمت الإمارات، فأصبحت الإمارات تتبع الخلافة الراشدة في عام ٧٥٠م، ثم كانت الحقبة التاريخية البرتغالية من عام ١٤٩٨م إلى عام ١٦٥٠م، ثم كانت حقبة الاحتلال الهولندي من عام ١٦٢٢م إلى ١٧٥٠م، ثم كانت حقبة السيطرة البريطانية من عام ١٧٢٠م إلى عام ١٩٦٨م، حتى تحررت الإمارات من بريطانيا عام ١٩٧١م، وحرص الشيخ زايد آل نهيان حاكم إمارة أبي ظبي على تعزيز التواصل والتعاون مع شيوخ الإمارات عن طريق تأسيس اتحاد بين الإمارات.

الباب الثالث

وسط جزيرة العرب

(الربع الخالي – النفوذ – الدهناء – بادية الشام – نجد

وسواحل المنطقة الشرقية: قطر – الاحساء – البحرين – الكويت)

إن المناطق الداخلية في جزيرة العرب صحراوية أو نصف صحراوية، ففي وسطها سطح مرتفع عام باسم نجد، وفي جنوبها وشمالها صحراوان كبيرتان باسم الربع الخالي والنفوذ، وفي الصحراء الشمالية منطقة واسعة جافة، تعرف ببادية الشام، وفي الجهة الشرقية من نجد ضفة رملية امتدت من الربع الخالي إلى النفوذ، فهذه الصحاري كلها امتدت على أكثر من ثلث جزيرة العرب.

الربع الخالي:

هذه صحراء كبيرة وخطيرة تغطي جنوب جزيرة العرب، وهي أكبر صحار في شبه جزيرة العرب، امتدت في نصف منطقتها الجنوبية إلى سواحلها، تقدَّر جميع مساحاتها حوالي أربع مأة ألف ميل مربع، لكن منطقتها الأصلية الصلبة مأتا ألف ميل مربع، وهي ممتدة من اليمن إلى عمان حوالي تسع مأة ميل، ومن حضرموت إلى نجد حوالي خمس مأة ميل، ويقدَّر أن أرضها مسطحة وصلبة، وتوجد فيها حصى وجنادل، وتتحول رمالها من مكان إلى مكان آخر، وفيها تلال رملية متأرجحة، لكن ينابيع المياه وآبارها فيها شبه مفقودة، وإذا وجدت آبار كانت مسافة بين كل بئرين اثنتين حوالي أربع مأة ميل، ويمر بهذه الصحراء إعصار شديد من الرمل، يقلب سطح الأرض حيناً لآخر، ويطير أكواماً من الرمال من هنا إلى هناك، إذا تعرضت لها قافلة بادت ودفنت فيها، وإذا لم تكشف الريح رمالها لا ترى عظامها، وهذا الإعصار يتركب من رياح مسمومة، وإذا وصل هذا الإعصار إلى مناطق غير رملية كان مُهلكاً وخطيراً، يتحدث سائح إنجليزي عن مثل هذا الإعصار ويقول: "قد جرينا وقت الظهر أن الشمس قد زالت، وكان الجو صافياً، رغم الرمال المحرقة، وتزايدت شدة الريح شيئاً فشيئاً، فانصرفت إلى صديقي العربي، وقد أوى إلى عنق الإبل مغطياً

وجهه بردائه، وكان أصحابه أيضاً في هذه الحالة، لما سألته مراراً أشار إلى خيمته هنا، وقال: الجأوا إليه وإلا تهلكون، فلا توقِفوا الإبل، بل أسرعوا سيرها، واضربوها لتتقدم إلى الأمام، وكنا ننظر الخيمة قلقين، وكانت على مسافة مأة ذراع، فبينما نحن إذ اشتدت الريح، ولا نكاد نحث مطايانا، واسودّ الأفق بسرعة، وبدأت لفحات الريح الحارّة في هذا العالم المظلم، كأنها تخرج من جبل حارّ، ورغم جميع مساعينا أخضعت الإبل ركبتها دورانا، ثم اشتدت لفحات السموم بشدة، غطينا وجوهنا مثل أصحابنا العرب، إن لفحة الريح المظلمة والحارّة كانت مهلكة، يبدو أن جهنم نتجت من هذه الأرض، ومن سعادة حظنا أننا لجأنا إلى الخيمة في نفس الوقت، لافّين الثياب برؤوسنا ووجوهنا، وكانت مطايانا مثل أجساد ميتة في انتظار نهاية الإعصار."[1]

إذا نزل المطر في صحراء الربع الخالي أحياناً أو وصل الماء من الأودية المجاورة، نبتت منه بعض الحشائش الشيطانية القوية، وصارت فيها مراتع، يرعى فيها الأعراب مواشيهم، وإذا جفّت انتقلوا منها، وهذه الحالة تستمر إلى عدة شهور، وإن الدخول وسط هذه الصحراء شبه مستحيل، وقد أثبتت الدراسات النهائية عن هذه المنطقة أن عدداً من الأعراب أهل الوبر يسكنون فيها، يبلغ عددهم حوالي مأتين، وهم ينتمون إلى قبيلة الرواشد، توجد فيهم صفات عربية وبدوية بحتة، وهم منقطعون أيضاً عن العالم الخارجي كلياً، على كل، فإن هذه الصحراء جافة مثل الصخرة، وغير صالحة للانتفاع بها مثل ماء البحر.

يسمي العرب جوانب هذه الصحراء بأسماء مختلفة، ويعرفون المنطقة القريبة من حضرموت بصعدة، والضفة الغربية الشمالية من حضرموت بالأحقاف، والأحقاف هي الأرض التاريخية لدى العرب، التي يسكن فيها قوم عاد، قال الله تعالى: وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ (الأحقاف: ٢١) ويعرف الجانب الشمالي من مهرة بوبار، وهذه المنطقة كانت لدى العرب موضع الجن، وإن فضاءها الموحش الخالي موضع الخوف والدهشة للسكان المجاورين، ويعتبر العرب

---

[1] رحلة نجد والأحساء لوليم كيفر دوبا لكريو.

أشياء هذه المنطقة عامةً موحشةً ومهيبةً، فكل من ورد هذه المنطقة لا يهتدي إلى طريق بل يضل، قال الفرزدق:

ولَقَد ضَلَلتَ أباك يَطلُبُ دَارِماً
كَضَـــلالِ مُلتَمِسٍ طَرِيقَ وَبَارِ

يعتبر العرب مخلوقات هذه المنطقة وإبلها وخيولها حيوانات تحمل قوة خارقة للعادة، وإن رمال هذه الصحراء تميل إلى الحمرة، فسميت بالدهناء، كانت قوافل العرب التجارية في قديم الزمان تذهب إلى مرباط وظفار مروراً بها.

ويعرف الجانب الشرقي والشمالي من الربع الخالي ببيرين، وهي تقع قريباً من اليمامة، ويضرب بها المثل عند العرب في كثرة الرمال، وتوجد في جزء منها أرض ذات نخل، ينزل فيها القوافل التي تذهب إلى الحج من عمان، وتعرف الصحراء التي هي بين اليمامة والأحساء بعالِج، وهي أيضاً مضرب المثل في كثرة الرمل، ويمثل لبيان زيادة شيئ برمل عالج.

الربع الخالي صحراء كبيرة وخطيرة، لا تقدر مساحتها بسعتها ووعورة طريقها على وجه صحيح، لكن الرحالين ذوي الهمة العالية قدّروا سعتها وخطورتها وأفادوا في هذا الأمر بدراسات ضئيلة.

النفوذ الكبرى:

هذه الصحراء الشمالية التي تقع في شمال السطح المرتفع من نجد، وهي أيضاً صحراء كبيرة، تعرف باسم النفوذ، والنفوذ اسم لتلال حمراء من الرمال في لغة البادية، وصحراء النفود على مسافة ثمان مأة ميل من صحراء الربع الخالي، فبينها وبين الصحراء الجنوبية الربع الخالي، سطح مرتفع واسع باسم نجد، وهي تحمل خصائص صحراوية إلى حد كبير، لكنها خضراء وصالحة للاستفادة من الأودية وتسهيلات أخرى مثل الماء.

وصحراء النفوذ تشتمل على قطعة كبيرة وعلى قطع صغيرة من القطع الصحراوية، وتعرف القطعة الكبيرة بالنفوذ الكبرى، والقطع الصغيرة بنفوذ البطراء ونفوذ قنيفذة، ونفوذ السر، ونفوذ الشقيقة، فهذه القطع كلها متشابهة، وإن طول النفوذ الكبرى مأة وثمانون

ميلاً، وعرضها مأة وأربعون ميلاً.

إن رمال النفوذ عامة لينة من الربع الخالي، تنساخ فيها الأقدام، وليس المشي في النفوذ سهلاً، فإن تلال الرمال من شدة الرياح تقوم وتنهدم، وتكون ما بين صغيرة وكبيرة، ويكون طول بعضها خمس مأة قدم، وتكون حفر وآبارمن هذه التلال، فإذا مرت قافلة من العرب بها تمر بوهادها ونجادها، وتمشي فيها الإبل مشياً حثيثاً من الناس والحيوانات الأخرى، لكن تنساخ أقدامها أحياناً إلى الرُكب، وكان المسافرون العرب يهتدون من النجوم في هذه الصحراء والصحاري الأخرى، فتحمل النجوم للمشاة في الصحراء أهمية كبيرة، قال الله تعالى: وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (النحل: ١٦).

ينزل المطر في منطقة النفوذ في فصل الشتاء، فتنبت به في نواحيها نباتات صحراوية، يرعى فيها الأعراب مواشيهم، وينزلون فيها، ويرحلون منها بعد جفافها، وينجذب ماء المطر في منطقة النفوذ أيضاً، ويجتمع الماء أحياناً في بعض الحفر في صورة البرك، يستفيد منها قوافل تمرُّ بها أحياناً، وخارج الصحراء في شمال النفوذ أرض ذات نخل جيدة، تعرف بدومة الجندل أو الجوف.

الدهناء:

إن ضفة رملية من جنوب النفوذ تماثلها ميزةً وخصوصيةً، امتدت إلى الربع الخالي، وانضمت إليه، تعرف بالدهناء بلون رملها الأحمر، ففي جانبها الغربي على سطح مرتفع من جزيرة العرب منطقة نجد، وفي جانبها الشرقي هضبة منخفضة باسم الصمَّان، وفي جنبها الساحل الشرقي من جزيرة العرب الأحساء، وإن أرض الصمَّان جبلية، تشبه البياض.

تشتمل الدهناء على سبع أو ثماني قطع رملية، تتخللها أودية أو سهول، وقد مرَّ بها طرق بين الأحساء ونجد، يجف فيها ماء المطر، فتخضر أرضها، وتنبت النباتات التي تسمى بالشقيقة، ويستفيد منها البدو.

بادية الشام:

إن بادية الشام في شمال النفوذ الكبرى مباشرةً صحراء واسعة في شكل مثلث، يقع على جانبها الشرقي العراق، وعلى جانبها الغربي الشام، وتتميز بادية الشام من النفوذ الكبرى بميزة خاصة، وهي أن

النفوذ ساحة رملية يميل لونها إلى الحمرة، وبادية الشام ساحة حجرية يميل لونها إلى البياض، وبادية الشام منطقة ذات حجارة صلبة، لا ماء فيها ولا نبات، يوجد فيها أودية وهي ملاجئ للناس، من أهمها وادي السرحان، يمتد من الشمال إلى الجنوب، وينتهي إلى الجوف، وعلى حافتيه سلسلة ذات نخل، توجد فيها مراكز عمرانية، تمر بهذا الوادي قوافل من الشام، وفي بادية الشام أودية صغيرة أخرى، تكون جهتها عامة من المغرب إلى المشرق، وتنتهي إلى نهر الفرات، ومن أهمها وادي حوران، وعلى نواحي بادية الشام الشرقية والغربية والشمالية سلسلة عالية من الجبال، وإن الجبال الشرقية والشمالية جزء من جبال البلدان العجمية، وجبال الشمال في تركيا، وتعرف بطوروس، وجبال الشرق في إيران، وتعرف بزَغروس، فالمنطقة التي تتصل ببادية الشام نزولاً من جبال زَغروس، صالحة للزراعة رغم صحراويتها، لأن نهري دجلة والفرات يمران بها، وهما يجعلان هذه المنطقة ونواحيها خضراء وخصبة، وعلى حافتيها بساتين النخيل، تزرع فيها كمية كبيرة من النخيل في العالم، وهذه المنطقة كانت جزءً من إيران قبل الإسلام، وكانت فيها عاصمة إيران المدائن، عمر فيها المسلمون مدناً كثيرة، بعد فتح هذه المنطقة، من أكبر مدنها بغداد، التي كانت عاصمة للمملكة الإسلامية إلى مئات من السنين، ثم كانت عاصمةً لمنطقتها، وصارت هذه المنطقة إدارياً بعد فتح المسلمين، وسميت بالعراق، وإن نهري العراق اللذين يمران ببادية الشام ينشقان من جبال تركيا في شمالها، وينضمان إلى هذه المنطقة من حدود بادية الشام الشمالية، فيدخل ماء دجلة من شمال الشرق، وماء الفرات من شمال الغرب في العراق، والفرات يمر بمناطق واسعة من الشام قبل العراق أيضاً، وهذان النهران يتصل بعضهما ببعض قرب مدينة القرنة قبل وصولهما إلى الخليج العربي بمائتين وأربعة كيلو مترات، ثم يجريان معاً إلى البحر، فإن ملتقاهما الذي يمتد من مدينة القرنة إلى مناطق واسعة من الشمال واقعة بين هذين البحرين يعرف بالجزيرة بخصبتها، وتسمى المنطقة الواقعة في الجنوب بموضع الالتقاء بسواد العراق، ويعرف هذان البحران بشط العرب.

وتزرع النخيل على حافتي شط العرب، لأن أرضها خصبة

للنخيل مثل شبه جزيرة العرب، والعراق خضراء بسهولة الماء، وكانت مهداً للثقافات القديمة، عواصمها نينوى وبابل، والمدائن والحيرة، قد تحولت إلى أطلال، وتوجد آثارها حتى الآن، وقد اتصل به تاريخ الآشوريين والسومريين والكلدانيين العظيم القديم، الذي يعد أقدم التاريخ في تاريخ الثقافات، وكانت مدينة إبراهيم عليه السلام في منطقة جنوبية من العراق، وإن مدينة الحكومة الكلدانية بابل، وعاصمة الحكومة الإيرانية في وسط العراق، وتسمى بادية وسط العراق بادية الجزيرة أو الخساف أيضاً، وتسمى منطقة الجانب الغربي من شط العرب ببادية الشام، فهي محاطة بسلسلة جبلية، يقال: إن علاقتها بجبال طوروس في تركيا، وفي الجنوب تتصل بجبال السراة، وفي الجانب الغربي من هذه الجبال بحر الروم، فإن آثار المطر التي تهب من بحر الروم تسقي هذه الجبال، ثم تمتد منها فتسقي جبال العراق أيضاً، وإن الجانب الغربي من بادية الشام والمنطقة التي تشتمل على جبال خضراء في جوارها تعرف بالشام، منها فلسطين أيضاً، وهذه المنطقة خصبة خضراء كثيرة، بكونها في جهة الشمال، واشتمالها على جبال عالية، والاستفادة من أمطارها، وظلت مهداً للحضارات المتنوعة، القائمة منذ أمد بعيد، من أهمها الحضارة الكنعانية والحضارة الفينيقية بوجه خاص، وإن المنطقة الصحراوية التي تتصل بهذه الجبال في الجانب الشرقي نزولاً من بادية الشام جافة ومقفرة، لا ماء فيها ولا نبات، وممتدة في الشرق إلى جبال العراق بل إلى بحاره، وهي تعرف ببادية الشام، ففي غرب هذه البادية بعداً من جباله الخضراء توجد مناطق صغيرة، جبلية أو خضراء إلى حد كبير أو خصبة، من أهمها منطقة تدمر، ظلت حكومة العرب في الزمن الجاهلي، وفي جنوب دمشق قرب تدمر كانت حكومة الغساسنة العرب.

إن بادية الشام وإن كانت ممتدة بين العراق والشام تُعرف بهذا الاسم، وتُعرف بادية المنطقة العراقية في الشمال ببادية الجزيرة أو الخساف وفي الجنوب ببادية العراق أو السماوة، وكلمة السماوة باللغة العربية هي الأرض المسطحة، التي تخلو من الحجارة، إن بادية الشام حجرية أو وعرة، تمر ببعض طرقها قوافل الأعراب أيضاً، وهذه الطرق

مرت بالأودية عامة، هذه البادية ليست صحراوية، لكنها جافة وغير خضراء من النفوذ الكبرى بقلة المياه فيها وجفافها، تتعرض هذه المنطقة لأعاصير الرمال والطين الحارّة، التي تهلك الناس والحيوانات وتؤذيهم، وقد قطع سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه هذه الصحراء الواسعة مع المجاهدين المسلمين في خمسة أيام بدون الماء، ووصل من العراق إلى الشام في مدة، لا يتصورها الناس، ويقدر طول هذا الطريق التي تختص بين بغداد ودمشق بالسيارات خمس مأة وأربعين ميلاً، إن جوانب بادية الشام الشرقية والغربية والشمالية بتغطيتها الجبال ينزل عليها المطر فتكون خضراء وخصبة.

إن بادية الشام ظلت مركز الخلافة الإسلامية إلى ثماني مأة سنة، كان يحكمها بنوعباس، وكانت عاصمتها بغداد، وكان جانبها الغربي الذي كانت عاصمته دمشق، ظلت مركز الخلافة الإسلامية في العصر الأموي من قبل، وقد ازدهر الجانب الشرقي من بادية الشام في العصر العباسي ازدهاراً كثيراً، قيل: إن عمران هذه المنطقة كان أربعة أضعاف من يومنا هذا، وكانت بغداد كبرى البلدان في العالم حضارةً وقوةً، يذكر أن نسبة سكان بغداد مليونان رغم ضآلة المواصلات في قديم الزمان.

نجد:

إن السطح المرتفع الذي يقع بين صحراء النفوذ الواقعة في جنوب جزيرة العرب، والربع الخالي في شمالها ويمتد طولاً حوالي ثماني مأة ميل، وعرضاً حوالي مأتين وخمسة وعشرين ميلاً، يُعرف بنجد، ومعنى نجد أرض مرتفعة، وتستعمل في مقابل نجد كلمتا الغور والوهد، معناهما: أرض منخفضة، قال شاعر:

وَقَدْ يَعْقِلُ القُلُّ الفَتَى دُوْنَ هَـمِّهِ
وَقَدْ كَـانَ لَولا القُلُّ طَلاَّعَ أَنْجُدِ

واستعمل شاعر آخر كلمة الغور مع كلمة نجد، يقول:

نَبِيٌّ يَرَى مَا لا يَـرَوْنَ وَذِكْـرُهُ
أَغَارَ لَعَمْرِي فِي البِلادِ وَأَنْجَدَا

ونجد منطقة نصف صحراوية، لكنها خضراء، تدخل فيها أودية عديدة تجري فيها المياه أيام المطر، وفيها جبال، فيتوافر منهما

كمية صالحة للماء الذي يجعل هذه المنطقة خضراء، وسطح نجد مرتفع جداً من سطح البحر، ولكنه ينخفض رويداً رويداً من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي، يبلغ ارتفاعه على الضفة الغربية ثلاثة آلاف وخمس مأة قدم، وعلى الضفة الشرقية ألفين وخمس مأة قدم.

تعد نجد منطقة بارزة في شبه جزيرة العرب، تحمل خصائص عربية خالصة، وتشتمل على مناطق مختلفة طبيعياً، وفيها جبال، وصحار، وميادين عديدة تحمل ميزات مختلفة، وأودية خضراء جيدة، وفي بعض مناطقها أرض ذات نخل جيدة، فكانت هذه المنطقة محبوبة أثيرة لدى العرب في الطقوس الحارة والجافة من جزيرة العرب، وكان سكانها مولعين بها، فإذا ودّعوا نجداً أو اضطروا إلى مغادرته تذكروه كثيراً، وقد طفح شعرهم وأدبهم بذكر ذلك، قال شاعر[1]:

قِفَا ودِّعَا نَجداً وَمَن حَلَّ بِالحِمى
وَقَلَّ لِنَجدٍ عِندَنَا أَن يُوَدِّعَا
بِنَفسِي تِلكَ الأَرضَ مَا أَطيبَ الرُّبى
ومَا أَحسَنَ المُصْطَافَ والمُتَرَبَّعَا
وليست عَشِيَّاتُ الحِمَى بِرَواجِعٍ
عَلَيكِ، ولكنْ خَلِّ عَيْنَيكِ تَدْمَعَا

قد سُجن نجدي في صنعاء، فكان يتذكر نجداً كثيراً، ويُبدي انطباعاته عنه في قصيدة غرَّاء:

لا حَبَّذا أَنْتَ يا صَنْعَاءُ مِن بَلَدٍ
وَلا شُعُوبُ هوىً مِنِّي وَلا نُقُمُ
وَحَبَّذَا حِينَ تُمسِي الرِّيحُ بَارِدَةً
وَادي أُشَيَّ، وَفِثْيَانٌ به هُضُمُ

لكن نجداً الذي وجدنا ذكره كثيراً في الشعر العربي أريد به منطقة ميدانية شمالية من نجد، وهي بين جبال الحجاز، وشمر وطُويق، وتُعرف بالقصيم.

إن نجداً بجميع نواحيه تشتمل على مناطق عديدة:

١. منطقة ميدانية في القصيم، تمرُّ بوادي الرُّمة، وتسقى

---

[1] الصمة بن عبد الله، شاعر غزل إسلامي، من شعراء بني أمية، ولد عام ٩٥هـ المصادف ٧١٣م.

بمياه الجبال المحيطة بها.

٢. منطقة ميدانية في شمالها، تحيطها جبال أجا وسَلمى، وتعرف الآن بشمر.

٣. اليمامة التي تقع في جنوب القصيم، وهي جزء جنوبي من نجد، وفي شمالها هضبة، تعرف بجبل العارض وجبل طويق، ويكون هذا الجبل مبعث سقي وري في اليمامة وما جاورها من المناطق، وفي جنوبها منطقة اليمامة، التي تسمَّى في قديم الزمان بالعَروض أيضاً، وتعرف الآن بالخرج، وإن عاصمة المملكة العربية السعودية الرياض في نفس المنطقة.

كانت للقصيم أهمية كبيرة في التاريخ والأدب العربي، نبغ فيها فطاحل الشعراء، فمن كبار الشعراء في الزمن الجاهلي امرؤالقيس وطرفة بن العبد والحارث بن حلِّزة وأوس بن حجر، وزهير بن أبي سُلمى، وعنترة بن شداد، وفي الزمن الإسلامي جرير والفرزدق، تناول شعراء هذه المنطقة بذكر أرضها وفضائها وأزهارها ونباتاتها ورياحها كثيراً، ويوجد في شعرهم عواطف حب الوطن بنسبة زائدة، قال شاعر:

ألا يا صَبا نَجدٍ متى هجتِ من نجد
لقد زادَني مسراك وجداً على وجدِ
أأن هتفتْ ورقاءُ في رونق الضُّحى
على فننٍ غضِ النبات من الرندِ
بكيتِ كما يبكي الوليد ولم تكن جزوعاً
وأبديتِ الذي لم تكن تبدي

وقال آخر وهو قيس بن الملوح:

تمتع من شميم عَرارِ نجدٍ
فما بعد العشيّةِ من عَرارِ

وكانت نباتات هذه المنطقة عرار والغضا، والبانة والرند وغيرها موضوع شعرائها، ولا تزال تُذكر مروجها الخضراء، وصحاريها وتِلالها وجوانبها المختلفة، وميادينها الرملية مثل الروضة والقاع والأجرع والكثيب والنقا وغيرها في شعرهم بأحسن أسلوب، قال شاعر:

سلي البَانة الغيناءَ بالأجرعِ الذي
به البانُ هل حييتُ أطلالَ دارِكِ

وفي غرب القصيم جبلان مشهوران بين جبال الحجاز، يعرف أحدهما بالأبان الأسود، وثانيهما بالأبان الأحمر، ويطلق عليهما اسم الأبانين مجموعاً، يمر من خلالهما وادي الرمة، وهو أوسع وأطول أودية جزيرة العرب، يخترق إليه من جبال الحجاز، ويمتد من وسط القصيم إلى الجهة الشرقية، توجد فيه عدة مدن شهيرة من القصيم مثل بريدة وعنيزة، وهو ممر القادمين من شمال شرقي جزيرة العرب، والحجاج القاصدين إلى المدينة المنورة، وفي بعض مناطق القصيم صحار محدودة، وفي شرقها جبل باسم سدير، ومنطقة الوشم، فيها قرية تاريخية باسم ثرمداء، وفي القصيم موضع قديم أيضاً باسم الرس.

وفي القصيم وهاد ونجاد، وامتدت هذه الوهاد في بعض المواضع إلى أميال، فيركد فيها ماء المطر الذي ينزل في الشتاء، ولا يجف إلى نهايته، فتنبت آكام على المواضع الرطبة، منها الطلح، والحناء والسدر، لكن الأثل الذي هو نبات طويل، وآكام الغضا يكونان في الأصباب الرملية والأراضي المنخفضة، وإن خشب الغضا تأخذه النار بسرعة، فيحمل أهمية كبيرة، وينبت شجر الأراك أيضاً في المناطق الصحراوية، وهو غذاء دسم للإبل، وتكون الريح الشرقية في القصيم ذات بهجة وسرور، فتُحدث في سكانها طراوة جيدة ولطفاً عظيماً، وتُعرف بالصبا، امتلأ الشعر العربي بذكرها، وإن اللغات الشرقية التي تأثرت باللغة العربية انتقل إليها فكرة روعة الصبا أيضاً:

ألا يا صبا نجدٍ متى هجتِ من نجدِ
لقد زادَني مسراكِ وجداً على وجدِ

وفي شمال القصيم منطقة شمر التي تقع بين جبلين، أحدهما أجا في الشمال، وارتفاعه خمسة آلاف وخمس مأة قدم. وثانيهما: سَلمى، وهذا الجبل أقل ارتفاعاً من الأول، ويقع في الجنوب حوالي ٤٥/ ميلاً من أجا، وبين أجا وسلمى ميدان واسع أخضر، يسقى من الماء الذي يسيل من هذين الجبلين، وتعرف هذه المنطقة بجبال طيئ وشمر، وسكنت فيها قبيلة طيئ من قديم الزمان، وكانت يمنية، نبغت فيها شخصيات جليلة كان أبرزها حاتم الطائي، وكانت هذه القبيلة مشهورة جداً، واشتهرت بكثرة شعرائها، كان في مقدمتهم

أبو تمام في الزمن العباسي، وسكنت فيها قبائل متعددة قبل الإسلام وبعده، يوجد في شعرهم حب الوطن والهيام الشديد به وبأهله، وتقع قرب إيران، فيأتيها أهل إيران وكان اتصالهم بسكانها كثيراً، فيسمون العرب كلهم بالطائيين، وتبدلت كلمة الطائي إلى تازي، فيسمى الفرس العربي بـ "أسب تازي"، وسمي بطن شهير من قبيلة طيئ بشمر، توجد بطونه في هذه المنطقة حتى الآن، وأما البطون الأخرى فقد سكنت في جنوب غربي العراق، وهي الآن موجودة فيها، وفي وادي جبل أجا عاصمة هذه المنطقة حائل، وفي وادي جبل سلمى مدينة قديمة باسم: فيد، ورد ذكر أجا وسلمى في الأدب العربي القديم بصفة خاصة، ويعرفان على سبيل الإيجاز بالجبلين، ومن جبال طيئ الصغيرة: جبل الجودي، قال شاعر وهو يشير إليه:

فما نطفةٌ من ماءِ مُزْنٍ تَقَاذفتْ
به جنبتا الجُوديِّ والليلُ دامِسُ
بأطيبَ من فِيها، وما ذقتُ طَعْمه
ولكنّني فيما ترى العينُ فارسُ

إن جبل نجد وهو جبل طويق قد امتد في جنوب القصيم بصورة هلالية، ويعرف جانبه الشمالي بسدير، وجانبه الجنوبي بطويق، ويقع رأس طويق الشمالي في وسط نجد، ورأسه الجنوبي في جهته الجنوبية والغربية، وامتدت هضبة إلى شرق جبل طويق، وتعرف بعرنة، ويسمى طويق بالعارض في الكتب القديمة.

وفي جنوب جبل طويق والقصيم منطقة اليمامة، وهي تاريخية خضراء، لها أهمية كبيرة في تاريخ الأدب العربي، امتدت في جنوب وشرق جبل طويق، كان يعرفها الناس في العهد القديم بالجو والعروض، ورد ذكر اخضرارها في تاريخ الأدب العربي، كانت عاصمتها آنذاك الحجر، وهو وطن مسيلمة الكذاب وقبيلته بني حنيفة، تقع في هذه المنطقة عاصمة المملكة العربية السعودية الرياض، وتقع في هذه المنطقة قرية أباض، حارب فيها سيدنا خالد بن الوليد مع جيش كبير من المسلمين مسيلمة وأتباعه محاربة دامية، دُفن في هذه المنطقة الشهداء المسلمون، وإن الإباضية أشهر فرق الخوارج

تنتمي إليها، وإن وطن الشاعر الجاهلي الأعشى "منفوحة" في هذه المنطقة، وهي حي من أحياء مدينة الرياض، اشتهرت منطقة اليمامة بالشعير والتمور، التي يضرب بكثرتهما المثل، قال أبوالعلاء المعري في موضع: "وجدت العلم ببغداد أكثر من الجريد باليمامة" وبما أن هذه المنطقة متميزة وخضراء، فكان عمرانها كثيراً، وقديماً كانت امرأة في اليمامة، تتحدث عنها كتب التاريخ والأدب العربي أنها تبصر من مسافة ثلاثة أيام، كانت من قبيلة جديس، وكانت عيناها زرقاوين، فتسمى زرقاء الجو وزرقاء اليمامة، وفي المثل العربي: أبصر من زرقاء اليمامة، قال المتنبي:

وأبصر من زرقاء جوٍ لأنني
متى نظرتْ عيناي سَاواهما علمي

وكان اسمها الآخر حذام، فقال شاعر:

إذا قَالت حذامِ فصدِّقُوها
فإن القول ما قالتْ حَذامِ

سكنت في اليمامة القبائل البائدة المشهورة: مثل طسم وجديس، وكانت أشد قوةً وبأساً، لكنها بادت بالحروب الداخلية التي اشتبكت بينها، وأكبر واد في هذه المنطقة وادي حنيفة، على حافتيه النخيل، وهو واد أخضر، ينتمي إلى بني حنيفة أشهر بطون بكر بن وائل بن ربيعة، كان عمرانها في هذه المنطقة، وتقع على قرب منه مدينة الرياض، وهي وطن الأسرة السعودية وعاصمة البلاد، وعلى مقربة من مدينة الرياض في الضفة الغربية " الدرعية "، التي كانت وطن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى، إن حكومة البلاد تهتم اهتماماً بالغاً في هذه الأيام بتنمية الخرج، وجعلها خصبة خضراء، في جنوب وغرب نجد وادي الدواسر، وهو كبير، يبلغ إلى نجد ممتداً من جبال اليمن، تزرع في مناطق مختلفة منه، وفيه أراض عمرانية، هذه المنطقة توسعت من جنوب وغرب نجد إلى شمال وشرق اليمن، كان المؤرخون يعتبرونها منطقة مستقلة باسم العروض.

سواحل المنطقة الشرقية

قطر:

إن ناحية ساحلية لجزيرة العرب في شمال غرب عمان مثل اللسان قد امتدت حوالي مأة ميل طولاً، وأربعين ميلاً عرضاً في البحر، تعرف بشبه جزيرة قطر، وهذه الجزيرة ساحلية، لكنها منطقة صحراوية، تغطّي أكثرها الصحراء، توجد في بعض أجزائها أشجار النخيل، التي تتصل أرضها وصحراؤها بالربع الخالي، يستخرج البترول منها منذ زمان مثل السواحل الشرقية الأخرى، وكان الفقر هنا من قبل عاماً، فكان رجالها يصيدون الأسماك، ويستخرجون الدُرر، أشهر مدنها الدوحة، وهي ميناؤها، وعاصمتها، وهي واقعة على الساحل الشرقي من قطر.

وُجد اسم قطر في التاريخ القديم من جزيرة العرب، اشتهرت بعض الأقمشة باسمها، وتُعرف بالثياب القطرية، إن رئيس الخوارج وأبرز قوادهم قطري بن الفجاءة ينتمي إلى هذه المنطقة، وإن الساحل الذي ورد له مصطلح الخط في الكتب القديمة ينضم إليه قطر مع الأحساء[1].

---

[1] قطر: قطر بالإنجليزيّة (Qatar)، دولة عربيّة تقع في وسط الجهة الساحليّة الغربيّة للخليج العربيّ، ضمن القسم الشرقيّ لشبه الجزيرة العربيّة، وتُعتبَر قطر شبه جزيرة تتبع لها مجموعة من الجزر الأخرى، منها البشيريّة، وحالول، والأسحاط. يُعَدّ نظام الحكم في قطر أميريّاً وراثيّاً، ويحكمها الأمراء من أسرة آل ثاني، تصل المساحة الجغرافيّة الإجماليّة لدولة قطر إلى ١١,٤٣٧ كم، وتحدّها من الجهة الجنوبيّة المملكة العربيّة السعوديّة، وتشترك بحدودٍ مائيّة مع كلّ من دولة البحرين والإمارات العربيّة المتّحدة.

ويصل عدد سُكّان قطر الأصليّين وفقاً لإحصاءات يناير من عام ٢٠١٧م إلى ٢,٥٧٦,١٨١ نسمة. واللغة العربيّة هي اللّغة الرسميّة في الدّولة، ويُعتَبر الإسلام الدّين الرسميّ، ومدينة الدّوحة تُشكّل أكبر كثافة سُكانيّة، إذ تحتوي على ما يُقارب نصف سُكّان قطر.

يعود الوجود الحضاريّ في قطر إلى العصر الحجريّ، ووصل الإسلام إليها في مُنتصف القرن السّابع للميلاد، فأصبحت جزءً من الحضارة الإسلاميّة، وعاصرت كافّة مراحل الحكم الإسلاميّ، وفي القرن السادس عشر للميلاد

الأحساء:

يعرف الساحل الذي يقع في الجانب الشرقي من نجد بالأحساء، وقد امتد من حدود قطر الشمالية إلى حدود الكويت الجنوبية، وفي غربها منطقتا الدهناء ونجد، وفي شرقها البحر، ثم جزيرة البحرين، وهي ضفة ساحلية واسعة، كان اسمها القديم هجر والبحرين، استعملت كلمة البحرين لهذه المنطقة في كتب الحديث الشريف والتاريخ، وتسمى بالأحساء، والواقع أن هذا الاسم لإحدى قراها الجنوبية، التي تُعرف الآن بالهفوف، ومعنى الأحساء الأرض الرملية التي ينجذب ماء المطر في داخلها، ثم يستخرج بأدنى حفرها بسهولة، وهو جمع حِسي، تمسك أرض الأحساء كمية كبيرة من ماء المطر، الذي يكون أحياناً في صورة الينابيع، وأخرى تحفر أرضها فيخرج منها الماء، وفي هذه المنطقة أيضاً حدائق النخيل ما بين صغير وكبير، فتزرع هذه الأرض بالنسبة إلى المناطق الصحراوية الأخرى، ويُضرب المثل كثيراً بتمور هذه المنطقة، وفي المثل العربي: كناقل التمر إلى هجر، ومن أكبر حدائقها حديقة القطيف، والقطيف قرية قديمة، وكانت جزءً من منطقة الخط في تاريخ العرب القديم، تغطي منطقة الخط القطيف إلى قطر، وقد اشتهرت الخط بصناعة الرماح، وكانت الرماح الخطية في الشعر العربي جيدة وصلبة،[1] وكانت هنا صناعة الحدادة أيضاً، قال أبو عطاء السندي:

ذكرتُكِ والخَطّيُّ يَخْطِر بَينَنا
وقد نَهِلَت منَّا المُثَقَّفَةُ السُمْرُ

كان للصناعات المختلفة رواج في منطقة الخط، فكانت تنسج الثياب الجيدة في قطر، وتصنع فيها السيوف الجيدة، وبما أنها على الساحل الشرقي من جزيرة العرب فتستورد الأموال المصنوعة في الهند، والسيوف الجيدة، وهذه السيوف تسمَّى مهندة وهندية أو هندوانية، ثم أطلق الشعراء العرب على كل سيف جيد كلمة المهند، والهندي

صبحت قطر تتبع رسمياً للدّولة العثمانيّة. وفي عام ١٩٥٠م اختار الشّيخ محمد بن اني مدينة الدّوحة حتى تكون مقرّاً للحكم، في قطر.

تنسب الرماح إلى ردينة وسمهرية، وهما ليستا موضعين، بل اسمان لصانعي لرماح، وهما الزوجان: الرجل والمرأة.

والهندواني، قال كعب بن زهير في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

إن الرَّسُولَ لسيفٌ يُستَضَاءُ به
مهنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

وقال الأعشى في مدح المحلّق:

ترَى الجُودَ يَجرِي ظاهراً فَوقَ وَجهِهِ
كـما زانَ مَتْنَ الهِنْدُوَانِيِّ رَونَقُ

وقد اكتشفت هنا آبار البترول الثرة، وهي منابع أصلية لثراء المملكة العربية السعودية، فلا يستخرج البترول في الأحساء فقط، بل في جميع سواحل الأحساء، لكن يكون مقدار الأحساء كثيراً، ولا يزال يُخرج البترول في نواح مختلفة من الأحساء بكمية، قلما تكون في دولة أخرى في العالم، وتقدر كميته فوق الحسبان، وإحدى قرى الأحساء الساحلية الظهران، وهي مركز رئيسي لشركة البترول، وصارت الآن أرقى مدن البلاد وأشهرها، وشركة البترول أمريكية، فقد قام الأمريكان بتطويرها أحسن قيام، وتكوَّن عمران باسم الدمام قريباً منها، يوجد فيها مستعمرات الموظفين ووسائلها الأخرى، ومن الأمكنة المهمة في الأحساء على ساحل البحر الخُبر، وفي داخلها الهفوف.

البحرين:

وهي مجموعة ست جُزُر صغيرة في شرق الأحساء، فإن أرضها نصف صحراوية أو ساحلية، وهي تشبه الأحساء في هيئتها، وتصلح للزراعة، وفي قديم الزمان عند ما تسمى الأحساء بالبحرين كان اسمها أوال، وهي جزر تاريخية كبيرة، توجد فيها آثار الفاتحين والأمراء القدامى، يعتقد بعض الناس أن هذه الجزر كانت في قديم الزمان معبداً، يدل على ذلك أسماؤها، مثل المنامة والمحرَّق وغيرها، وقد اكتشف أن هناك آثاراً لمئات آلاف من القبور، وهي على طاولة البحث، يستخرج البترول أيضاً من أرض البحرين، وقبل البترول كانت حرفة سكان هذه المنطقة استخراج الدرر، وفيما بقي من الوقت يصيدون الأسماك، من أكبر جزرها ومدنها المنامة، وهي عاصمة البلاد، ثم جزيرة المحرق، التي تحتل درجة بلد مستقل، ثم

جزيرة سِترة، ثم جزيرة النبي صالح، وجزيرة حد وجزيرة أم نعسان.[1]

الكويت:

وهي ناحية شمالية في الأحساء، تحولت الآن إلى حكومة مستقلة، أرضها صحراوية، غير صالحة للزراعة، لا يوجد فيها الماء إلا في بعض أماكنها، وهنا حديقة أو حديقتان للنخيل، وهما على حدود العراق والأحساء، يستخرج البترول منها بكمية كبيرة، وقبل اكتشاف البترول كانت هذه المنطقة مشهورة بالملاحة وصناعة البواخر، فكان أهلها يستخرجون الدرر ويصيدون الأسماك، وقد اشتهرت مهارة إدارة السفن وملاحتها في الخليج العربي، فتحمل هذه المنطقة أهمية تاريخية بسبب وقوعها بين العراق وجزيرة العرب، وصارت الآن منطقة ثرية بالبترول بين شقيقاتها، ومن أشهر مدنها الكويت، والأحمدي والجهرة، والكويت والجهرة قريتان قديمتان، كانتا صغيرتين من قبل، وصارتا الآن مدينتين كبيرتين بالغناء والثراء، والكويت عاصمة، تقع على ساحل البحر، وعلى مسافة ثلاثين ميلاً على الساحل الأحمدي، التي عُمرت لإسكان موظفي شركة البترول، وإنجاز الوسائل الأخرى.[2]

---

[1] **البحرين:** تعتبر البحرين إحدى الدول الخليجية التي تقع شرق شبه الجزيرة العربية، وتعتبر المنامة عاصمتها، ويربطها جسر فهد الواصل بالمملكة العربية منذ عام ١٩٨٦م، والذي يقع في مدينة الخبر في السعودية، ويصل طوله إلى ٢٥/ كيلو متراً، ويبلغ عدد سكانها حسب إحصائيات سنة ٢٠١٠م حوالي ١,٢٣٤,٥٧١ مليون نسمة، بينهم ٦٦٦,١٧٢ غير المواطنين، وقد استقلت عن بريطانيا في سنة ١٩٧١م، وأعلنت بذلك دولة مستقلة، واللغة العربية هي اللغة الرسمية، وتعتبر البحرين رابع الدول الخليجية المكتظة بالسكان.

يرأس الملك حمد بن عيسى آل خليفة دولة البحرين في نظام ملكي دستوري، ومنذ ما يُقارب مائتي عام والحكم بظل عائلة آل خليفة، وسُميت مملكة البحرين بذلك الاسم كدلالة على أنها تحتوي على مصدرين من الماء وهما عيون الماء الحلوة، والمياه المالحة المتواجدة بالبحار المحيطة بالمملكة، بينما كانت في العصر الإغريقي تُسمى باسم تايلوس ،وبعدها سُمّيت بأوّال قبل الرّسالة الإسلامية نسبة إلى صنم كان يُعبد آنذاك على شكل رأس ثور.

مملكة البحرين من الممالك ذات التاريخ القديم، فقد سكنها الإنسان قبل الميلاد، وقبل وصول الإسلام إليها كانت موطناً للديانة المسيحيّة النسطورية، وتعاقبت على حكمها الكثير من الحضارات المختلفة، وعند اكتشاف النفط في عام ١٩٣٢م نمت نمواً كبيراً في اقتصادها. نالت مملكة البحرين استقلالها عن بريطانيا وانسحابها من أراضيها عام ١٩٧١م.

٢ **الكويت:** بلد يقع في شبه الجزيرة العربيّة في الجهة الشماليّة الغربيّة من الخليج العربي، وتُعتبَر الكويت إمارة صغيرة الحجم، حيثُ تُوجَد في المنطقة الواقعة بين المملكة العربيّة السعوديّة وجمهوريّة العراق، أمّا اسم الكويت فهو مشتق من كلمة

الكوت، معناها: القلعة. وتنقسم الكويت إدارياً إلى ست محافظات، هي: محافظة الكويت، ومحافظة الجهراء أكبر المحافظات، ومحافظة الأحمدي، ومحافظة مبارك الكبير، ومحافظة حولي، ومحافظة الفروانية.

يصل عدد سكان الكويت وفقاً لإحصاءات عام ٢٠١٦م إلى ما يقارب ٢,٨٣٢,٧٧٦ نسمة، واللغة العربيّة هي الرسميّة.

قبل عام ١٧٠٠م عاشت على الأرض الكويتيّة القليل من القبائل العربيّة، وفي عام ١٧١٠م تمّ اكتشاف المياه النقيّة في أرضها، مما أدى إلى هجرة العديد من الناس إليها، وفي عام ١٧٥٦م اختارت القبائل العربيّة في الكويت حاكماً لها من أسرة الصباح، وفي عام ١٧٧٥م اعتمدت بريطانيا على الأراضي الكويتيّة، لتكون الطريق الرابط بينها وبين مدينة حلب في سوريا، ولنقل البضاعة من الهند إلى بريطانيا. أصبحت الكويت في عام ١٨٩٩م تَتْبع للحماية البريطانيّة، وفي عام ١٩١٤م اعترفت بريطانيا بالكويت كدولة مستقلة، وبعد الحرب العالميّة الثانيّة واكتشاف البترول في الكويت، أدّى ذلك إلى تحوّلها من بلد فقير إلى بلد غني، وفي عام ١٩٦١م حصلت الكويت على استقلالها الرسمي عن بريطانيا.

الربع الخالى

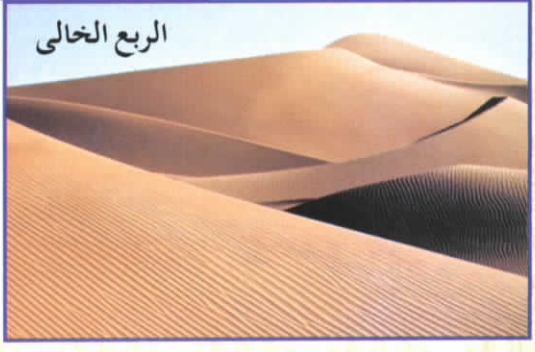

الباب الرابع

فصول جزيرة العرب وأمطارها

قلة الماء في جزيرة العرب:

تقع جزيرة العرب في منطقة حارَّة، وهي أرض قفر باستثناء بعض مناطق نجد، وجبال عمان وعسير واليمن، فإن معوَّل الحياة في صحارى جزيرة العرب وميادينها الجافة أودية تمرّ بها أو ينابيع أو أرض ذات نخل، يصل بها مقدار قليل من الماء إلى جزيرة العرب، فتتوافر إمكانيات الزراعة.

يقل الماء في أكثر مناطق جزيرة العرب، فيضطر سكان بعض مناطقها إلى ادخار ماء المطر لينتفعوا به طول السنة، ويكون هذا الماء كدراً، وفاسداً بمرور الزمن.

إن جزيرة العرب محاطة بالجبال الشاهقة من جهات شتى، وهي تمنع السحب الفصلية من الدخول إلى جزيرة العرب، فتتطاير سحب من الشمال لقلة الحواجز، وتكون سبباً لنزول المطر على المناطق الشمالية والوسطية وخاصة على جبالها، وبما أن أرض جزيرة العرب حجرية أو صحراوية، وينجذب الماء قليلاً فيها، فيسيل إلى أرض منخفضة بعد المطر، أو ينجذب قليل منه، فيجتمع في صورة بئر أو ينبوع، ويُنتفع به، وليس هناك منبع للماء من نصف جنوب بادية الشام إلى حضرموت، فيكون فصل البلاد جافاً وحاراً، ولا تمطر السماء في صحراء الربع الخالي عامة، وفي المناطق الأخرى خاصة أحياناً إلى سنوات عديدة، وإن السنوات التي تكون خالية من المطر تعرف باللغة العربية بالشهباء والسنة، وتعتبر أجدب السنوات، قال الله تعالى: وَلَقَدْ أَخَذْنَآ آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (الأعراف: ١٣٠) فآبارها تجف، وكان العرب يتنقلون من مكان إلى مكان آخر باحثين عن الماء والأرض الخصبة، فكانت حياة العرب القبلية واللصوصية نتيجةً لهذه البيئات والأوضاع، فجاء الإسلام وغيَّرها من قوته الخارقة وتأثيره المتزايد، وظل أثر قلة المياه على عمرانها، فكانت نسبة سكانها قليلة بالنظر إلى سعة البلاد، وكلما ازداد

عدد سكانها هاجروا إلى بلدان أخرى من قلة الإنتاج وضآلة مرافق الحياة، فلم يكن العرب محدودين في جزيرتهم، بل انتشروا في بلدان شمال جزيرة العرب وفي النصف الشمالي من قارة إفريقيا عامة، وفي البلدان المجاورة خاصة، وكان العرب الأولون دعاة الإسلام فانتشروا في مناطق شتى، وكان نشر الإسلام أيضاً سبباً كبيراً في هجرتهم إلى بلدان أخرى رغم جفاف جزيرة العرب.

فصول جزيرة العرب:

تنقسم السنة في شمال جزيرة العرب في أربعة فصول: الشتاء (من ٢٢/ ديسمبر) والربيع (من ٢٢/ مارس) والصيف (من ٢٢/ يونيو) والخريف (من ٢٢/ سبتمبر) وينزل المطر عامة في الشتاء، وتشتد الحرارة في يوليو، وأغسطس، فالشهر الفصلي (السنبلة) الذي يقع في أغسطس وسبتمبر يُقدم على سبيل المثال للحرارة الشديدة.

وإن شهور العرب الفصلية التي تُعرف بأسماء البروج السماوية هي كما يأتي حسب الفصول: الجدي والدلو والحوت في الشتاء، والحمل والثور والجوزاء في الربيع، والسرطان والأسد والسنبلة في الصيف، والميزان والعقرب والقوس في الخريف.

يعبِّر العرب عن البرج الأول من كل فصل بالمنقلب، لأن الفصل يتغير منه، وآخر الأبراج من كل فصل تُعرف بذات الجسدين، وهم يستعملون للصيف كلمة القيظ أيضاً، كما يستعملون لموسم الخريف كلمة الربيع أحياناً.

يفتتح العرب السنة من فصل الشتاء، والليل والنهار بالليل، فقد أشار القرآن الكريم إليه، قال الله تعالى: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً. وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً (النبأ: ١٠ — ١١) وقال: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ (الإسراء: ١٢) وقال: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ. وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (الليل: ١ — ٢).

وقد انقسمت السنة عند أهل الحجاز في ستة فصول، أسماؤها كما يأتي: الوسمي، الشتاء، الربيع، الحميم، الخريف، كما قسم العرب السنة من نزول المطر إلى ثمانية أقسام: الوسمي، الولي، الشتي، الوفي، الصيف، الحميم، الرمضي، الخريفي.

وقد قسم العرب السماء في ٢٨/ منزلاً، يدور فيها القمر، ويغطي برج واحد مساحة منزلين وربع منزل. وبما أن مطلع ومغرب

الشمس يتعددان باختلاف فصول الصيف والشتاء، فتعددت مشارقها ومغاربها، قال الله تعالى: رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ (المعارج: ٤٠).

ويوضّح العرب فرق الفصول بالنجوم أيضاً، فيستعينون بعلم النجوم في تعيين الفصول ومعرفة الطرق وجهاتها، وكانوا مطلعين عليه عملياً، مثلا الجوزاء، الذي هو آخر البروج في الربيع، ويطلع في آخر مايو وبداية يونيو، والثريا الذي يطلع في بداية يونيو، يذكره شاعر الحماسة:

إذا شالت الجوزاء والنجم طالع
فكل مفازات الفرات معابر

وإن كان كل كوكب يعرف باللغة العربية بالنجم، لكن الثريا يُسمَّى بالنجم نظراً إلى أهميته.

وإن جهة بنات النعش تكون إلى الشمال، وجهة سُهيل إلى الجنوب، فيقول شاعر الحماسة وهو يخاطب حبيبته:

ذَريني ما أمَمْتُ بناتِ نَعْشٍ
من الطَّيفِ الّذي يَنْتَابُ لَيلاً
ولكنْ إنْ أَرَدْتِ فهَيِّجِينَا
إذا رَمَقَتْ بأعْيُنِهَا سُهَيْلاً

تشتد الحرارة عامةً في جزيرة العرب، وتتفاوت درجاتها باختلاف الليل والنهار والشتاء والصيف، ذلك لأن فصول هذه المنطقة جافة وغير رطبة بفقدان الغيث والماء، وإن الأرض والفضاء في فصول غير رطبة يكونان حارين وباردين، فتزداد درجة الحرارة في جميع مناطق جزيرة العرب، وتشتد حرارة الشمس في وسطها، وإن انخفاض درجات الحرارة يكون في أمكنة يرتفع فيها سطح الأرض، أو تكون فيها نسبة المطر كثيراً، ومن المناطق التي تكون أشد حرارة سواحلها الشرقية، وسواحل البحر الأحمر، وخليج عدن والربع الخالي، ومن المناطق التي تكون أقل حرارة عمان، وعسير، وأمكنة جبلية في عسير واليمن، ومناطق مرتفعة من نجد والحجاز الشمالي والجنوبي، هذه الأمكنة أقل حرارة بارتفاعها.

إن درجة الحرارة في الصيف في المناطق الحارة حوالي C/٣٥، أي لا ينخفض من درجة ٩٨، وأحياناً ترتفع فتتصاعد حوالي C/٥٠،

فلا تكون مبعث أذى بالغ، لأن الريح التي تهب على سواحل البحر والتهامات تكون رطبة، هذا ما أشارت إليه الكتب الأدبية القديمة، يقول بديع الزمان الهمذاني في مقاماته، وهو يضرب المثل: ليل كليل تهامة لا حر ولا برد ولا سآمة.

تنخفض نسبة الحرارة بالأمطار التي تنزل في تهامات اليمن وحضرموت وعمان وغيرها، فتهب رياح باردة من الشمال في شمال ووسط جزيرة العرب، فيكون الشتاء شديداً في هذه المناطق، وتكون حياة هذه الفترة شديدة، وإمكانيات الاقتصاد محدودة، فاعتُبر الجود والسخاء في هذه الفترة أولى وأهم من الفترات الأخرى، ويتناول الشعراء موضوع الجود والسخاء في هذه الفترة كثيراً، يقول شاعر في مدح أصدقاء له:

والمُطْعِمُونَ إذا هبَّتْ شآميةً
وبَاكَرَ الحيَّ مِنْ صُرَّادِهَا صِرَمُ
وشَتْوَةٍ فَلَّلُوا أنياب لَزْبَتِها
عَنْهُم إذ كَلَحَتْ أنيابُها الأُزُمُ
حَتَّى انجلى حدُّها عَنْهم وجارُهُمُ
بنَجْوةٍ مِنْ حِذارِ الشَرِّ مُعتصمُ

وقال الفرزدق أشهر الشعراء في العهد الأموي:

إذا اغبرَّ آفاقُ السَّمَاءِ وكَشَّفَتْ
بُيُوتاً وَرَاءَ الحيِّ نَكْبَاءُ حَرْجَفُ
وأصبَحَ مُبْيَضُّ الصَقِيعِ كأنَّهُ
على سَرَوَاتِ النِيْبِ قُطنٌ مندَّفُ
تَرى جارنا فينا بخيرٍ وإن جَنَى
فلا هو مما يُنْطِفُ الجَارَ يُنطَفُ

وتكون مياه البرك والحفر في هذا الفصل صافيةً ونظيفةً، ويتلذذ بكثرة برودته، فيظن العرب ماء الشتاء رائقاً ولذيذاً، ويضربون المثل بصفائه ولذته، وقال شاعر:

فَمَا نُطْفَةٌ مِن ماءِ مُزنٍ تَقَاذَفَتْ
بِه جَنْبَتَا الجودي، واللَّيلُ دَامِسُ
فلما أقرَّتْهُ اللِصَابُ تَنَفَّسَتْ

شَمَالٌ لأعلى مائه وهو قارسُ
بأَطيبَ من فيها وَمَا ذُقْتُ طعمَه
ولكنني فيما ترى العَيْنُ فَارِسُ

إن من أسباب ازدياد الشتاء في شمال ووسط جزيرة العرب رياحاً باردة تهب من الشمال، وفي جنوبها ارتفاع هذه المناطق، وشتاء جافاً في المناطق المنخفضة، نظراً إلى هذين السببين تشتد البرودة في موسم الشتاء، وتنخفض نسبة الحرارة في هذا الموسم أقل من C/١٨ ، وتبلغ في بعض المناطق أحياناً إلى درجة الصفر.

كما أن هناك تبايناً في الفصلين الشتاء والصيف في فصول جزيرة العرب، كذلك يختلف موسم الليل والنهار في فصل الصيف، يكون النهار شديداً في الأمكنة الصحراوية خاصةً، ويكون الليل بارداً وقارساً، وإن الريح الشرقية في شمال ووسط جزيرة العرب تُعرف بريح الصَبا، وتكون معتدلةً وبهيجةً، والريح الشمالية تكون قارسةً بصفة خاصة في فصل الشتاء، وبالعكس أن الريح الجنوبية تكون حارةً ومسمومةً، وإذا بلغت الريح إلى غاية الشدة تعرف بالسموم، ويهب اللفح والسموم من الصحراء، ويكونان مسمومتين ومهلكتين، وإن الضغط والاضطراب الموسمي في فصل الصيف في البحر المتوسط يدفع رياح جزيرة العرب، فتهب رياح الصحراء الحارة إلى جهة الشمال، وهي تكون لفحاً، وتعرف بالدبور، لأنها تخالف الريح الباردة من الشمال، كان العرب يتعوذون منها، وتنسب إلى مناسبات مكروهة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور[1]. وقد مرَّ ذكر إضرار السموم ضمن الريح الخالي.

أمطار جزيرة العرب:

تحمل الأمطار أهمية كبيرة لدى العرب، فهم ينتظرونه بشوق بالغ، ويرحبونه بسرور كبير، ويذكرونه بأسلوب شيق، توجد في الأدب العربي أسماء مختلفة لأنواع الأمطار، الوسمي أول المطر، والولي الذي يليه، وبما أن المطر مبعث حياة العرب، فمن أسمائه الغيث، والحياة، إن الأودية تزخر بنزول المطر وتسقي المناطق المجاورة، والعرب

[1] صحيح مسلم، رقم الحديث: ٩٨٨.

يحتفظون بالماء الذي يكون في الحُفر من المناطق الجبلية الجافة، ويستعملونه بكل حيطة، وتوجد أسماء لهذه الحفر باللغة العربية حسب مقادير الماء، والشعر العربي حافل بذكر مياهها.

إن هناك نظامين للمطر في البلدان العربية مثل المناطق الأخرى في العالم: فصل الشتاء وفصل الصيف.

مطر الشتاء:

ينزل المطر كثيراً في هذا الفصل في شمال ووسط جزيرة العرب، ومن نظامه أن سحب البحر المتوسط في فصل الشتاء تأتي إلى خط السرطان في جزيرة العرب وتمطر مطراً، وتقع فيها مناطق نجد والحجاز، ولا يكون مقدار المطر كثيراً، هذا من ٨٠ إلى ٢٠٠/ م – ل. وينزل المطر في المناطق المنخفضة أو على السواحل مثل الأحساء وتهامة والحجاز قليلاً، ويكثر المطر في المناطق المرتفعة مثل نجد وشمال الحجاز، وتقدر نسبة نزول المطر في جدة ٨٠/ م – ل.

إن شدة المطر التي تستمر في صحراء جزيرة العرب إلى شهر أكتوبر تجرُّ سحب البحر المتوسط، فتبتدئ سلسلة المطر من بعد أكتوبر إلى أبريل، وهذا المطر يكون قليلاً حسب المقدار، فتكون المناطق محرومة من المطر في بعض السنوات، وإذا لم ينزل المطر في سنة عرفت بالسنة الشهباء أو السنة.

الربع الخالي يأتي في مناطق مطر الشتاء، لأن في جنوبه وغربه جبالاً مرتفعة، تمنع السحب الفصلية من الصيف، إن السحب الشمالية تصل إلى الربع الخالي بمقدار ضئيل، فتمر سنوات، ولا تمطر السماء، لكن تمطر السماء في صحراء النفوذ كل عام، وإذا نزل المطر في هذه الصحاري نبتت الحشائش الشيطانية بأقل مقدار من الماء، وتخضر فيها الأرض، وتكون هذه الخصبة نعمة كبيرة للأعراب، فيستفيد منها سكانها والذين يجاورون هذه المناطق، وإن آثار المطر لا تبقى أكثر من ثلاثة أو أربعة شهور، ثم تنتقل هذه القبائل إلى أمكنة أخرى، فيهجرون هذه المناطق.

وكثيراً ما يتأثر بمطر الشتاء مناطق نجد، فهناك جبال مرتفعة، تجعل مناطق عديدة مخصبة وخضراء، منها جبال أجا

وسلمى، وهي جبال تقع في منطقة شمّر[1]، والجدير بالذكر فيها جبل طويق وهو جبل العارض، الذي يقع في شمال اليمامة، وينزل المطر أيضاً في عمان في هذا الفصل، وتأتي سحبه من الخليج العربي.

مطر الصيف:

ونظام آخر للمطر وهو مطر الصيف، وهذا المطر تابع لرياح فصلية تأتي من جنوب العرب، يقع فيه عسير واليمن وحضرموت وظفار، ويقل هذا المطر في بلاد عسير بسببين مهمين: إما لبعده من جهة الرياح أو لعدم جبال مرتفعة في حضرموت، لكن ينزل المطر في اليمن كثيراً، لأن الرياح الفصلية تهب عليها مباشرة، وتوجد في اليمن جبال مرتفعة، وهذه السحب ترتفع من بحار الجنوب، وفصل المطرهنا نفس الفصل في الهند الشمالية، فينزل فيه المطر كما ينزل المطر في الهند الشمالية، وهو أصل المطر في هذا الفصل، يستمر من يونيو إلى أكتوبر، وينزل المطر قليلاً بعد الشتاء وفي بداية الصيف في هذه المنطقة، وإن مقدار مطر اليمن حوالي ٥٠٠/م – ل سنوياً، ويبلغ هذا المقدار أحياناً إلى ١٠٠٠/ م – ل، وتمتلئ الأودية بنزول المطر، لكن لا يستقر الماء في هذه الأودية بجفاف هذه الأرض وصحراويتها، بل ينتقل بسرعة إلى البحر أو الصحراء، وقد أقيم سد في مدينة مأرب في عهد سبأ (العهد المتطور لهذه المنطقة) يمسك منه الماء ويستعمل طول السنة، لكن تهدم هذا السد بعصيان الله تعالى والفساد في الأرض، وانتشر الدمار في كل مكان، وسيأتي ذكر ذلك ضمن قوم سبأ.

المطر عند العرب:

يحمل المطر أهمية كبيرة في حياة العرب خاصةً في مناطقها الشمالية، فكانوا ينتظرونه بشوق بالغ، لأنه كان معول حياتهم، توجد في أدبهم أسماء كثيرة حسب مقدار المطر ومدته، مثل الرُذاذ للرشاش القليل، والطَش للرشاش الكثير، والطل للمطر القليل، والوابل للمطر الغزير، والديمة للمطر المتواصل، قال الله تعالى: وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

---

[1] منسوبة إلى شمر بن عبد الله بن جذيمة بن زهير بن ثعلبة.

(البقرة: ٢٦٥)

وقال شاعر:

هِجَانُ الحَيِّ كَالذَهَبِ المُصَفَّى
صَبِيحَةَ دِيمَةٍ يَجنِيهِ جَانِ

والوسمي لأول مطر الفصل، قال امرؤ القيس:

وَقَد أَغتَدِي والطَّيرُ فِي وكنَاتِها
لغيثٍ مِنَ الوَسْمِيِّ رَائِدُهُ خَالِي

والولي لآخر مطر الفصل، قال طرفة بن العبد:

حدائقُ مولي الأسرَّةِ أغيَدِ

والأمكنة التي يجتمع فيه ماء المطر وينجذب فيها توجد لها أسماء عربية: مثل:

الغدير: البركة التي اجتمع فيها الماء مروراً بها.

والروضة: الموضع الذي كان مسطحاً، فاجتمع الماء وانجذب فيه، ونبتت فيه أزهار ونباتات.

والقاع: الموضع الذي يجتمع فيه الماء أحياناً، والحسي: الأرض التي يكون داخلها صلباً، ولا تجذب الماء جذباً بل يذهب الماء إلى قعرها، فإذا حفرت قليلاً خرج فيها الماء، والحسي جمعه الأحساء، وهو موضع في الساحل الشرقي من جزيرة العرب.

يستعمل العرب أسماء مختلفة لبرك الماء، مثل القرارة: حفرة الجبال التي يجتمع فيها الماء، قال شاعر:

جادَت عَلَيهِ كُلُّ بِكرٍ حُرَّةٍ
فَتَرَكنَ كُلَّ قَرَارة كالدِّرهَم

والوشل: الحفرة التي تكون على الجبال أو صخرة صلبة، ويترشح منها الماء، قال شاعر الحماسة:

اقرأ على الوشل السلامَ وقُل لَهُ
كُلُّ المَشَارِبِ مَذْ هجرتَ ذميم

الثمد: الحفرة التي يكون فيها ماء قليل، ويجف بحرارة الشمس، جاء في الحديث النبوي في قصة صلح الحديبية: حتى نزل

بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء، يتبرضه الناس تبرضاً[1].

والعرب يفرحون ويبتهجون أشد الابتهاج بنزول المطر، ويتجلى هذا الفرح والابتهاج من شعرهم، وإن تضاريس بلدانهم تدل على أن ابتهاجهم بالمطر فطري، قال شاعر:

فلما نزلنا منزلاً طلّهُ النّدَى
أنيقاً وبُستاناً مِنَ النّورِ حَاليَا
أجدَّ لنا طِيبُ المكان وحُسنُه
منىً، فتمنَّينا فكُنتِ الأَمانيا

وقال آخر:

ألا يا حبَّذا نَفَحاتُ نجدٍ
وريَّا روضِه بَعدَ القِطَارِ

[1] صحيح البخاري، كتاب المغازي، غزوة الحديبية، رقم الحديث: ٤١٥٠ – ٤١٥١.

الباب الخامس

أودية جزيرة العرب ونباتاتها

الأودية:

يسيل ماء المطر في المناطق الميدانية خروجاً من الجبال، ويمرُّ بوهادها، فتسمى هذه الممرات بالأودية، وهي تشبه الأنهار والبحار زمن السيول، وإذا انتهى زمن السيول أصبحت يابسة عامة، لكنها تخضرُّ اخضراراً بمرور المياه حيناً لآخر، فتكون هذه المياه سبباً للاخضرار، يختلف طول وعرض هذه الأودية، فتمتد في بعض الأمكنة إلى مئات من الأميال، وتقصر في بعضها، فيقدر عرضها في موضع أربعين ميلاً، وفي موضع آخر عشرة أو عشرين ذراعاً، تخلو جزيرة العرب من الأنهار، فتحمل هذه الأودية فيها أهمية كبيرة، وقد ورد ذكرها مراراً في الشعر العربي، تقول أبرز شواعر العرب السيدة الخنساء بنت تماضر عن أخيها صخر:

حمَّالُ أَلْوِيَـة هَبَّـاطُ أوديَةٍ
شهّـادُ أنْـدِيَةٍ للجيش جَـرَّارُ

ويقول كثيِّر بن عبد الرحمن عن حبيبته عزة:

حَـــلَّتْ بهذا حَلَّةً ثم أصبحـتْ
بأُخرى فطاب الواديانِ كِلاهُمَا

وإن مجاوزة الماء المقدار يضرب به المثل العربي، فيقول العرب: طم الوادي على القري، إذا كان الوادي في المناطق الجبلية سمي بالأبطح والبطحاء، مثل بطحاء مكة أو أبطح مكة، أي الوادي الذي تقع فيه مكة المكرمة، وسُمي النبي صلى الله عليه وسلم بالأبطحي نسبةً إليها، وتعمر فيها المساكن والمنازل، ويزرع العرب في أودية جزيرة العرب، فتكون فيها أشجار النخيل وتوجد فيها قرى وأرياف، وإن أودية جزيرة العرب مئآت نذكرهنا عدداً من أطول وأكبر الأودية، منها:

وادي الرمة:

يسيل من المدينة المنورة مخترقاً منطقة نجد إلى الشرق، وهو واسع جداً، ويكون عرضه في بعض الأمكنة أربعين ميلاً، ومن قرى

وادي الرمة
وادي الباطن
الخليج العربي
وادي حنيفة
خليج عُمان
وادي البنات
البحر الأحمر
وادي ضيقة
وادي الدواسر

جبال السراة

هذا الوادي الشهيرة عُنيزة وبريدة في منطقة القصيم، ويمر الطريق بالعراق والكويت وشمالي نجد إلى المدينة المنورة من هذا الوادي، وفيه واد أصغر من نجد باسم جريب.

وادي الدواسر:

يسيل هذا الوادي من جبال اليمن مروراً بنجد إلى الربع الخالي، وكان يسمى فلجاً أو الأفلاج، وفيها قرى متعددة على مسافات محدودة، وتسمى هذه المنطقة في قديم الزمان بالعروض.

وادي حضرموت:

وهو أيضاً من الأودية الكبيرة، وهو أطول واد يبلغ طوله مآت الأميال، يسيل من اليمن مخترقاً المناطق بين جبال حضرموت صوب الشرق والجنوب، وفيه أهم مدن حضرموت وقراها، ظلت من بينها مدينة تريم التي تحمل أهمية تاريخية، ويُعتبر مركزاً لمنطقة حضرموت.

وادي السرحان:

يسيل من شمال وغرب بادية الشام إلى جنوبها، وينتهي إلى نخيل الجوف الواقعة في الضفة الشمالية من صحراء النفوذ، وتمر القوافل الآتية بسوريا إلى الحجاز بأجزاء كبيرة من هذا الوادي، وكانت تعرف الجوف في قديم الزمان باسم دومة الجندل، وقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى حاكمها رسالة مباركة[1].

وادي نجران:

يسيل هذا الوادي من جبال اليمن إلى الربع الخالي، وفي جانبه موضع نجران، الذي كان موطن النصارى قبل الإسلام.

وادي إخم (حمص):

هذا الوادي يسيل في الضفة الغربية ويتصل بالبحر الأحمر، خروجاً من قرب المدينة المنورة صوب الشمال إلى حد كبير، وتنضم إليه أودية مجاورة، وهذا الوادي يمر بالمدينة المنورة، وكان يعرف في قديم الزمان بإضم، معناه مكان الاجتماع، قال البوصيري في قصيدته:

أم هبَّتِ الرِّيحُ من تِلقَاءِ كَاظِمَةٍ

---

[1] حاكم دولة الجندل هو أُكيدر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

أَمْ أَومَضَ البَرقُ في الظَّلماءِ من إِضَمِ

وكاظمة موضع قرب المدينة المنورة.

وادي العقيق:

هذا الوادي يتجه من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، تمر به القوافل القادمة من المدينة إلى مكة، هذا الوادي غير وادي العقيق الذي يجاور المدينة المنورة، ويذهب من جنوب غرب الوادي إلى شمال غربه، وظل منتزهاً للمدينة المنورة في قديم الزمان.

وادي القرى:

هذا الوادي نُسب إلى قوم ثمود، وامتد في شمال المدينة المنورة على جهة الشام، فكانت تمر به القوافل التي تغدو وتروح بين المدينة والشام، وكانت قُرى قوم ثمود في بعض مناطقها، ورد في القرآن الكريم ذكر هذا الوادي في قصة ثمود، قال الله تعالى: وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُواْ الصَّخْرَ بِالْوَادِ (الفجر: ٩) ففيه مدائن صالح التي تنتمي إلى قوم ثمود، كما أن فيه موضعاً باسم الحجر أيضاً.

هذه أودية كبيرة في جزيرة العرب، تجعل مناطق مختلفة من جزيرة العرب خضراء، أما الأودية الصغيرة فلا يمكن إحصاؤها، وتمر خمسة أودية أيضاً من خلال المدينة المنورة.

تتفجر عدة ينابيع من مواضع مختلفة لجزيرة العرب، وفي هذه الأودية أراض ذات نخل بين صغير وكبير، وتقام سدود التمور في هذه الأودية والينابيع، وتغرس أشجار ذات ثمار ونباتات أخرى.

الماء:

لا يوجد في جزيرة العرب إلا في بعض مناطقها الماء الجاري، فالماء الذي يجري ينبع من عين خاصة، وفي جزيرة العرب عيون الماء كثيرة، وفي المدينة المنورة بالذات ٢٤/ ينبوعاً، من أهمها عين الزرقاء، وفي مكة المكرمة بئر زمزم، وعلى بعد خمسة عشر ميلا من بئر زمزم عين زبيدة، التي هي قريبة من الطائف، فقد أُرسل ماؤها من طريق عرفات إلى مكة، وفي الأحساء ونجد وخاصة جبال طيئ عيون متعددة جيدة، فمناطق اليمن وحضرموت تتميز بها عن غيرها، ولا سيما وادي اليمن، وادي الحجر من حضرموت الغربية، وبعض أودية عمان واليمن، وبعض أنهار الأحساء وعيونها. فيمسك سكان هذه

المناطق الماء ويختزنونه، أما الماء الذي انجذب من الأودية فيوجد بأدنى حفر في الأرض، مثل وادي حضرموت، وشرق الربع الخالي وبعض مناطق الأحساء ونجد.

فالمواضع الشهيرة التي يتوافر فيها الماء هي على ما يأتي:

الجوف على الضفة الشمالية من النفوذ، وحائل في شمر، والمدينة المنورة والطائف وعين زبيدة في الحجاز، وإن ماء جزيرة العرب تختلف أنواعه، ففي موضع ملح أجاج يُستعمل لشرب الإبل فقط، وفي موضع آخر مالح قليل يُستعمل لسقي الزرع، لا لشرب الإنسان، وفي موضع حار ومتوسخ ومتأثر بالمعادن، ومثل هذا الماء يوجد كثيراً في جنوب اليمن، وحضرموت والأحساء والحجاز، وما يوجد من الماء في غير هذه المواضع يكون عامة عذباً.

النباتات:

تقل النباتات في جزيرة العرب بفقدان المياه، وما يوجد في جزيرة العرب من نباتات وأشجار هي في الأودية والمناطق الخضراء أو في سهول الجبال التي تمطر عليها السماء.

التمور:

النخيل أكثر أشجار جزيرة العرب إنتاجاً، بل الموضع الأصيل للنخيل جزيرة العرب، وهي من نبات المناطق الحارة، فإن أشجارها التي تعرف بالنخيل تكون حول أودية جزيرة العرب وعيونها، وإن أرض جزيرة العرب أكثر صلاحية لهذه الشجرة، ويكثر نباتها في الحجاز وحضرموت وعمان واليمامة ونجد، وفي الجانب الشرقي لبادية العراق على جوانب شط العرب، وإن شط العرب المنطقة الجنوبية في العراق، التي يسيل فيها دجلة والفرات غير منفصلَين، وهي الجانب الشمالي والشرقي في جزيرة العرب الذي يعتبر جزءً من جزيرة العرب وتنبت النخيل بدون زراعة في أودية حضرموت، وأجود تمور الحجاز تمور المدينة المنورة، فإن لها حوالي مأة نوع.

تقدَّر نسبة تمور العالم في شط العرب (العراق) وهي ٨٠/ في المأة، فإذا فصلت تمور العراق من جزيرة العرب كانت جزيرة العرب في العالم بكثرة نخيلها في الدرجة الرابعة، وكان العراق في أول درجة، يوجد في العراق غير ذلك اثنان وثلاثون مليوناً من أشجار

النخيل، وفي جزيرة العرب أربعة ملايين من النخيل.

والنخيل في عمان واليمامة والحجاز أيضاً كثيرة، ومما يدل على كثرتها أن التمر صار بديلاً للغلّة في صدقة الفطر، وقد ثبت أن في اليمامة مقداراً كثيراً للنخيل، تدل عليه هذه الجملة: وجدتُ العلم ببغداد أكثر من الجريد باليمامة، وفي المثل العربي: كناقل تمر إلى هجر.

هجر قرية في الأحساء في الشرق قرب اليمامة، حيث تزرع فيها التمور، والتمر يكون ذكراً أو أنثى، وتثمر التمور الأنثى بالتلقيح عامة، وإن شجرة التمر تثمر بعد ١٥/ عاماً، ويكون مقدار التمور فيها من أربعين إلى خمسين كيلو غراماً، وإن ارتفاع شجرتها من عشرين إلى ثلاثين متراً، وتبقى من مأة إلى مأتي عام، فإذا كان ثمر النخيل فجاً سمّي بلحاً، وإذا نضج وصار لذيذاً سمي رطباً، وإذا كان جافاً منصفّاً وبائتاً سمي تمراً، وإذا صار بالياً أو شبه فاسد سمي حشفاً، قال الله تعالى: وَهُزِّي إِلَيكِ بِجذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِياً (مريم: ٢٥)

وللتمور مآت من الأنواع، ويكون بعضها أردأ، بحيث تأكلها الإبل، وبعضها أحلى من السكر وقصبه، وتستعمل بدلاً منه، وبعضها ألذ وأطيب لا يساويها ثمار الدنيا، والتمور أهم أغذية العرب، تستعمل أجزاؤها في أعمال مختلفة، فإن خشب النخيل وأوراقه ونوى التمر تستعمل لحاجيات متنوعة في حياة العرب، وقد دخل التمر في حياة العرب بحيث يضرب المثل في كثير من الأشياء.

إذا باع أحد شيئاً فاسداً، وطفف أيضاً في الوزن أو خان مثله من الخيانات، فيقول العرب: أحشفاً وسوء كيلة.

والتمر مضرب المثل في جزيرة العرب، يوجد كل وقت بسهولة قال الشاعر:

لا تحسَبِ المَجدَ تمراً أنتَ تأكلُه

وقد شبَّه النبي صلى الله عليه وسلم شجرة التمر في الانتفاع بها في كل صورة بالمؤمن، ورد في الجامع الصحيح للإمام البخاري: عن ابن عمررضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المؤمن، فحدثوني ما هي ؟ قال: فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبدالله: ووقع في نفسي أنها

النخلة، فاستحييت ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم! قال: هي النخلة.[1]

وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم في أنواع التمور تمرة العجوة مدحاً كثيراً، واعتبره نافعاً في السحر والسم، قال صلى الله عليه وسلم: من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر.[2]

ويضرب المثل ببعض أجزاء التمور في مواضع القلة والكثرة والشدة واللين، كما وردت في القرآن كلمات قِطمير ونقير وفتيل، والقطمير هو الغلاف الذي يكون على نوى التمر، والنقير هو الشق الذي يكون على جانب من نواه، والفتيل هو الخيط الذي يكون على اختراق نوى التمر، قال الله تعالى: وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (فاطر: ١٣) وقال: فَإِذاً لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً (النساء: ٥٣) وقال: وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً (النساء: ٤٩).

وتكثر أشجار التمر في جزيرة العرب، فلما توجد مواضع من أرضها الخضراء لا تنبت فيها شجرة التمور، وقيل عن الحجاز: ليست هنا منطقة أقل ارتفاعاً من ستة آلاف قدم، لا تنبت فيها شجرة التمور، فلا تنبت شجرة التمور على مواضع مرتفعة، لأنها نبات حار، وقد سميت جزيرة العرب وكل موضع أخضر في المناطق الصحراوية بأرض النخيل، لا يخيل إلى أحد أن كلمة "نخلستان" تشير إلى موضع لبستان النخيل، هذا تعبير أردي، ويعرف بستان التمر بالنخيل في اللغة العربية، وتستعمل كلمة "الواحة" لأرض النخيل باللغة العربية أيضاً.

نباتات أخرى مهمة في جزيرة العرب:

توجد كثير من الثمار غير التمر في جزيرة العرب، وهي تتوافر بقدر مشترك في البلدان الأخرى أيضاً مثل الرمان والأعناب والتفاح، فتكرر ذكر هذه الثمار في القرآن خلال نعم الجنة.

هناك نباتات صحراوية أيضاً، وهي من المواضيع المحببة لدى العرب، بقلة النباتات والأشجار في جزيرة العرب، فلا يخلو شعرهم وأدبهم منها، ومنها السمر، والأثل، الطرفاء، والغضا، والأسل،

---

[1] صحيح البخاري، كتاب العلم.
[2] صحيح البخاري، كتاب الأطعمة.

والبان، والطلح، والسدر، والحناء، والسلم، والضال، وعرار، والأراك، والحنظل، والخزامى، ورد ذكر الطلح والسدر في القرآن الكريم: فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ، (الواقعة: ٢٨ - ٣٢) ويكثر السلم والسمر في مناطق نصف صحراوية، وورد ذكرهما في قصص السيرة النبوية، كما لا يخلو الحديث الشريف من ذكرها.

وقد تناول شعراء نجد خاصةً في الغزل أشجار الغضا، ويوجد الغضا وعرار كثيراً بوجه خاص في منطقة نجد، قال شاعر:

بلى إن بالجزع الذي ينبت الغضا
إلي وإن لم ألقه لمداويا
فما لي إن أحببت أرض عشيرتي
وأبغضت طرفاء القصيبة من ذنب
فجاء كخوط البان لا متتابع
ولكن بسيما ذي وقار وميسم

وقال آخر:

تمتع من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار

سميت الرماح بالأسل، لأن شجرة الأسل تشبه الرماح الطويلة، قال حسان بن ثابت:

يبارين الأعنَّةَ مصعداتٍ
على أكتافها الأسل الظماءُ

وشجرة الأراك أشهى غذاءً للإبل، فكانت الأراك غذاءً للإبل، قال تأبط شراً:

أهزُّ به في ندوة الحيِّ عِطْفَه
كما هزَّ عِطفِي بالهجَان الأوارِكِ

وإذا اشتد الفقر اضطر أطفال العرب إلى شق نواة الحنظل وأكلها، فيُرون أحياناً جالسين في مواضع شتى، مطرقين رؤوسهم لشق نواته، يقول امرؤ القيس وهو يشبه نفسه بهذا المنظر:

كأني غداةَ البينِ يوم تحمَّلُوا
لدى سمُراتِ الحي ناقف حنظل

ويقول الحسين بن مطير وهو يشبه القلب المفعم بالحب بالخزامى:

يـمنّـيـنـنا حـتى تـرف قـلـوبنا

رفيف الخزامى بات طلٌّ يجودها

إن الشجيرات والأعشاب الصحراوية تنبت بالمطر في الميادين الرملية، ثم تجف بسرعة بعد وقوف المطر، ومن أهمها: عرار، وأشنان، والغضا، أما نباتات المناطق الخضراء وأشجارها فقد توجد فيها كما توجد في المناطق الأخرى الخصبة، وإن اختلاف الأمكنة وإن كان يحدث فيها فرقاً، لكن هذا الفرق لا يعبأ به.

الباب السادس

حيوانات جزيرة العرب ورياحها

الإبل:

لا يمكن أن تعيش على أرض جزيرة العرب الجافة الوعرة إلا الحيوانات الخفيفة، وبما أن الإبل تكون حيواناً كادحاً صبوراً، وأكثر تحملاً لآثار الأراضي الصحراوية، وفصولها الحارة، من الحيوانات الأخرى، فاختارها الناس في هذه المنطقة، وظلت أكثر نفعاً لسكانها، فلا يصلح هذا الحيوان إلا للصحراء، ويكون فيها مركباً، لأن حوافرها من اللحم المتراكم الذي يمنع الأرجل من أن تسوخ في الرمال، ومن خصائصها أنها تصبر كثيراً وتتحمل الحرارة والجوع والعطش كثيراً، ومنها أن في بطنها كرشاً، تجمع الإبل فيه الغذاء والماء، فتستعين بهما إذا اقتضت الحاجة إليهما، ويكون على ظهرها سنام، وهو مجموعة من الشحم، فتنتفع به أيضاً في حالة الجوع.

يستخدم العرب الإبل في رحلاتهم الصحراوية، وتكون نافعة لهم من جهات شتى، تقطع الإبل في ساعة واحدة خمسة أو ستة أميال، وفي أربع وعشرين ساعة تسير عامة خمس عشرة ساعة متتالية، وتستطيع أن تتحمل الجوع والعطش في الشتاء عشرة أيام، وفي الصيف ستة أيام متواليات، تعيش الإبل ثلاثين سنة، ويكون ثمنها حسب قدرها ما بين أربع جنيهات إلى ثمانين جنيهاً، وإن صوف الإبل جميل وناعم، وإن إبل نجد وعمان وأصوافها أكثر نعومة وجمالاً وحسناً، من صوف الذئب من كل ناحية، وإن لبنها يكون أكثر قوة ومتكوناً من أخلاط مفيدة، فلا يخرج منه السمن والزبد، هذا هو السبب فيما إذا كان الشحم كثير الاستعمال لدى العرب، فليست هنا كلمة مفردة للزبدة الخارجة من اللبن، ويستعمل العرب الآن للزبد كلمة السمن، ويُعرف الرجال الغلاظ والحيوانات الغليظة بالرجال السمناء والحيوانات السمينة، وإذا بلغت الإبل التاسعة من عمرها سميت بازلاً، واستحكمت آنذاك جارحة وقوة، فلا تتحمل الإبل فقط مشاق الصحراء، بل تملك قوة خارقة لمعرفة الطريق والبحث عن مواقع الماء أيضاً، وهي تعرف أمكنة وجود الماء في داخل الأرض، بقوتها الشامة،

والإبل حيوان يحمل الحقد، فإذا غضب انتقم أشد انتقام، ولكنه يكون صالحاً وبسيطاً، إن طفلاً صغيراً يمكنه أن يصرفه أينما شاء، ويملكه بالضرب، ويكو ن تابعاً له، بحيث يمشي كل بعير على الخط الذي مشت فيه أول الإبل، وتعتبر بساطتها وإطاعتها لكل واحد بعض الأحيان دليلاً على غباوته، يقال: صار طويل القامة ولا يشعر بشيئ، قال شاعر:

لـقـد عـظُمَ البعيرِ بغيرِ لبٍّ
فـلم يستـغـن بـالعِظَمِ البعيرُ
يُـصَـرّفه الصبـيُّ بكل وجه
ويحبسه على الخسف الجَرِيْرُ
وتضـربـه الـولـيـدةُ بالـهراوى
فلا غير لـــديه ولا نكـــيرُ

والإبل تكون أقوى الحيوانات، وتكون فكوكها محكمةً.

وللإبل أنواع متعددة، فالإبل التي تكون هجيناً وذلولاً تعتبر حسنةً وبارزةً، يقول شاعر، وهو يثني على محسنه الذي أهدى إليه الإبل:

وإني لمهدٍ من ثـــنـائي فقـــاصدٌ
به لابن عم الصدق شمس بن مالك
أهزُّ به في نـدوة الـــحي عـطفَه
كما هزَّ عـطفي بالهـجان الأوارك

وإن حمر النعم تكون أثمن الحيوانات لدى العرب، وهي نادرة الوجود، وقد ورد في الحديث النبوي ذكرها كالشيئ الثمين، قال صلى الله عليه وسلم: "لئن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم"[1] وبما أن الأعراب العرب يربون الإبل، وكانت ذريعة لرحلاتهم، فشغفوا بها شغفاً فطرياً، فتارة يظهرون التماثل بين عواطفهم وعواطف الإبل أيضاً، وقد أشار الشعر العربي في مواضع مختلفة إليه، قال شاعر:

إذا ما قمـــتُ أرحلها بليلٍ

[1] روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن سهل بن سعد. (صحيح البخاري: ٣٤٩٨ ومسلم: ٢٤٠٦.

تأوَّه آهةَ الـــــرجل الحزين
تقـــول إذا درأت لها وضيني
أهـــذا دينه أبـــــداً وديني
أكلَّ الدهرِ حـــلٌّ وارتحالٌ
أما يبقي عـــــليَّ وما يقيني

وقال آخر:

أرار الله نِقيكِ في السلامى
على من بالحنـــــين تُعوّلينا
فإني مثل ما تجدين وجدي
ولكني أُســـرُّ وتـــعلنينا
ولي مثل الذي بك غير أني
أُجلُّ عن القـــتال وتُعقلينا

الإبل تمشي مشية سكينة ووقار، لكن إذا جرت أسرعت في الجري، فيتمتع بعض الناس بجريها أيضا مثل جري الفرس، وقد أبدى النبي صلى الله عليه وسلم سروره على تنافس الإبل، ويعرف صوف الإبل بالوبر، فيستعمله العرب بوجه خاص، وكان نيله سهلاً لهم، فيصنعون منه طنافس الخيم والرداء الصوفي، وكان الأعراب يستعملونها كثيراً، فكان العرب يسمون الأعراب أهل الوبر، وكان مقابل ذلك للمدنيين مصطلح أهل المدر.

الخيل:

إن الحيوان الذي يحمل أهمية كبيرة لدى العرب بعد الإبل هو الخيل، وتتجلى أهمية وضرورة هذا الحيوان في حياة العرب من شعرهم ونثرهم وتاريخهم وقصصهم، ولا توجد الخيول في جزيرة العرب قبل ميلاد المسيح عليه السلام، فوصلت الخيول أولاً إلى بعض أسواق بادية الشام وسط آسيا، ثم انتقلت منها إلى العرب، إن تضاريس بلاد العرب وما تحتاج إليه حياة العرب من حرب ودفاع كانت الخيول فيها أنفع حيوان، فانتشر هذا الحيوان في العرب، واعتنوا باقتنائه اعتناء خاصاً، وبالغوا فيه كثيراً حتى جعل يعتبر الخيل العربي أنفس أنواع الخيل.

ورد في الموسوعة البريطانية عن الخيل العربي:

"إن الخيل العربي وإن لم يثبت عنه أنه أقدم الخيول الشرقية، لكن ثبت أنه أرقى الخيول، وظل ربطها واقتناؤها مؤثراً بأوسع نطاق على أنفس الخيول في العالم، وإن خيول العرب قصيرة القامة، ويكون ارتفاعها عامة ٤/أقدام وعشرة أصابع، وعلى الأكثر خمسة أقدام، وتلوح من رأسها ميزتها البارزة وفطانتها، إن نواصيها عريضة، وإن عيونها كبيرة، وإن مناخرها واسعة، وأكتافها خاضعة، وظهورها صغيرة وقوية، لكن أجنحتها واسعة خاضعة، وإن أعجازها مستوية، وعظامها صلبة، ملساء، والجزء العالي لحوافرها صبب، وأرجلها قصيرة، لكنها قوية، وعامة يكون لون الخيل أبيض مائلاً إلى السواد، وما بين السواد والحمرة، ولا توجد الخيول من لون أسود، والخيل العربي أقوى الخيول قوة، فيضرب بها المثل، وإن سيره أيضاً مشهور جداً".[1]

والخيل العربي يُعرف بالأردية والفارسية بـ "أسب تازي" وتازي كلمة فارسية من طائي، والمراد بالطائي الرجل العربي، إن زائراً أوربياً زار نجداً، وهو منطقة وسط جزيرة العرب تحمل خصائص أصيلة، يذكر الخيول العربية:

"إن الخيول النجدية لا مثيل لها في السرعة وتحمل المشاق، ومن صفاتها البارزة السير على الشارع أربعاً وعشرين ساعة باستمرار، بدون الماء، ثم جريها حوالي ثمان وأربعين ساعة على حالة واحدة، في حرارة الشمس المحرقة، ومن أكبر ميزاتها أنه لا حاجة إلى أن تنقاد بالقول جبراً، وبما أن العرب يركبون الخيول بدون سرج ولا زمام عامة، فكانت الخيول تنقاد بدون كلمة من الفرسان إما بإشارة أو بضغط ركبهم، فهي أحسن وأجمل من خيول أوربا، وقد ركبتُ هذه الخيول بدون زمام أو سرج، بإيعاز من فرسانها، وأسرعت جريها، وطفت بها كثيراً، لكن ما وجدت فرقاً بين إرادتي ومشي الخيول، هذه الصفة للخيول العرب، التي لا ينافسها أهل أوربا".[2]

كانت علاقة العرب بالخيل كثيراً، بحيث تستعمل صفة

---

[1] الموسوعة البريطانية ص ٧٥٦، المجلد الثاني عشر، الطبعة الرابعة عشرة عام ١٩٢٩م.

[2] رحلة نجد والأحساء.

الشجاعة والطموح من هذه المادة، فكلمة الفروسية وكلمة الفارس جامعتان في هذا المعنى، وكان العرب يجعلون أفراسهم أعز من أهاليهم، مرة طلب ملك من عربي فرسه، فرفض هذا العربي طلب الملك وقال:

أبيتَ اللعنَ، إن سَكَابِ علقٌ
نفيسٌ لا تُعارُ ولا تُباعُ
مفداة مكرمة علينا
يُجاع لها العيالُ ولا تجاع

والعرب يخدمون فرسهم كثيراً، ويوفرون له غذاء حسناً، مرة انتقدت امرأة زوجَها على كثرة إنفاقه على فرسه، وتوفير غذاء حسن له بدلاً من أهله، فزجر زوجته، وقال:

تلوم على أن أمنح الورد لقمة
وما تستوي، والورد ساعة تفزع

حيوانات أخرى:

ولم تكن هناك أهمية كبيرة لحيوانات أخرى مقابل الإبل والفرس في جزيرة العرب، فالحيوان الذي كان أقرب إلى حياتهم كانت علاقتهم به وطيدة، يوجد الضأن والمعز في جزيرة العرب كثيراً، وفي كل منطقة من مناطقها، وتستعمل لحومهما في الأكل كثيراً، وإن ضأن العرب أكثر شحماً، وفي عجزه يكون موضع مثل الرحى، مشتملاً على الشحم، وقد تزايدت علاقة العرب بالشحم نظراً إلى كثرة الشحم في الإبل والضأن، حتى كان أدبهم يذكر الشحم في المأكولات على سبيل المثال:

ما كل بيضاءَ شحمةٌ
وما كل سوداءَ تمرةٌ

وفي جزيرة العرب كان الظبي والبقر الوحشي والبغل والنسر أيضاً، ويوجد ذكرها في الشعر العربي، وكان الشعراء العرب يشبهون المرأة باعتدال عنقها بالظبي، وجمال عينها بالبقر الوحشي، وورد اسم الظبي والبقر الوحشي في وصف الصيد أيضاً، وما عدا هذه الحيوانات توجد حيوانات أخرى أيضاً في مواضع شتى، واستعملت أسماؤها في الأدب العربي، وكان الأسد يحمل أهمية كبيرة في الحيوانات، ويضرب به المثل في الشجاعة، وهو معروف بكثرة أسمائه

وصفاته، تنسب أجود الأسود إلى مآسدها المختلفة، ويفرق ما بين حسن وأحسن، وقد عدَّ الهمداني في كتابه "صفة جزيرة العرب" أربع عشرة مأسدة، منها أربع مآسد شهيرة، وهي مضرب المثل، أسماؤها كما يأتي: بيشة، خفان، الشرى، التُرج ومأسدة جديرة بالذكر وهي خفية، فمأسدة بيشة تقع في شرق عسير بواد بيشة، وخفان كانت غابة قرب الكوفة، والشرى كانت غابة على ساحل الفرات، ومأسدة الترج في واد آخر قرب بيشة، وخفية في واد آخر، والأسد نادر الوجود في الجزيرة اليوم.

وفي المناطق الصحراوية والمهجورة يوجد الفهد والنمر والضبع والثعلب، والذئب، والقرد، والحمار، ثم البقر، والنعامة، والأرنب، والحيوانات الأخرى، ويوصف الثعلب بمكره ودهائه باللغة العربية أيضاً، ولا يعتبر الحمار حيواناً مشيناً، بل يركبه أولو البصيرة، وحمار العرب يكون كبيراً وقوياً، ويضرب به المثل في القوة وحمل الأثقال، وقد لقب آخر خلفاء بني أمية بالحمار لمواجهة الحروب الكثيرة، ويضرب المثل بالنعامة في السرعة، ويوجد القرد في اليمن فقط، والحمار في اليمن والأحساء والحجاز، وتوجد النعامة في صحراء النفوذ ووادي الدواسر، والأوعال توجد كثيراً في اليمن، وقليلاً في المناطق الأخرى، والبقرة في الأحساء عامة.

ورد ذكر الضب والضبع في الأدب العربي كثيراً، ورويت عنهما كثير من الحكايات، ونقلت قصص الضبع في أكل لحوم الإنسان وقصص الضب للمناسبات المختلفة، ويشبه العرب الحقد الدفين في الصدر بدخول الضب في جحره، وعدم خروجه منه، ويطلقون على الصدر مجازاً كلمة الضب، ويعتبر الضب أقوى الحيوانات في البقاء بدون الماء إلى مدة طويلة، ويأتي ذكرالذئب كثيراً بعد الأسد، وكثر ذكر الحمر الوحشية أيضاً، ويشبه سيرها بسير الإبل، ويشبه الحمار بوصول أشياء مختلفة إلى بطنه واجتماعها فيه، والمثل العربي: "كل الصيد في جوف الفرا".

ورد ذكر بيضة النعامة، ويشبه جمال النساء ببياضها، قال الله تعالى: "كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ" (الصافات: ٤٩) والمعز الجبلي (العصم) يضرب به المثل في الجزع من الناس. قال كثير بن عبد الرحمن:

وأدنيتني حتى إذا ما ملكتني
بقول يحل العصم سهل الأباطح
تناهيت عني حين لا لي حيلة
وغادرت ما غادرت بين الجوانح

وتوجد أنواع كثيرة من الطيور في جزيرة العرب، فالطيور التي توجد في المناطق الخضراء في جزيرة العرب هي نفس الطيور في المناطق الخضراء في العالم، لكن عددها في المناطق اليابسة ضئيل، وأنواعها محدودة، فمن الطيور المعروفة في جزيرة العرب التي لها علاقة خاصة بحياة العرب القطا، والحمام، واليمامة، وأمثالها من الطيور، والسُماني، والقطا مضرب المثل في بعض الأمور، ومستعمل في الشعر العربي، يقال: هناك تشابه بين اسمها وصوتها: كقول القطا، يذكر الشعراء العرب القطا لبيان حرقة القلب، ويعتبرونها موافقةً لطبائعهم، قال شاعر:

حمامةَ جرعى حومة الجندل اسجعي
فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

وقال آخر:

أقول وقد ناحت بقربي حمامة
أيا جارتا، لو تشعرين بحالي

نوع من اليمامة تكون في عنقها حلقة مدورة، يسميها العرب بالحمامة المطوقة، ورد ذكرها في الأدب العربي كثيراً، وفي الطيور الصائدة: العقاب، والبازي، والنسر، والصقر، والحدأة، والغراب، يشبه بالبازي والصقر الشجعان، ويضرب الغراب مثلاً للهداية الضالة، قال شاعر:

إذا كان الغراب دليل قوم
سيهديهم طريق الهالكين

وفي الحشرات السامة أنواع مختلفة من الحيات، والعقرب والورل، ويكثر في جزيرة العرب الجراد، وهو يؤكل أيضاً، ويكون مضرب المثل أيضا، يقال: هو كالجراد، وتكثر النحل أيضا في جزيرة العرب، فيستخرج منها العسل وتتعدد أسماء لأنواعها المختلفة،

ويكون عسل اليمن وحضرموت لذيذاً بصفة خاصة.

رياح جزيرة العرب:

وقد عُني العرب بالرياح أيضاً، وأفردوا ذكر اختلاف هبوبها وجهاتها وخصائصها الأخرى، فتوجد أسماء كثيرة للرياح في اللغة العربية، وسميت بأنواعها وخصائصها، التي لا حاجة إلى استقصائها، لكن أبرز أسمائها نذكرها مفصلة:

تعرف الريح باختلاف هبوبها بالرُخاء والعاصف والهوجاء، فالرخاء هو الهواء الخفيف الذي يلامس الجسد، لكن لا يحرِّك ساكناً، قال الله تعالى: فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ (ص: ٣٦) والهواء الذي يهبُّ بشدة هو العاصف، وهو يحرك الجماد، ويقلب الأشياء الخفيفة، والهواء الذي يهبُّ بشدة متزايدة، ويكون مثل العاصفة، لكن لا يكون شديداً ومؤثراً هو الهوجاء، فللعاصفة حسب أنواعها تأتي كلمة الإعصار والهبوب، والزوبعة.

وأما بالنسبة إلى جهات الرياح فتعرف بالصبا والدبور والنكباء والمتذائبة، والشمال والجنوب والنُعامى، الصبا هو الهواء الشرقي، وهو هواء خاص بنجد، ورد ذكره عند شعرائه، ويكون هذا الهواء مبهجا ، فحينما يهب يشعر الناس بالنشاط والخفة، وإن مادة هذه الكلمة تدل على معاني النضارة والحب والصبوة.

أَلا يا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هِجتِ مِن نَجْدِ
لَقَد زَادَنِي مَسْـرَاكِ وَجْداً عَلى وَجدِ

وقال صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور.

الدبور هو الهواء الذي يهب من الجهة الغربية، وسمي في القرآن لكريم بالعقيم، ويشبه الصبا والدبور بالرياح التي تهب من الشرق والغرب في شمالي الهند، لكن الهواء الشرقي في شمالي الهند لا يكون بهيجاً، والنكباء هي الهواء الذي لا يهب من جهة خاصة من لجهات المقررة، بل تكون جهتها وسطاً، والمتذائبة هي الهواء الذي لا يمكن تعيين جهته، ويهب من أي جهة، وتتغير جهته أيضاً، ومادة هذه لكلمة الذئب، أي كما أن الذئب تأتي من أي جهة، كذلك هذا لهواء يهب من جهة غير معلومة، والنعامى والشمال، هو الهواء الذي

يهب من الشمال، وتستعمل له شمال (بفتح الشين) وشمأل، قال شاعر:

فلما أَقَرَّتْهُ اللِّصَابُ تَنَفَّسَتْ
شَمَالٌ لأعلى مَائِهِ وهُوَ قَارِسُ

وقال امرؤ القيس:

فَتُوضِحَ فالمِقْرَاةَ لَم يَعفُ رَسْمُهَا
لِمَا نَسَجَتْهَا مِن جَنُوبٍ وشَمْأَلِ

والهواء الشمالي يهب من الشمال ويمرُّ بالبلدان الباردة والبحر الأحمر فيكون بارداً عامة، ويكون زمنه فصل الشتاء، ويمتزج ببرودة مؤذية، فتتضاءل الحالة الاقتصادية في العرب في هذا الفصل، ويكون الإنفاق في هذا الفصل دليلاً للأخلاق الفاضلة، والهواء الجنوبي يُعرف بالجنوب والأزيب، وأما في فصل الربيع فإن الهواء الذي يهب من الجنوب يسمى بلواقح، قال الله تعالى: وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ،.....[1] ومن رياح الشتاء الحرجف والبليل، والحرجَف هو الهواء الذي يهب بشدة.

إن الصبا يهب في نجد عامة، والهواء الغربي يهب في المناطق الشمالية من العرب، والهواء الشرقي يهب على السواحل الجنوبية كثيراً، ويهب هواء حار في فصل الصيف في جزيرة العرب، ويكون مشابهاً للسموم، ويكون مهلكاً وخطيراً، ويهب عامة من الربع الخالي إلى الشمال، وإن جبال الحجاز تكون جافة ومسطحة، فالهواء الذي يمر بها يكون حاراً أيضا سواء هبَّ من الحجاز ونجد أم لم يهبَّ.

بعض جوانب ثقافية:

الأرض التي تكون بين قطعتين من الرمل هي الشقيقة، فالقطع الوسطية في الدهناء تعرف بالشقائق، والقطعة التي تتكون من التراب بدلاً من الرمل في المنطقة الميدانية تعرف بالأجرع أو الجرعاء، قال شاعر:

سَلِي البَانَةَ الغَيناءَ بالأجرَعِ الَّذي

---

[1] وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ. الحجر: ٢٢.

به البانُ هَـــل حَيّيتُ أَطلالَ دارِكِ

والأرض التي تكونت من الرمل المفكك الصافي تُعرف بالنقاء، والأرض المرتفعة التي تكونت من التراب، يصرفها الهواء أينما شاء تعرف بالتل، والقطع الميدانية التي تكون عالية خضراء تعرف بالربوة أو الرابية، جمعها رُبى، ورواب، يكثر شعراء العرب من ذكر هذه القطع أو التلال بنضارتها ونبات الأزهار والرياحين عليها، وإن اسم تلال الرمل كثيب جمعه كثبان، والطريق الذي يلتوي في قطع الرمل يعرف باللّوى، وورد ذكر الكثيب واللوى في قصص حب الشعراء العرب.

الموضع الذي اجتمعت فيه نباتات السمر هو الحرجة، والموضع الذي اجتمعت فيه أشجار السلم هو ضارب السلم، والموضع الذي نبتت فيه نباتات الأراك هو الغريف، وشجر الأراك غذاء لذيذ للإبل، وإذا اجتمع مع الأراك نباتات أخرى سمي بالأيكة، واستعملت كلمة الأيكة لأكام النباتات المختلفة، والغابة كذلك.

إن مواضع جزيرة العرب التي يضرب بها المثل ببعدها، منها خراسان التي تقع على الضفة الغربية من أفغانستان وفي شرقي إيران، والشحر التي تقع بين حضرموت وعمان، ويبرين في شمال الربع الخالي، وحضرموت منطقة في جنوب اليمن وصنعاء عاصمة اليمن، وبرك الغماد على جهة من اليمن، كلها مضرب المثل باللغة العربية، فيقال:

١. لست بمعجز لنا ولو بلغت الشحر
٢. ولو حالت دونك يبرين
٣. بلغتُ حضرموت
٤. لا بد من صنعاء وإن طال السفر
٥. ولو بلغ برك الغماد

والبرك هو الأحجار التي تكون بيضاء، وصلبة مثل الحرات، وملتوية، يصعب المشي فيها.

المواضع التي اعتقد العرب أنها للجن أو للسعالي، نذكر بعضاً منها:

البدي، عبقر، ذو سمار، (في نجد) وبار (في جنوب الربع الخالي).

جعل من عبقر عبقري، ودخلت فيه فكرة قوة خارقة للعادة، ومتميزة بخصائص بارزة، فإذا كان هذا المعنى في شيئ لدى العرب، من أي ناحية كانت، سماه العرب بالعبقري، فاستعمل العرب هذه الكلمة للأمر العظيم، والموهبة العظيمة، والقوة الكبيرة، والشيئ الذي يحمل أهمية كبيرة، والرجل الذي كان حاملاً لمزايا كثيرة. فتوسع استعمال هذه الكلمة من هذه الناحية، واستعمل في القرآن الكريم[1] – كما أظنه – لأداء مثل هذا المعنى.

وكذلك ينسب العرب الشيئ القديم إلى قوم عاد، الذي يكشف حقيقة قدمه، فسميت الآثار القديمة والملامح المندثرة باللغة العربية بالعاديات.

[1] قال تعالى في سورة الرحمن: مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (الرحمن: ٧٦).

الباب السابع

أمم جزيرة العرب وقبائلها

الأجداد:

كان سيدنا نوح عليه السلام أباً ثانياً للنوع البشري بعد سيدنا آدم عليه السلام، وبقيت ذريته في الأرض بعد طوفان نوح عليه السلام، ويقال: إن سكان جزيرة العرب من ذرية سام أحد أبناء نوح عليه السلام، ويُقدَّر أن زمن نوح عليه السلام كان قبل ٢٩ أو ٣٨ مأة سنة، من ميلاد المسيح عليه السلام، وحقق الباحثون عن وطنه، فقالوا: هو الجانب الغربي من العراق، أي في شمال شرق جزيرة العرب، وفي جنوب شرق تركيا، من هنا انتشرت ذريته، وطبقاً للتوراة كان لسيدنا نوح عليه السلام ثلاثة أبناء: سام، حام، يافث، وتوجد ذريات هؤلاء في الدنيا اليوم، ويمكن أن يكون لسيدنا نوح عليه السلام أبناء آخرون، لا نعرف ذرياتهم، وكان منهم كنعان، غرق في طوفان نوح عليه السلام، وقد قيل: إن مسكن ذريات حام مناطق إفريقيا المتعددة، ومسكن ذريات يافث الصين وتركستان، ويقال: إن إحدى فروع يافث سُميت بآرين، وبعض فروعها في الهند، وبعضها في إيران، ثم سكنت في أوربا، والعرب وإسرائيل في ذريات سام، وقال بعض الباحثين: إن إيران وما جاورها من المناطق، من ذرية سام بن نوح.

كان لسام أبناء، لكن المؤرخين أثبتوا ذكر ولدين لسيدنا نوح عليه السلام، كان أحدهما آرام أو إرم، وآخرهما أرفخشذ، فالذريات والأسر التي انتشرت في جزيرة العرب أو كانت لها سلطة تنتمي إلى هذين الولدين، فذريات إرم عاشت إلى زمن طويل، وما زالت تزدهر، ثم هلكت وبادت أيضاً رويداً رويداً، لما كفرت بأنعم الله تعالى، واندرست آثارها من جزيرة العرب، فسميت بالأمم البائدة، والذريات الجديرة بالذكر هي عاد وثمود وجرهم وطسم وجديس، وعبد ضخم والعمالقة، وقد قيل عن العمالقة: إنهم بطن من فراعنة مصر، انتقل من شمال جزيرة العرب إلى مصر.

كان من ذريات أرفخشذ بطن سيدنا إبراهيم ولوط عليهما السلام وأسرتهما، وبطن آخر كان جده قحطان، سكنت أولاد بطن

إبراهيم في الشام بعد هجرته، لكن أولاد إبراهيم من ذرية إسماعيل ومدين استوطنت شمال جزيرة العرب، وأما الذرية القحطانية فقد استوطنت جنوب جزيرة العرب من قبل، وكان موطنها من اليمن إلى عمان.

فإن أقدم سكان جزيرة العرب ذرية آرام، ثم قحطان، ثم ذريات إبراهيم عليه السلام، وإن ذرية إسماعيل سكنت في أوسع منطقة، وسكنت أولاد مدين في شمال الحجاز، وكان في ذرية إسماعيل عدنان، وهو جد لبطون باقية لسيدنا إسماعيل عليه السلام.

كما سبق آنفاً أن الذريات الآرامية بادت من جزيرة العرب بعد ما عاشت مدة من الزمن، فسميت ذرية قحطان أقدم سكان جزيرة العرب، ويطلق على أولاد قحطان اسم العرب العاربة، ورد بطن إسماعيل من ذرية إبراهيم عليه السلام في جزيرة العرب من بعد، وسكن في مكة المكرمة، وتوطدت علاقته ببعض بطون قحطان، فسموا بالعرب المستعربة بدلاً من العرب العاربة، وكان اسمهم الآخر العدنانين، لأن سلسلة أنسابهم الحالية تتصل بجدهم عدنان، الذي كان من ذرية إسماعيل عليه السلام، وإن جميع سكان جزيرة العرب ينقسمون في قسمين فقط: القحطانيون، والعدنانيون، وظلت جزيرة العرب منقسمة في هاتين الذريتين، فكان يملك منطقتها الجنوبية القحطانيون، ومنطقتها الشمالية العدنانيون، وإن أقامت بعض ذريتهما بالنظر إلى مقتضيات الحياة، في مناطق أخرى، ولما تهدم سد مأرب (وهو سد منيع للقحطانيين) هاجرت كثير من ذرياتهم إلى مناطق شمالية من جزيرة العرب.

ولد سيدنا إبراهيم عليه السلام في العراق، وحينما تعرضت دعوة التوحيد للمقاومة الشديدة، وضاقت على إبراهيم الأرض، هاجر إلى الشام، وذلك حوالي ألفين قبل ميلاد المسيح، وكان معه ابن عمه لوط، الذي آمن به، فاصطفاه الله لنبوته وحمل رسالته، نزل كلاهما في مناطق وسطية وجنوبية من الشام، وظلا يدعوان فيها إلى التوحيد الخالص وإلى إصلاح الأخلاق، أسكن إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل وأمه هاجر في وسط الحجاز من جزيرة العرب، أقام إسماعيل هناك، وتزوج من بطن قحطان، وهذه العلاقة كانت سبباً لظهور

العـرب العاربه و البائده

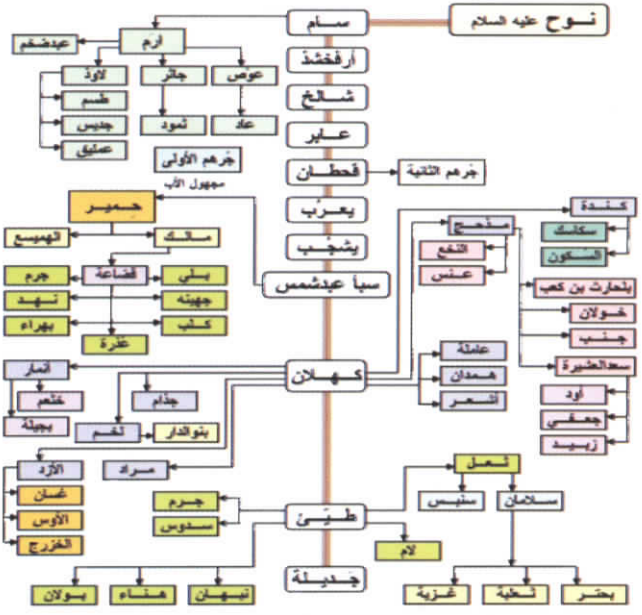

العرب المستعربة، أما الذريات الإبراهيمية الأخرى فقد سكنت في الشام أو العرب البائدة، وهم بنو آرام.

العصر الأول
(إلى ولادة المسيح)
العرب البائدة، وهم بنو آرام

عاد:

إن القوم الذين حكموا العالم وكانوا أول جماعة تسلمت زمام الحكم بعد هلاك قوم نوح عليه السلام، سمَّاهم القرآن بعاد، وأطلق عليهم اسم خلفاء قوم نوح، وكان عاد من ذرية إرم من أولاد سام بن نوح عليه السلام، ونسبهم القرآن أيضاً إلى إرم، قال تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ. ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَادِ (الفجر ٦ – ٨)

إن عظمة عاد ومهارتهم السياسية وقوتهم البدنية كانت معترفاً بها، وقد أشار إلى ذلك الآيات السابقة الذكر، ويقول القرآن بلسان عاد: مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً (فصلت: ١٥)، وكانوا يبنون مباني شامخة جميلة، ويفرسون البساتين، وكانت منطقتهم الشرقية صحراوية ورملية، وجانباها الغربي والجنوبي جبالا خضراء لليمن وحضرموت، ومناطق خصبة، فكانت أوضاع جانبها الشرقي تُحدث فيهم روح الكدح والمعاناة، وتحدث أحوال جانبيها الغربي والجنوبي أسباب الترف والبذخ، ذكر القرآن الكريم على لسان هود عليه السلام، فقال: أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ. وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ. وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (الشعراء: ١٢٨ – ١٣٠)

إن عاداً يحكمون على مناطق واسعة من جزيرة العرب زمن ازدهارهم ويُعتبرون أقوى قوم في المناطق كلها، وكان وطنهم اليمن وضواحيها، ورد ذكرهم في القرآن بالأحقاف، التي تعرف بالصحراء، ويراد منها جانب الربع الخالي الذي يقع في شرقي اليمن، وفي جنوبها حضرموت، قال الله تعالى: وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (الأحقاف: ٢١)

حينما رفضت عاد دعوة نبيها هود عليه السلام وأصرت على كفر الله وعصيانه، فواصل هود عليه السلام الليل بالنهار في دعوة قومه، وأتم حجتها في إصلاحها أرسل الله عليها عذابا، أهلكوا به،

وكان العذاب ريحاً صرصراً عاتيةً، سخَّرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام، قال الله تعالى: وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ . سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً (الحاقة: ٦ — ٧) هذه المناطق التي يسكنها قوم عاد كانت على نواحي الربع الخالي، فهبوب الرياح في الصحراء أشد خطراً، فضلا عن أن تهب عذابا، استمر هذا العذاب إلى ثمانية أيام، فهلك القوم كلهم، وقد صوَّر القرآن حالتهم بعد نزول العذاب: فَأَصْبَحُواْ لاَ يُرَىٰ إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ (الأحقاف: ٢٥) وقال: فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ. فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ (الحاقة: ٧ — ٨)

فكان هؤلاء الأقوياء الشداد الغلاظ، مثل أعجاز نخل خاوية، حفظ الله تعالى عباده المؤمنين بسيدنا هود عليه السلام من هذا العذاب، فعاشوا من بعد، وانتشرت ذريتهم، ولَعَلَّ هؤلاء هم الذين سُموا بعاد الثانية، لأن القرآن الكريم سمَّى الهالكين بعاد الأولى، قال تعالى: وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً ٱلأُولَىٰ (النجم: ٥٠)

بعد عاد:

إن عاد الأولى كانت أقدم قوم، وهي تسكن قريبة من جزيرة العرب، وكانت أمة حاكمة في جزيرة العرب منذ زمانهم، ولم يكن للقحطانيين في اليمن وأطرافها أثر ولا عين، فالأمم التي ظهرت في جزيرة العرب كانت بني أعمامها عامة أو عاد الثانية، وتفصيل ذلك أن عاد الثانية أو قوم معين كانت عاصمتهم بين اليمن وحضرموت، وكانوا يسكنون فيها، وفي جنوب سواحل الخليج العربي، وفي شمال الحجاز كان ثمود بن إرم وفي اليمامة طسم بن إرم وجديس بن إرم، وفي مناطق جزيرة العرب من ذرية إرم عبيل وعبد ضخم وجرهم والعمالقة.

اختلف الباحثون في أهل معين، اعتبرهم بعض المؤرخين عاد الثانية، وبعضهم يعتبرونهم أجداد العمالقة، وبعضهم يعتبرونهم ذرية مستقلة.

عاد الثانية:

نجى الله تعالى سيدنا هوداً عليه السلام وأتباعه من العذاب، فعاشوا بطمأنينة وهدوء، وهؤلاء هم عاد الثانية في أغلب الأحوال، مرّ فيهم ملك صالح باسم لقمان، من هو لقمان ؟ قد اشتهر في العرب رجل باسم لقمان، يسميه المؤرخون الآن الحكيم لقمان، فنسبت إليه

القصص الحكيمة والتمثيلات الرائعة كثيراً، وورد ذكره أيضا في القرآن مع بعض نصائحه، وكلاهما واحد، يذكر شاعر عربي الأمم البائدة في أبياته التي تكشف علاقة لقمان بقوم عاد، فيقول:

أَهْلَكْنَ طَسْماً وَبَعدَهُ وغَزِيَّ بَهْمٍ وَذَا جُدُونِ
وأَهـلَ جَـأشٍ ومَـأربٍ وَحـيَّ لُقْمَانَ والتُّقُونِ

كان لقمان مشهوراً جداً في العرب، وكانت صحيفة حكمته في العرب، فكانوا يقرؤونها، لم يجزم المؤرخون بالقول المحكم المفصل عن عاد الثانية، فيقدر أن هؤلاء هم الذين مرَّ ذكرهم آنفا، فكما كان رقي الأمم وانحطاطها كذلك أصيب هؤلاء بالرقي والانحطاط أيضاً.

معين:

توجد في اليمن قرب حضرموت مدينة قديمة، تعرف بمعين، قال الجغرافيون: سكنت هنا أمة مثقفة، كانت لها جولة وصولة إلى مدة، وحقق بعض الباحثين أن هؤلاء هم عاد الثانية، وقال آخرون أيضاً: إن العمالقة كانوا من هذه الذرية.

ثمود:

نالت ثمود بعد عاد شهرةً وسلطةً سياسيةً، قال الله تعالى: وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ عَادٍ (الأعراف: ٧٤)

سكنت ثمود في شمال الحجاز أي في المنطقة الشمالية والغربية من جزيرة العرب، كان مسكنها وادي القرى، وهو وادٍ بين المدينة والشام، وكانت في هذا الوادي مستعمرات صغيرة، لعل هذا هو السبب فيما إذا سُمي بوادي القرى، وهذا الوادي يتصل بالمدينة المنورة والشام، وقد رأى الجغرافيون المسلمون أيضاً أطلالاً حجريةً لهذه المستعمرات، وآثاراً قديمةً، وهي الآن باقية، ولعل المراد في سورة الفجر هذا الوادي، قال تعالى: وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا الصَّخرَ بِالوَادِ (الفجر: ٩) وإن عاصمة ثمود الحجر، وهي تقع على الطريق القديم التي تسير من الحجاز إلى الشام، وتعرف الآن بمدائن صالح، وإن مناطق وادي القرى التي يسكنها ثمود تقع فيها الحجر وعلا وتبوك.

إن أحوال ثمود السياسية غير مسجلة، إلا أن ثمود كانوا أولي قوة وبأس شديد في شمال جزيرة العرب، وقيل: إنها سكنت أول ما

سكنت في اليمن، لكن قوم سبأ أخرجتها من اليمن، فهاجرت إلى الحجاز، واستقرت في الحجر وضواحيها، وكانت مبدعة في تشييد المباني، فكانت تنحت من الجبال بيوتاً، وتصنع من الأحجار أبنية ومقابر، وبقيت هذه المآثر حتى الآن، تتجدد منها ذكريات الهندسة البنائية لقوم ثمود، وقد نقشت فيها لوحات في الخط الآرامي والثمودي، وقد أضافها الأثريون إلى الأنباط، الذين قال عنهم المؤرخون: إنهم حكموا هذه المناطق قبل ميلاد المسيح وبعده، وسيأتي ذكر الأنباط في بني إسرائيل بإذن الله تعالى.

ذكر القرآن الكريم صناعة بناء ثمود في آيات كثيرة، قال تعالى: وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخرَ بالوَاد (الفجر: ٩) وقال: وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتاً، (الأعراف: ٧٤) وقال: وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ (الشعراء: ١٤٩) وقد بعث الله تعالى صالحا عليه السلام لإصلاح ثمود، فقال: وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَاقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـٰذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيۤ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوۤءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (الأعراف: ٧٣) بذل صالح عليه السلام أقصى مجهوداته في هداية قومه، فلما يئس منهم، واستكبر قومه استكبارا وعقروا الناقة التي خُلقت كآية إلهية من الجبل عتواً وعصياناً، نزل بهم عذاب الله تعالى فدمّرهم تدميراً، ولم ينج من هذا العذاب إلا سيدنا صالح وأتباعه، وسميت طريقة إهلاكهم بالعذاب في آية، وفي آية أخرى بالصاعقة والصيحة، وفسرها بعض المفسرين بالزلزلة، فكانت هذه الصاعقة، والصيحة مثل الزلزلة البركانية، وقد اعترف الجغرافيون قديماً وحديثاً بأن منطقة ثمود كانت معمورة بالمواد البركانية.

طسم وجديس:

كانت هاتان القبيلتان في اليمامة، وقال بعض الباحثين: إن موطنهما البحرين أي الأحساء، لكن هذا الاختلاف لفظي، وهاتان القبيلتان من ذرية آرام، وهي من الأمم البائدة، وكانت تحكم هاتان القبيلتان في اليمامة قديماً، لكن كان بينهما اختلاف ومنافسة في إحراز الحكومة، فتارة تحكم قبيلة، وتارة تحكم أخرى، وبعد مدة حكمها ملك غشوم باسم عملوق، كان من قبيلة طسم، ففارت

جديس من أصوله المخزية واشتعلت هذه الغيرة مثل النار، فوقعت حروب دامية بينهما، وانهزمت جديس، لكن طسما لم تتمكن من الاستيلاء على الحكومة، فانتقلت هذه الحكومة إلى قبائل أخرى، واندثرت هاتان القبيلتان وامحت آثارهما، واشتهرت طسم مثالا في الهلاك والدمار، وورد ذكر طسم وجديس في القصص العربية، فيقدر أن زمنها بعد عاد الثانية، وظلت آثار طسم باقية في ضواحي اليمامة إلى مدة طويلة، ومن بين آثارها قلعة باسم الجون، قال شاعر:

أَلَم تَرَ أَنَّ الجَوْنَ أَصبَحَ رَاسِياً
تُطِيْفُ به الأَيَّامُ مَا يَتَأَيَّسُ

واشتهرت امرأة من جديس بحدة بصارتها، تسمى بحذام وزرقاء اليمامة، وكانت مضرب المثل في بعد نظرها. قال الشاعر:

إذا قالت حذامِ فصدِّقُوها
فإن القولَ ما قالتْ حَذامِ

العمالقة:

هم قوم حاكمة وقوية في الشام وشمال الحجاز، قهرت حكومات هذه المناطق بقوتها، وأثبتت جدارتها واستيلاءها عليها، وكان رجالها أقوياء طوالاً، يعتقد بعض المؤرخين أنهم من ذرية معين، وبعضهم يقولون: إنهم من ذرية آرام، كان موطنهم أولاً اليمن، فسكنوا في مكة أو يثرب خروجاً منها، ثم جاءوا إلى الشام ومصر، وقيل: إن بطناً من ملوك مصر كان من العمالقة، وقيل أيضاً: إن اسم المدينة السابق (يثرب) سموها به، وكان العمالقة أقوياء شداداً مثل عاد، أغاروا على الحكومات المجاورة لها في عصرها، ولما وصل بنو إسرائيل من مصر إلى جزيرة سيناء كان يحكم الشام العمالقة، وكان بيت المقدس تحت استيلائهم، أمر بنوإسرائيل بأن يحرروا بيت المقدس من العمالقة، لكن بني إسرائيل كانوا مصابين بالرعب والدهشة، فلم يستعدوا له، ورفضوا مقاومتهم، وقالوا: يَامُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (المائدة: ٢٢) ولم تنفع موعظة موسى عليه السلام وتشجيعه على محاربة العدو، فظل بيت المقدس تحت استيلاء العمالقة إلى مدة، لكن الله تعالى عاقب بني إسرائيل نتيجة عصيانهم يتيهون في صحراء سيناء

أربعين سنة، قال الله تعالى: قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ (المائدة: ٢٦)

وبعد مدة استرد بنو إسرائيل بيت المقدس من أيدي العمالقة، وكان بيت المقدس إلى مدة طويلة عند بني إسرائيل.

بعض ذريات أخرى:

كانت هذه الذريات مشهورةً في الأمم البائدة، رغم أن هناك ذريات صغيرة باسم عبيل وعبد ضخم وجرهم وغيرها، فكانت عبيل من أقارب عاد، وكانوا يسكنون في الجحفة بين مكة والمدينة، عمر هؤلاء يثرب وأنهم أصيبوا بسيل العرم في اليمن فهاجروا إلى يثرب، وكانت عبد ضخم في الطائف، يقال: هؤلاء أول من كتبوا بالخط العربي، ونزحت جرهم من اليمن إلى مكة، واستولوا على الكعبة، فأخرجتهم خزاعة بعد مدة، وأخيراً اندثروا وانتهت آثارهم.

بنو أرفخشذ:

وكما سبق ذكره أن في ابني سام بن نوح اللذين اشتهرت ذريتهما أرفخشذ،وقد مرَّ ذكر ذرية آرام أخ أرفخشذ، ونذكر هنا الآن ذرية أرفخشذ.

إن بطني ذرية أرفخشذ موضوع حديثنا، وهما بطن قحطان وبطن إبراهيم، وكان ابن قحطان يعرب، وابن يعرب يشجب، وابن يشجب سبأ، وإن ذريات قحطان الشهيرة هي أولاد سبأ، من أشهرهم قوم سبأ وقوم حمير وقبائل كهلان.

وكان في بطن إبراهيم أبناؤه إسحاق ومدين وإسماعيل، وكان يعقوب ولد إسحاق، واسم يعقوب الآخر إسرائيل، ومن أولاد إسماعيل الأنباط، وقيدار، وذريات متعددة، ومن أولاد قيدار عدنان جد الذريات الجديرة بالذكر والمشهورة، وعدنان هو الذي تنسب إليه الذريات المستعربة كلها، وخاصة قبائل ربيعة ومضر، وقبائل أخرى في شمال جزيرة العرب.

بنو قحطان:

قد اضطر بنو قحطان لأسباب عديدة إلى مغادرة موطنهم العراق، فاستوطنوا اليمن ونواحيها، وكان في أولادهم رجل مشهور باسم سبأ، وكان سبأ أباً لذريات عديدة، بل الواقع أنه أب لجميع

الذريات القحطانية الشهيرة، له ثلاثة بطون مهمة، أحدها: سبأ، وثانيها: حمير، وثالثها كهلان، ونشأت وترعرعت هذه البطون والأجيال في جنوب جزيرة العرب، وخاصة في اليمن، لكن قوم سبأ أكثرها مدنية وأرقاها ثقافة.

سبأ:

إن سبأ كانت أكثر الأجيال تطوراً في زمنها وأقواها في اليمن، واليمن منطقة خصبة خضراء، فكانت تتسع للمدنية وازدهارها، وازدهر فيها أولا قوم سبأ، وظلت سلطنتها إلى القرن الأول المسيحي، وكانت عاصمتها مدينة مأرب، ومأرب على بعد ٦٠/ ميلاً في الشرق، بارتفاع أربعة آلاف قدم، وسبأ قوم تجار، ملكوا زمام التجارة العالمية بأيديهم، فكانت تغدو قوافل التجارة في الشرق إلى السند والمشرق الأقصى، وفي الغرب إلى مصر وأسواق رومة الكبرى، وكانت تسير هذه القوافل من اليمن إلى غزة، وكانت مأرب مركز هذا الشارع التجاري الرئيس، فكانت تسافر من مدينة شبوة لحضرموت براً، وتمرّ بمحطاتها الكبرى: مأرب، وصنعاء، ومكة، والمدينة، والبطراء، وغزة، فتغدو عدة قوافل إلى مصر، وبعضها إلى فلسطين والشام، ويبدأ السفر البحري في الشرق خروجاً من شبوة، وتذهب عدة قوافل إلى سواحل شرقية من إفريقيا، وبعضها إلى موانئ السند والهند والمشرق الأقصى، وشبوة أهم محطة في هذا الطريق، فتطورت تطوراً خاصاً، وكانت عاصمةً لحكومة حضرموت أيضاً، وبقيت هذه الحكومة إلى مدة، لكنها لم تكسب مكانة مثل ما كسبت سبأ وبعدها حمير، وقد بارك الله تعالى في قوم سبأ ونشاطاتها التجارية، فكانت تمر طريقها إلى الشام بمناطق خضراء، ولا تواجه قوافلها صعوبةً وعنتاً، ولعل القرآن الكريم أشار إلى خصبة هذا الطريق فقال الله تعالى: وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً، وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ، سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِيْن (سبأ: ١٨)، والمراد من القرى التي باركنا فيها " الشام، التي تذهب إليها قوافلها، وسمي هذا الطريق التجاري في القرآن الكريم بـ "إمام مبين"، وإن بلاد اليمن خضراء، تكثر فيها الأمطار، فتوجد فيها إمكانيات الخصوبة بنسبة، وقد استفاد قوم سبأ منها كثيراً، وبنوا سداً منيعا في مدينة

مأرب، يمسكون به مياه واد كبير، فتسقى بها المناطق التي تمتد إلى ثلاث مأة ميل مربعة، وهذه الوهاد والنجاد كانتا منقسمتين بين قطعتين، تنبت منهما فواكه متنوعة وأشجار فائحة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ، كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُواْ لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (سبأ: ١٥)

أصبحت قوم سبأ بالتجارة والزراعة أغنى الأمم وأرقاها، وحكمت بكل قوة واستعلاء، وكانت لها سلطة وغلبة في المناطق المجاورة لها، فسلب الله تعالى منها نعمه بكفرانها وعصيانها، وكانت سبأ تعبد الشمس، فانفلت من يدها زمام التجارة العالمية، واستولى عليه رجال يذهبون بقوافل تجارية من البحر أمام اليمن بدلاً من طرق برية في اليمن، هذا في جانب، وفي جانب آخر انهدم سد مأرب، فلم تنته منه إمكانيات التجارة فقط، بل تدفق سيل كبير أتى على الحرث والنسل، واضطر سكان هذه المنطقة إلى البحث عن أسباب الرزق في مناطق أخرى من جزيرة العرب، وجرى المثل العربي: تفرقوا أيدي سبأ، ورد ذكرها في القرآن الكريم: فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم سَيْلَ الْعَرِمِ، وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا، وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (سبأ: ١٦ — ١٧)

هؤلاء عُرفوا بسبأ، غير أن سبأ كان لها ولدان سميت ذريتهما ببني قحطان، وهما كهلان وحمير، فأكثر القبائل القحطانية من بطن كهلان، وقليل منها من حمير، فسكان اليمن بعد قوم سبأ قبائل قحطان من هاتين الذريتين، وفيها حمير، وفي أولاد حمير بطن تبع، وهو بطن الملوك، وسكن بنو أعمام سبأ في شرقي اليمن الذي يُعرف بحضرموت.

بنو إبراهيم:

سكن بنو أعمام آل قحطان أي ذرية إبراهيم وأقاربه في جنوب الشام وشمال الحجاز، وسكن سيدنا إبراهيم عليه السلام وذريته في العراق، وكان موطنه مدينة أر، التي كانت ميناء الخليج العربي يومذاك، ويقال: موقعها الآن على مسافة من البصرة، واكتشفت أطلالها بعد حفر الأرض، وقد هاجر إبراهيم عليه السلام منها نفوراً من البيئات الشركية فيها، قال الله تعالى في القرآن بلسان إبراهيم

عليه السلام: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (الصافات: ٩٩) أقام إبراهيم عليه السلام في كنعان من الشام، وهي ممتدة على مناطق وسطية من فلسطين، وكان معه ابن أخيه لوط عليه السلام، وهذا قبل ٢١/ قرناً من ميلاد المسيح عليه السلام، فسكن كلاهما وذريتهما في الشام، وبعد مدة أسكن إبراهيم عليه السلام ابنه الأكبر إسماعيل وأمه هاجر في وسط الحجاز بأمر من الله تعالى، في واد غير ذي زرع، وسمي بمكة، قال الله تعالى: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ (إبراهيم: ٣٧)، نشأ هنا إسماعيل عليه السلام وكبرت سنه، وانتشرت ذريته، ثم رفع إبراهيم عليه السلام قواعد البيت مع إسماعيل، وقد أثبتت الشواهد التاريخية أن بيت الله قد أنشئ من قبل، فرفعه إبراهيم عليه السلام بأمر من الله تعالى، فتحول هذا الوادي إلى مدينة، وسميت بوادي إبراهيم عليه السلام نسبةً إليه.

إن سيدنا إبراهيم عليه السلام وبقية أولاده الذين كان فيهم بنو إسرائيل من ذرية إسحاق، سكنوا في الشام وفلسطين، وانتشرت ذرية إبراهيم من ولده مدين وغيره في بعض مناطق شمال الحجاز، ودفن إبراهيم عليه السلام في فلسطين، فعمرت هنا مدينة تُعرف بالخليل أو خليل الرحمن، وكان عمر إبراهيم عليه السلام وفقاً للتوراة ١٧٥/ عاماً، وتقدر سنة وفاته ١٩٨٥ قبل المسيح، وكانت سنة وفاة سيدنا إسماعيل ١٩٣٧ ق م، وسنة وفاة سيدنا إسحاق ١٨٥٣م، وتقدر أعمار سيدنا إسماعيل ١٣٧، وسيدنا إسحاق ١٤٧ عاماً قبل المسيح.

قوم لوط:

هؤلاء بنو أعمام إبراهيم عليه السلام، بعث فيهم لوط عليه السلام، وكان لوط عليه السلام ابن أخ إبراهيم عليه السلام، هاجر معه إلى الشام بعد إسلامه، بعثه الله تعالى إلى سدوم، وسكان سدوم كانوا عند البحر الميت، تُعرف قراهم بالمؤتفكات، فكانت عاصمتها سدوم، نزل عليهم العذاب بالكفر والعصيان، فدمروا تدميراً، ويسمى البحر الميت ببحر لوط نسبةً إلى سيدنا لوط عليه السلام، ووجه تسمية البحر الميت أنه لا تحيي فيه الأسماك والمخلوقات ذات الأرواح.

مدين:

ذكر المؤرخون أن لإبراهيم عليه السلام ثلاث زوجات: سارة وهاجر، وقطوراء، فكان إسحاق ولد سارة، وإسماعيل ولد هاجر، ومدين ولد قطوراء، أقام مدين في شمال الحجاز عند خليج العقبة، وكان عمرانه على شطي الخليج، وامتدت منطقتها في الجنوب إلى ميناء ضباء، بُعث إليها سيدنا شعيب عليه السلام، قال الله تعالى: وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ، مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِن رَّبِّكُمْ، فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ، وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلاَ تُفْسِدُوْا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا، ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ (الأعراف: ٨٥)

كان قوم مدين مشركين، ومطففين في الكيل والوزن، نزل عليهم عذاب الله بالكفر والعصيان، فأهلكوا بأجمعهم، ونظراً إلى قوم مدين تعرف المنطقة الشمالية في الحجاز بمدين.

أصحاب الأيكة وأبناء ددان:

اعتبر بعض المؤرخين أن ددان ومدين أمة واحدة، وقال آخرون : إنهما أمتان منفردتان، لأن قرى هاتين الأمتين تقع في الشرق متجاورتين، وكانتا من ذرية ددان بن قطوراء، والأيكة اسم للأشجار الشائكة، ويمكن أن هناك غابة نسب إليها هؤلاء، وهذا المكان كان قرب تبوك، بعث إليهم أيضاً سيدنا شعيب عليه السلام، وكان هؤلاء مصابين بالأمراض التي أصيب بها قوم مدين، فأهلكوا بكفرهم وعصيانهم كما هلك قوم مدين.

أدوم:

كان لإسحاق عليه السلام ولدان: أحدهما يعقوب (إسرائيل) وآخرهما عيسو (أدوم)، انتشرت ذرية أدوم في جنوب الشام، وكانت دولتهم بين البحر الميت وخليج العقبة، التي توجد في غربها جزيرة سينا، وفي شرقها دولة الموابين، وكانت عاصمة هذه الدولة البطراء أو الرقيم، وقد سكن قبل ذلك قوم مدين مدينة البطراء، وهي تقع في جهة الشمال، من الساحل الشمالي لخليج العقبة، وتخترقها طريق التجارة، وظلت أكبر مراكز التجارة وأرقاها وأكثرها ثقافة ومدنية، ثم تخربت هذه الدولة في حرب الروم، واستولى عليها الروم، وبعث سيدنا أيوب عليه السلام إلى قوم أدوم.

بنو إسرائيل:

هؤلاء في ذرية اثني عشر ولداً ليعقوب عليه السلام، سموا الأسباط، لما تولى يوسف بن يعقوب عليهما السلام عرش مصر كانت هذه الذرية في الشام، ثم هاجرت في ١٨٧٠ ق م، مع أبيها يعقوب عليه السلام إلى مصر، ونشأت هنا وترعرعت وعاشت مع الأقباط أقدم ذريات مصر، وبعد مدة اعتدى عليها فراعنة مصر ظلماً وعدواناً مستضعفين إياها، واستخدموها كالعبيد، ثم بعث الله تعالى إليهم موسى عليه السلام لإنقاذهم من ظلم الفراعنة، فدعا موسى عليه السلام فرعون الذي كان ملكاً قبطياً في مصر ويُعرف برمسيس، إلى الله تعالى، وحذره من الاعتداء على بني إسرائيل.

كان فرعون لقباً لجميع ملوك مصر، ويعتبر نفسه مظهراً للإله، وكان يجبر سكان مصر على امتثال آداب الإله معه، وكانت عبادة الشمس أصل ديانة قومه، وكانت الشمس أكبر الآلهة عندهم.

توجد آثار عبادة الشمس في مصر الآن في صورة ملامح وأشكال أخرى، طعن موسى عليه السلام في عقيدة إله فرعون طعناً شديداً، وأفحمه مرات، ودعا الله تعالى أن ينقذ بني إسرائيل من ظلم فرعون، فنجّى الله بني إسرائيل، ورجعوا إلى وطنهم القديم كنعان (فلسطين) وحينما علموا أثناء الطريق أن هناك قوما جبارين، تأخروا وامتلأت صدورهم هلعاً، ورغم أن الله تعالى وعدهم بمحاربة هؤلاء ثم النصر لهم، لكنهم أبوا محاربتهم، فعاقبهم الله تعالى أن يتيهوا في الأرض أربعين سنة، وهذا قبل خمسة عشر قبل المسيح، ووفقاً للتوراة كانت وفاة موسى عليه السلام في ١٤٠٠/ ق م، وكان عمره ١٢٠/ عاماً.

يقع ميدان التيه في شمال غرب مدين في جزيرة سينا، واستوطنت ذرية بني إسرائيل مناطق مختلفة من جنوب الشام، بعد فتح فلسطين، أنعم الله على بني إسرائيل بآلاء جسام، فبعث فيهم الأنبياء، وجعل فيهم ملوكاً، لكن بني إسرائيل لم يؤدوا شكر هذه النعم، وكفروا بها، حتى قتلوا أنبياءهم وقادتهم، وكتموا آيات التوراة، بل حرفوا فيها فنزل عليهم العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر، وأخيراً نزل عليهم عذاب أكبر، وهو أن كتب عليهم الذلة إلى يوم القيامة، وانتقل منهم منصب الخلافة الذي أكرم به أبناء يعقوب عليه السلام، ولا شك

أن عيسى عليه السلام آخر الأنبياء في بني إسرائيل وطالت الفترة بعده إلى قرون، وكان العالم قد أصيب بفساد شامل بعصيان وكفر بني إسرائيل، وبسبب هذه الفترة بلغ الفساد إلى آخر حد، وكان حاله كما ورد في الحديث الشريف: إن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا أهل الكتاب،[1] وتدل على هذا الوضع قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه.[2]

بنو إسماعيل:

لما سكن سيدنا إسماعيل عليه السلام في مكة المكرمة، وفجَّر الله تعالى له بئر زمزم، جاء ت قبيلة قحطانية باسم جرهم بإذن منه، بعد ما رأت الماء، وسكنت فيها، ثم تزوج فيها سيدنا إسماعيل عليه السلام فولد لإسماعيل أولاد كانوا عدنانيين من الأب، وقحطانيين من الأم، وسُمي أولاد إسماعيل عرباً مستعربة، وصاروا مسئولي مكة، وبعد مدة سيطر بنو جرهم على مكة بهزيمة بني إسماعيل، وملكوا شئون مكة بأيديهم، وحُرم بنو إسماعيل حقوقهم، وقد أشار بعض رجال جرهم على رؤسائها من أن لا يظلموا، لكنهم لم يمتنعوا، وبعد مدة مرت قبيلة قحطانية أخرى باسم خزاعة، استأذنت من بني جرهم للإقامة في مكة، لكن بني جرهم كانوا عالين في الأرض، فلم يأذنوا لهم، غضب منهم بنو جزاعة، فأغاروا عليهم، وأجلوا بني جرهم من مكة، وإن بعض رجال جرهم الذين ينصحون رؤساءهم كانوا أشد حباً بمكة، وكان فيهم مضاض بن عمرو، فاستأذن من بني خزاعة للمكوث في مكة، لكن بني خزاعة كانوا أشد كراهية من جرهم، فلم يأذنوا لهم، فقرض هذا الرجل قصيدة وهو على جبل أمام مكة، يبدي فيها عواطفه ويذكر قلقه وحرمانه، وفيها:

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَين الحُجُونِ إلى الصَّفَا
أَنِيسٌ، ولَم يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ

وبعد مدة من استقرار الجو في مكة سلك بنو خزاعة في نظام

---

[1] رواه مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي، رقم الحديث: ٧٣٨٦، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

[2] صحيح البخاري، باب إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه (٨١).

الحكم مسلك بني جرهم، فاسترد بنو كنانة من بني إسماعيل زمام شئون مكة إلى أيديهم.

هكذا نشأت ذرية إسماعيل عليه السلام في مكة، وخارجها في وسط الحجاز، ونمت وازدهرت وامتدت إلى مناطق مجاورة في مدة قصيرة، لكن عمرانهم لم يزل محصوراً في وسط وشمال جزيرة العرب، ولم يكن لهم أثر في جنوب جزيرة العرب، ومن أولاد إسماعيل قيدار ودوما وتيما وقيدماه وأنباط.

قيدار: أحد أجداد قبائل عدنان، انتشرت ذريته عامة في الحجاز ونجد وبعض مناطق العراق.

دوما: استوطنت ذرية دوما المناطق التي تعرف بالجوف أو دومة الجندل.

تيما: موضع في شمال الحجاز، وهو موضع أخضر، وقيل: نزلت هنا ذرية تيما، وهي منسوبة إليها.

قيدماه: ذرية قيدماه عند بعض الباحثين: هم الذين لقبوا بأصحاب الرس.

أنباط: (أصحاب الحجر)، نزلت ذرية أنباط في شمال الحجاز وجنوب العراق، فازدهرت ازدهاراً كثيراً، وكسبت خيراً كثيراً، فاعتبرت أولي بأس شديد في هذه المنطقة، وأنشأت مملكتها في هذه المنطقة، وقال مؤلف تاريخ أرض القرآن: "ولعل هؤلاء هم الذين سموا بأصحاب الحجر، لأن المناطق التي سكنوا فيها كانت في بعض مناطقه ثمود ومدين وأصحاب الأيكة، فوجدت هنا قراهم، وكان قوم أنباط يجعلون هذه القرى عاصمةً لها حينا لآخر، ولما كانت عاصمتهم الحجر، سموا بأصحاب الحجر".

وقال بعض المؤرخين: كانت عاصمة أنباط البطراء، وتقع هذه المنطقة على ناحية شمال مدين عند خليج العقبة، وبما أنها كانت مركزاً كبيراً لأحد الشوارع العالمية في التجارة، فتطورت تطوراً ملحوظاً، ونفعت بها بلادها وأهاليها: ثم بادت هذه المدينة في حرب الأنباط والروم.

قيدار، عدنان: وقيدار أحد أجداد قبائل عدنان، انتشرت ذريته عامة في الحجاز ونجد، وفي بعض مناطق العراق، وكان أهمها وأشهرها عدنان، الذي اعتبر أحد الأجداد لجميع الأجيال المستعربة فيما بعد، لأن الأجيال المستعربة الأخرى ما عدا ذريته، إما لم يسجل تاريخها أو

لم ينل من الأهمية وكثرة العدد والتطور الملحوظ درجة.

العصران الثاني والثالث
لأمم جزيرة العرب وقبائلها

بنو قحطان:

كانت اليمن مقر بني قحطان، ثم صارت أرض اليمن وما جاورها من المناطق، بل جزيرة العرب كلها أصل موطنهم، وأقامت فيها أجيالهم إلى زمن طويل، ولما انهدم سد مأرب (سد منيع في سبأ) وفقدت هذه الدولة مكانتها التجارية خرجت بعض أجيالها إلى مناطق أخرى في جزيرة العرب، بحثاً عن أسباب الحياة، فسكنت بعض قبائلها في شمال جزيرة العرب أيضاً.

كان سبأ جد ذريات بني قحطان، فكان في ذريته قبائل أخرى كبيرة، يُعرف بعضها بحمير، وبعضها بكهلان، مرَّ ذكر سبأ في العصر الأول، وتذكر قبائل حمير وكهلان في العصرين الثاني والثالث.

حمير بن سبأ:

كانت قبائل حمير بن سبأ عامةً على السواحل الجنوبية في اليمن، وازدهرت بعد سقوط قبائل سبأ ازدهاراً ملحوظاً، واستوطنت سواحل جنوبية وغربية في اليمن، وكانت عاصمتها مدينة ظفار، التي تبعد من ميناء "مخا" في الشرق، ولم تكن قبائل حمير زمن رقي قبائل سبأ أصحاب سلطة قوية، ولا أكثر تطوراً، وبالرغم من أنهم يملكون زمام الحكومة، كانو مغلوبين، لكنهم ازدهروا بعد سقوط سبأ، وخلفوها في مجالات التجارة، وكان ملوك الحكومات الحميرية يُسمَّون بحمير، ثم بتُبع، وتبع فرع من الحميريين، ملكوا الحكومة في آخر عهود الحميريين.

إن قضاعة كانت أكبر قبائل حمير، فاستولت على جميع قبائل حمير بعظمتها وسلطانها، وسميت هذه القبائل من بعد بقضاعة، وكان من أولاد قضاعة قبيلة بهرة، وجرم، وراسب، وتنوخ، وجهينة وعذرة، ونهد، هاجرت قبيلة تنوخ إلى الشام وأقامت فيها، وكان فيها الشاعر المشهور أبو العلاء المعري، وهاجرت جهينة إلى الحجاز وسكنت فيها، ونزلت قريباً منها بنو عذرة أيضاً، واشتهرت قبيلة بني عذرة في الحب العذري، فصار الحب العذري مثالاً للحب الطاهر

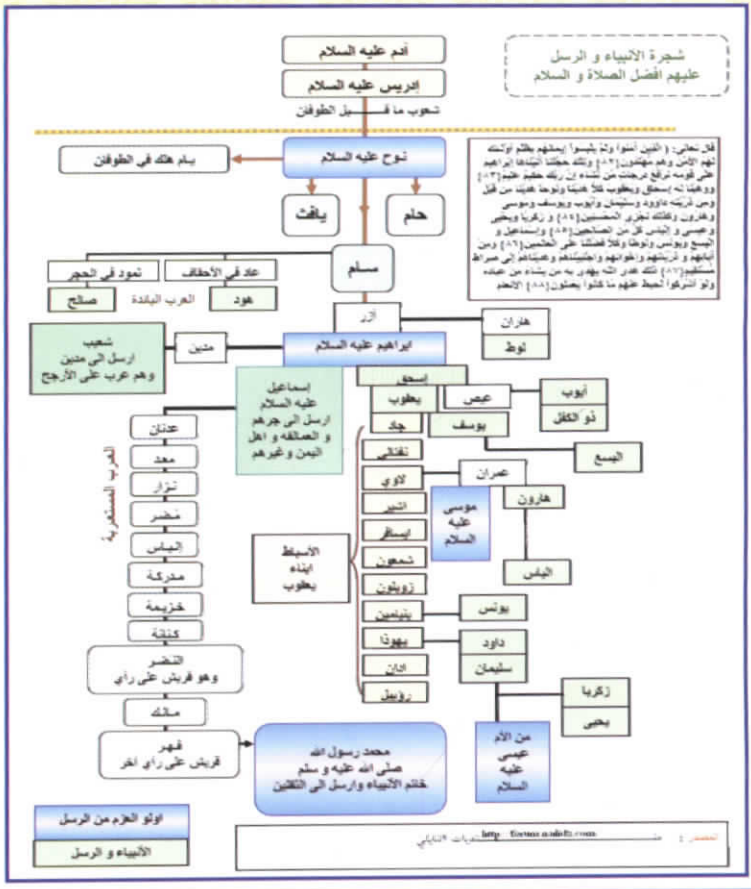
شجرة الأنبياء و الرسل
عليهم أفضل الصلاة و السلام
آدم عليه السلام
إدريس عليه السلام
شعوب ما قبل الطوفان
نوح عليه السلام
يأجوج
مأجوج
يام هلك في الطوفان
حام
يافث
سام
عاد في الأحقاف
هود
ثمود في الحجر
صالح
العرب البائدة
آزر
هاران
لوط
إبراهيم عليه السلام
مدين
شعيب
أرسل الى مدين
وهم عرب على الأرجح
إسماعيل
عليه السلام
أرسل الى جرهم
و العمالقه و اهل
اليمن و غيرهم
العرب المستعربة
عدنان
معد
نزار
مضر
إلياس
مدركة
خزيمة
كنانة
النضر
وهو قريش على رأي
مالك
فهر
قريش على رأي اخر
إسحق
يعقوب
عيص
أيوب
ذو الكفل
جاد
يوسف
اليسع
نفتالي
عمران
أشير
إساقر
زبولون
بنيامين
يهودا
دان
رؤبيل
الأسباط
أبناء
يعقوب
موسى
عليه السلام
هارون
إلياس
يونس
داود
سليمان
زكريا
يحيى
من الأم
عيسى
عليه
السلام
محمد رسول الله
صلى الله عليه و سلم
خاتم الأنبياء وارسل الى الثقلين
أولو العزم من الرسل
الأنبياء و الرسل
قال تعالى: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)[٨٢] وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم)[٨٣] ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين)[٨٤] و زكريا ويحيى وعيسى و إلياس كل من الصالحين)[٨٥] وإسماعيل و اليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين)[٨٦] ومن آبائهم و ذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم)[٨٧] تلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون)[٨٨] الأنعام

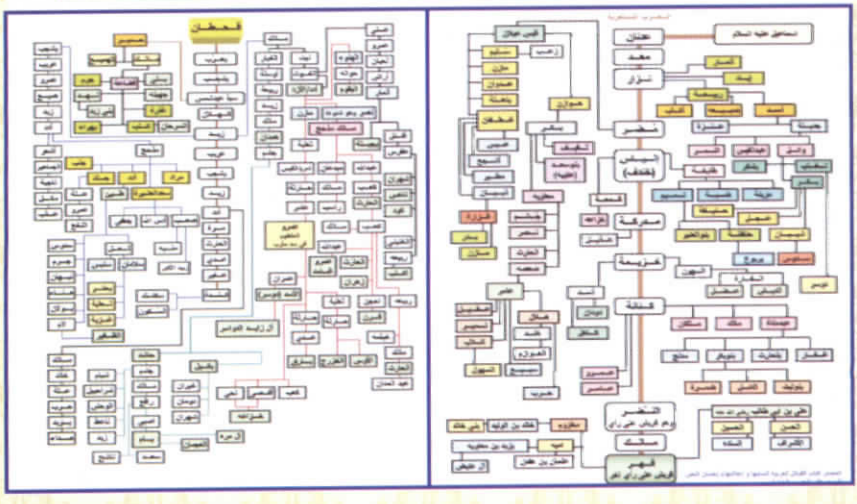

النزيه، وكان جميل بن معمر بطل هذه القبيلة، الذي يحب بثُينة كثيراً، وتميز شعره بانطباعات خاصة ببثينة، وكان في أولاد حمير قبيلة شعبان، ينسب إليها الفقيه الشعبي، كما ينتمي إلى قبيلة حمير زيد الجمهور[1] وسكاسك.

كهلان بن سبأ:

كان هذا الفرع أكبر فروع قحطان، توجد فيها قبائل كثيرة، وأهمها كما يأتي: همدان، طي، مذحج، كندة، أزد، عاملة، جذام، أشعر، ولخم، كان جُلُّ إقامة همدان ومذحج في اليمن، وكانت طي بين جبال أجا وسلمى، في شمال نجد، وما زال بطن منها فيها حتى الآن، ويسمَّى بشمر، وتعرف هذه المنطقة أيضاً بشمر، كما كانت تُعرف من قبل بجبال طي، وأقام كثير من شمر في بادية العراق أيضاً، وظلت قبيلة طي كبيرة ومشهورة، إن بعض الرجال في البلدان العجمية يعرفون العرب بالطائي، فسمي العرب في إيران بتازي، وكان من أشهر رجال قبيلة طي حاتم الطائي وأبو تمام والبحتري.

نزلت قبيلة أزد في عمان، كما نزحت أزد شنوءة في تهامة، مضت قبائل شهيرة متعددة من فرع أزد أيضاً، كان فيها قبيلة غسان، وقد أنشأت دولتها في الشام، وكان آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم، وأشهرهم فيها النعمان بن منذر، مدحه النابغة الذبياني أحد الشعراء المقدمين في العصر الجاهلي بقصائده الرائعة، كما مدح سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه أيضاً آل غسان، كانت عاصمة آل غسان جلق في ضواحي دمشق، كما كانت بلقاء إحدى مدنها في الجنوب، وفي فرع أزد قبائل الأوس والخزرج، الذين سموا بالأنصار بعد إسلامهم، وسكنوا في المدينة المنورة، وفي فرع أزد قبيلة مشهورة باسم خزاعة، وهذه هي القبيلة التي أجلت بني جرهم من مكة المكرمة، وأقامت مع بني إسماعيل، ثم أسست نظام حكومتها أيضاً، وبعد مدة طاردتهم قريش من مكة المكرمة قسراً.

---

[1] زيد الجمهور بن سهل بن عمرو، جد جاهلي، بنوه بطن بن حمير (الأعلام للزركلي).

هاجرت كندة إلى نجد وسكنت فيها، وأسست هنا دولة صغيرة بتعاون من حكومة فارس، فكانت تدعي بمماثلة مملكة الحيرة العربية في العراق، وكان آخر ملوكها والد امرئ القيس أشعر الشعراء في الجاهلية، الذي قتلته قبيلة قيس غضباً عليه، وانتهت هذه المملكة بموته.

وقبيلة أشعر ينسب إليها سيدنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، وفي أولاد لخم فرع مشهور باسم بني منذر، أقاموا مملكة في الحيرة وسط العراق، قرب أرض الكوفة، ساعدتها حكومة فارس، فكان هؤلاء تحت سيطرتها، قرض شعراء العرب قصائد كثيرة في مدح هؤلاء الملوك، كان أشهر ملوكهم عمرو بن هند، مدحه النابغة الذبياني مدحاً، وكانت مملكته ممتدة من العراق إلى الأحساء.

بنو عدنان:

وفي ذرية قيدار قبائل عدنان، التي نالت بفضل الله رقياً وازدهاراً، وكسبت شهرة واسعة، ولم يكن هناك أثر للقبائل الأخرى، لا يمكن أن نثق كاملاً بسلسلة النسب من ذرية قيدار في بعض أولاده، لكن سلسلة نسبه بعد عدنان كانت مشهورة بشهرة بني عدنان.

انتشرت ذريات عدنان في الحجاز ونجد، وشمال جزيرة العرب، وقليل من فروع عدنان ذهبوا في مناطق قحطان، إلا أن عدة قبائل قحطان أقامت في مناطق بني عدنان.

كان ابن عدنان معداً، وابن معد نزار، وكان لنزار أربعة أبناء مشهورين: ربيعة، ومضر، وأنمار وأياد، لم يذكر أصحاب التراجم أحوال أنمار، وأياد إلا قليلا، لكن ربيعة ومضر، أكثر قبائل العرب شهرة، وأكبرها عدداً، وهما من أجداد هذه القبائل.

ربيعة:

أقامت ربيعة أولاً في ضواحي نهر دجلة، فانتشرت ذريتها في المناطق المجاورة لها، وكان في أبنائها أسد وضبيعة، وفي أبناء أسد عنزة وجديلة سوى أسد، وفي أبناء جديلة عبد القيس وهنب، وفي أبناء هنب النمر ووائل، وفي وائل بكر وتغلب، وفي أبناء بكر عجل،

وحنيفة، وشيبان وسدوس، وفي أبناء شيبان ذهل، وأقام أسد وعنزة في شمال نجد، وفرع من أسد هاجر إلى العراق وأقام هنا أيضاً، أما جديلة فأقام أولاً في عين التمر (العراق)، ثم هاجر إلى خيبر وسكن فيها، وسكنت في وطنها قبيلة طائية باسم غزية، استوطن عبد القيس أولاً تهامة، ثم البحرين، وكان في البحرين عدد كثير من بكر وتميم، فجرت منهم مقاومة، لكنه سكن معهم، وسكن نمر وتغلب على شاطئ الفرات في العراق، وأما بكر فكانوا في شمالها، وتعرف ديارهم الآن أيضا بديار بكر، وهي الآن في حدود تركيا، وبقية سكنوا في نجد، وسكن شيبان في شمال نجد، وبنو حنيفة في اليمامة، وبنو حنيفة أكبر قبيلة، ادعى رجل منها بالنبوة، وهو مسيلمة الكذاب، قاتله سيدنا خالد بن الوليد في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه قتالاً شديداً، فانهزم وقتل.

وكانت تغلب قبيلةً كبيرةً وشهيرةً، أقامت أولاً في وسط العراق الذي يعرف بالجزيرة، وكانت من أتباع الديانة المسيحية عامة، وكان كليب سيدها، الذي أقام مع قبيلته بنجد، فلا يعتبر في العصر الجاهلي أحد أشرف منه، ولما قتل ثارت حرب شعواء بين بكر وتغلب، امتدت إلى أربعين سنة، وهي معروفة بحرب بسوس، إن أول شاعر العربية المهلهل بن ربيعة كان شقيقاً لكليب، وكان في هذه القبيلة شاعر مشهور عمرو بن كلثوم.

مضر:

كان مضر شقيق ربيعة، وظلت عداوة شديدة بين ذريتهما، كأنها وزعا نصف شمال جزيرة العرب في منطقتين، وكانت منطقة ربيعة جانباً شرقياً، كما كانت منطقة مضر جانباً غربياً، وهما بمثابة دولتين، وكلتاهما عدوان لدودان، لكن نظامهما كان قبلياً وجاهلياً، سيأتي تفصيله في الصفحات التالية.

كان لمضر ابنان شهيران: أحدهما قيس عيلان، وثانيهما إلياس.

قيس:

كان في أبناء قيس عيلان هوازن وغطفان وباهلة وسُليم ومازن، وفهم وعدوان، وفي أبناء هوازن بنو سعد، وعامر بن صعصعة

وجشم وثقيف، وفي أبناء غطفان عبس وذبيان وأشجع، وفي أبناء عامر بن صعصعة كلاب وهلال ونمير، وفي أبناء ذبيان فزارة، وفي أبناء فزارة بدر ومازن.

سمي قيس بقيس عيلان، لأن عيلان كان عبداً له، رباه قيس بعناية فائقة، فألحقه الناس بقيس، وكانت هوازن وسُليم في مناطق شرقية من مكة والمدينة، غرب نجد، فانتقلتا إلى مصر وإفريقيا بعد ظهور شمس الإسلام، وكانت غطفان أكبر قبيلة، لها فروع كثيرة، سكنت قرب جبال طئ ووادي القرى في نجد، ومن مواضعها الشهيرة الحصاء وأبرق الحنان، كانت هذه القبيلة وقت شروق الإسلام بهذا الموضع، خرج النبي صلي الله عليه وسلم إلى نجد لإصلاح أمرها في غزوة ذات الرقاع، كان ابنا غطفان عبس وذبيان قبيلتين مشهورتين في التاريخ، تعد حربهما في الفروسية حرباً تاريخية شهيرة في العصر الجاهلي، امتدت إلى فترة طويلة، كان في قبيلة عبس شاعر مشهور باسم عنترة بن شداد العبسي، كانت شجاعته مضرب المثل في تاريخ الأدب العربي الجاهلي، وله معلقة غراء، أبدى فيها شجاعته وبسالته، أوقف سريّان فاضلان هذه الحرب بمنح ديات المقتولين من كلا الفريقين، مدحهما الشاعر الجاهلي المشهور زهير بن أبي سلمى في قصيدة خاصة، وهي نادرة الوجود في المدح، وجزء من المعلقات، وكانت قبيلة ذبيان في شمال الحجاز.

كانت بنو سعد في شرق تهامة، وكانت في هذه القبيلة، مرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حليمة بنت ذويب، استوطنت ثقيف الطائف، وكانت ثقيف أيضاً مشهورة وذات سلطة عامة.

إلياس:

كان إلياس شقيق قيس عيلان، ويُعرف أولاده بخندف أيضاً، وكانت خندف زوجته، وكان في أولاد إلياس طابخة ومدركة، وقمعة، وفي أبناء طابخة مزينة وضبة وتميم، وفي أبناء تميم بنو العنبر وحنظلة، وفي أبناء حنظلة يربوع.

وكان في أبناء مدركة هذيل وخزيمة، وفي أبناء خزيمة الهون وأسد وكنانة، وفي أبناء الهون الديش وعضل (القارة)، وفي أبناء أسد

كاهل ودودان.

إن قبيلة تميم تعتبر من أكبر القبائل في الجاهلية والإسلام، نبغ فيها شعراء وخطباء كثيرون.

يُقدّم على سبيل المثال أوس بن حجر وجرير والفرزدق كشعراء، وبنو أهتم كخطباء، هؤلاء سكنوا قبل الإسلام في ديار بكر وتغلب في نجد، وكانت مزينة في الحجاز، وكانت هذيل في جبال جنوب مكة، وظلت هذه القبيلة مشهورة قبل الإسلام بكثرة شعرائها، وجمع بعض المؤرخين أبيات شعرائهم في مؤلف مستقل، ومن أشهر مواضع هذه الديار: الرجيع، وبئر معونة، وكان بنو أسد في مشرق تيماء.

كنانة وقريش:

كان النضر ولد كنانة، ومالك ولد النضر، وفهر ولد مالك، يسمي بعض المؤرخين النضر بقريش، وبعضهم فهراً بقريش، وقريش لقب، مشتق عند بعض اللغويين من القرش، معناه: التجارة، وعند بعضهم مشتق من القرش، معناه: حوت كبير وخطير، وتوجد في أبناء كنانة سوى النضر القبائل المذكورة أدناه: عبد مناة، ومالك، وبلكان، وعمرو، وعامر، وفي أبناء عبد مناة غفار، وبلحارث، ومدلج وبنو بكر، وفي أبناء بني بكر بنو ليث الدئل وضمرة، وفي أبناء فهر بطون تعرف بقريش، وهي محارب، وبنو الحلج، ، وأبناء الحارث وتميم بن غالب، ولؤي بن غالب، وأبناء لؤي أسامة وكعب، والحارث وخزيمة وسعد وعامر.

قريش البطاح:

ومن أبناء كعب بن لؤي بطن لقريش، سكن داخل مكة، وسمي بقريش البطاح، أي سكان داخل مكة، أما البطون الأخرى لقريش فكان مقرها خارج مكة وماجاورها من المناطق، فسموا بقريش الظواهر، وكان مقرها منى وعرفات وغيرهما.

ومن أبناء كعب بن لؤي عدي وهُصيص ومرة، وفي بطن عدي كان الصحابي المشهور والخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن أبناء هصيص بنو جمح وبنو سهم، وفي بني سهم كان الصحابي المشهور سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه.

مرة:

وكان في أبناء مرة تيم ويقظة وكلاب، وفي أبناء تيم الصحابي الجليل والخليفة الأول سيدنا أبو بكر الصديق وسيدنا طلحة بن عبيد الله، وكانا من العشرة المبشرة بالجنة، أما يقظة فكان جداً لبني مخزوم فكان منه الصحابي المشهور خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن الأرقم.

كلاب:

وفي أبناء كلاب زهرة وقصي، أما زهرة فهو جد لأم النبي صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب.

قصي:

قصي رجل عظيم في قريش، انتقلت منه سيادة مكة من كنانة إلى قريش، إنه جمع بطون قريش، وملأها نشاطاً وقوة، فصارت مسئولة عن نظام مكة وشئون بيت الله الحرام، فلقب بالمجمِّع. ولما توفي قصي انقسمت هذه الشئون في عبد مناف وغيره من أعضاء أسرته، وكان تفصيله على ما يأتي:

مسئولية تولية مكة:

نال هاشم بن عبد مناف خدمةَ ضيافة الحجاج وسقايتهم، وانتقلت في أبنائه من عبد المطلب ثم أبي طالب ثم عباس ثم في أولاده، وبقيت هذه المسئولية في أبناء عباس بعد الإسلام.

ونال عبد شمس بن عبد مناف مسئولية اللواء والقيادة، التي انتقلت إلى ابنه أمية، ثم إلى ابنه حرب ثم أبي سفيان وعتبة بن الوليد بن شمس، فأخذ لواء القيادة في حروب قريش ضد المسلمين، وكانت مسئولية رعاية الحجاج وخدمتهم على نوفل.

ونال عبد ود حجابة الكعبة، وانتقلت منه إلى ذريته: شيبة وأبنائه، وبقيت بعد الإسلام في هذه الأسرة، وكان حاجب الكعبة عند فتح مكة رجلها العظيم عثمان بن طلحة، أخذ منه النبي صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة ثم ردَّه إليه.

وفوضت أمور الشورى إلى أسد، وفي رجال هذه الأسرة المشهورين زبير بن العوام ابن عمة النبي صلي الله عليه وسلم، وورقة بن

نوفل، ابن عم خديجة رضي الله عنها.

وكانت عند تيم شئون ديات المقتول وغيرها، وفوضت إلى مخزوم ابن يقظة بن مرة شئون الخيام والأفراس، وإلى عدي شئون السفارات، وإلى جمح شئون الاستسقام بالأزلام، وإلى سهم شئون الخصومات الداخلية.

بقيت ضيافة الكعبة وحجابتها من بين الشئون المذكورة أعلاه، في قبائل قريش، أما المسئوليات الأخرى فقد انتقلت من هذه القبائل إلى آخرين.

عبد مناف:

إن بطون عبد مناف بن قصي كانت أهمها وأكثرها تأثيراً في مكة المكرمة، وكان في أبناء عبد مناف نوفل، ومطلب وعبد شمس وهاشم، كسب فيهم عبد شمس وهاشم شهرةً واسعةً، وأسندت إليهما مسئوليات مهمة، واشتهر بنو أمية في أبناء عبد شمس، وكانوا دائماً سابقين في الحروب.

عبد شمس:

عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، من قريش، من عدنان، جد جاهلي، كان له من الولد أمية، وحبيب وعبد أمية، ونوفل، وربيعة، وعبد العزى، وعبد الله، قال ابن حبيب: عبد شمس من أصحاب الإيلاف، كان متجره إلى الحبشة، ومات بمكة.

أمية بن عبد شمس:

وهو أمية الأكبر بن عبد شمس، أبو العاصي، كان يقال له الأمين، وهو من حكماء قريش وشعرائهم، وهو جد الأمويين بالشام والأندلس، كان من سكان مكة، وكانت له قيادة الحرب في قريش بعد أبيه، وعاش إلى ما بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان هو وابن عمه عبد المطلب بن هاشم فيمن وفد على سيف بن ذي يزن في قصره (غمدان) بصنعاء، لتهنئه بانتصاره على الحبشة.

هاشم:

كان هاشم والد جد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما زال مساعداً لأخيه عبد شمس في سياسة البلاد وإدارة نظام القبائل،

وكان إشراف الحجاج وإكرامهم لدى هاشم، فانتقل منه إلى أبنائه، وكانوا يقومون به خير قيام، وصار عبد المطلب بن هاشم أشهر رؤساء قريش، وكان اسمه عامر، فاشتهر في العرب بجوده وخدمة الحجيج ومؤاساة الفقراء والمساكين ومساعدة الناس عامة، فكأنه رئيس مكة، وورثه أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووالد علي رضي الله عنه، فكان يحمي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعدائه ويراقب أموره ونظامه.

عبد المطلب:

كان لعبد المطلب ١٣/ ابنا: عبد الكعبة، ضرار، قثم، الزبير، المقوم، حجل، الغيداق، أبو لهب، الحارث، حمزة، العباس، أبو طالب، ووالد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله، وبنات عبد المطلب وهن عمات رسول الله صلي الله عليه وسلم ست: أم حكيم البيضاء، أميمة، أروى، برَّة، عاتكة، صفية، فكانت صفية وسيد الشهداء حمزة، من زوجة لعبد المطلب، وبقية بنات عبد الطلب ووالد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووالدة أبي طالب هي زوجة أخرى لعبد المطلب.

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ١٢/ ربيع الأول عام الفيل سنة ٥٧٠م، وقبل ولادته توفي أبوه عبد الله بن عبد المطلب، فنال رسول الله صلى الله عليه وسلم رعاية جده بدلاً من أبيه، فعُني به عناية لائقة، ولما بلغ من عمره السادسة توفيت أمه، ولما بلغ من عمره الثامنة توفي جده، فناب عنه عمه أبو طالب، وأكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالنبوة في عهده، ولم يسلم عمه أبو طالب الذي كان يحبه حباً جماً، لأسباب مفروضة، لكنه ظل مدافعاً في صيانة النبي صلى الله عليه وسلم، وتوفي عمه أبو طالب في العاشرة من نبوته، وكان له خمسة أبناء، وكان فيهم علي بن أبي طالب، الذي صار أحد أصهار النبي صلى الله عليه وسلم، وكان عمره أقل من النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثين عاماً.

كان بطنان من بطون قريش وقت شروق الإسلام مشهورين، وذوي سلطة، أحدهما بنو هاشم، وثانيهما بنو أمية، وفي بني هاشم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلي بن أبي طالب وسيد الشهداء

نسبُ قُريش

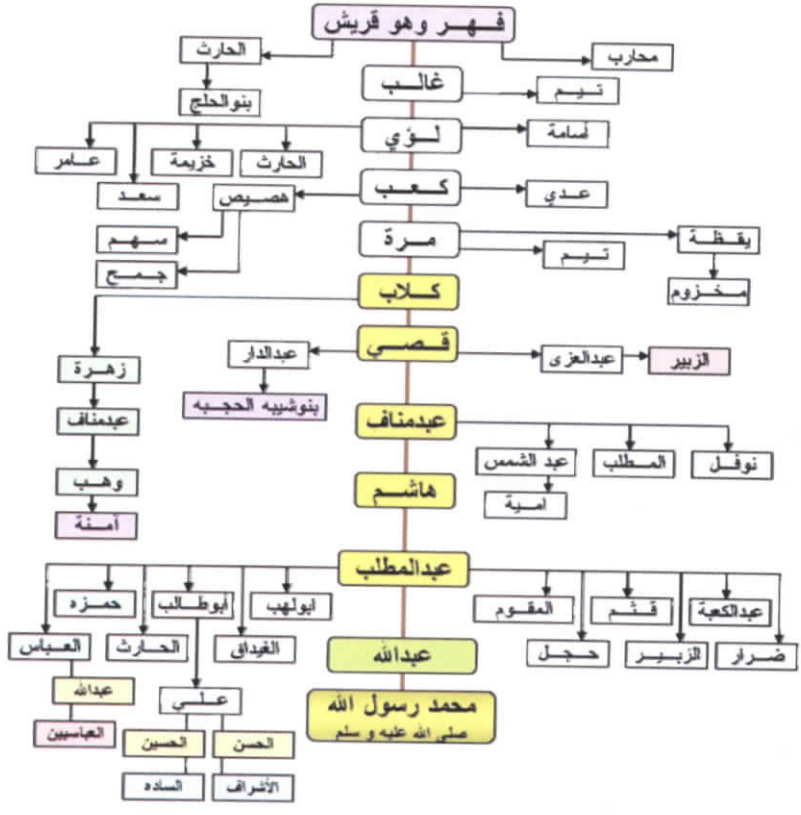

المصدر كتاب القبائل العربيه انسابها و اعلامها د.احسان النص
تنسيق علي الحسين العارثي

حمزة وعباس رضي الله عنهما عما النبي صلى الله عليه وسلم، وسميت ذرية علي رضي الله عنه بالعلوية، وذرية عباس رضي الله عنهما بالعباسية، وقد حكم آل عباس من القرن الثاني إلى السابع على رقعة كبيرة من العالم الإسلامي، حكومة صنعت التاريخ.

كان من أهم رجال بني أمية أبو سفيان، ومروان، وسيدنا عثمان رضي الله عنه، وكان أبو سفيان قبل إسلامه رئيس قبيلته، بل رئيس أهالي مكة، وقد حكم سيدنا معاوية وأبناء مروان منذ خلافة علي رضي الله عنه على مناطق واسعة من العالم الإسلامي، وكان مروان أبا الحكام الأمويين، كان الخلفاء الأمويون بعد معاوية بن يزيد بن معاوية من ذريته، وسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه الخليفة الثالث وأحد العشرة المبشرة بالجنة.

وإن عمرو بن العاص حاكم مصر الذي كان أحد أصحاب معاوية رضي الله عنه في السياسة، من بني سهم، وكان خالد بن الوليد الذي كان من المجاهدين الأبطال، والقواد الإسلاميين، من بني مخزوم بن يقظة، وإن أبا جهل الذي كان عدواً لدوداً للإسلام، كان من بني مخزوم أيضاً.

كان بنو أمية يعادون بني هاشم وقت ظهور الإسلام، وظلت هذه العداوة من بعد الخلافة الراشدة إلى مأة عام، ثم صار آل عباس أعداء لبني أمية، وقد حدثت حوادث غير مرضية بهذه العداوة على مدى التاريخ.

أبو طالب:

اسمه عبد مناف، وأمه فاطمة، أم عبد الله بن عبد المطلب أيضاً، فكان منيعاً عزيزاً في قريش، ومات أبو طالب في السنة العاشرة من المبعث، وهو ابن بضع وثمانين سنة، ودفن بمكة في الحجون، ومن أولاده عقيل وجعفر وعلي، وطالب وأم هانئ، واسمها فاختة وجمانة، وكان أبو طالب من أشد الناس دفاعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن نفسه لم تطاوعه على اعتناق الإسلام وفراق دين آبائه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يُسلم، لأنه هو الذي كفله، وذاد عنه إلى آخر لحظة من حياته.

الباب الثامن

حضارة جزيرة العرب ومدنيتها

قال بعض المؤرخين عن أمم العرب: إنها سكنت خارج جزيرة العرب أيضاً، لكن أكثر مستعمراتها كانت في جزيرة العرب، وتغطي هذه الجزيرة أكثر مناطقها، فسميت موطنها ومسكنها، وقال آخرون: إن العرب وما جاورها من القبائل كانوا من ذرية واحدة، تنضم إليها بعض قبائل مصر والشام والعراق، ويعدُّ أحد فروع فراعنة مصر أيضاً من ذرية عربية، وبما أن بلدان هذه الأمم خضراء، فتوافرت فيها إمكانيات الرقي والازدهار، وصارت هذه الأمم أكثر تطوراً في التاريخ، لكن العرب الذين كانوا في جزيرة العرب، فإنهم – بتضاريس خاصة في جزيرة العرب وخصائصها الوطنية – كانوا محرومين إلى حد كبير من تسهيلات التطور والحضارة، بل تعرضت لهم مشاكل في إيجاد الرابطة مع بقية العالم أيضاً، وكانت جزيرة العرب تغطي كثيراً من المناطق اليابسة الجافة، استثني منها سكان اليمن، فإنهم وإن كانوا على رقعة من جزيرة العرب، يفوقون بقية سكان العرب بأراضيهم الخصبة النضرة، فقد خلّدوا آثاراً باهرة للرقي والازدهار في التاريخ.

ينقسم سكان جزيرة العرب بين منطقتين: شمالية، تغطي نصف شمال جزيرة العرب، وجنوبية، تشمل نصف جنوب جزيرة العرب، فسكان الشمال كانوا من ذرية إسماعيل عليه السلام، وسموا بالمستعربة، وعرفوا بالعدنانية فيما بعد، وسكان الجنوب كانوا من ذرية قحطان، وسموا بالقحطانية، وبما أن جنوب العرب خصب أخضر، فكان سكانه متزايدين في الحضارة والمدنية والمال والثراء.

كانت خلافات عرقية ومنطقية وحضارية بين آل عدنان وآل قحطان، فتوجد عصبية شديدة بينهما، وتحمل كلتا القبيلتين شعاراً عربياً خاصاً، وإن العرب المضريين الذين كانوا عدنانيين يعقدون عمائم حمراء، والعرب اليمنيين الذين كانوا قحطانيين يعقدون عمائم

صفراء، وإن اختلاف العرب وعصبيتهم لم يكن بين العدنانيين والقحطانيين فقط، بل كانت حياة العرب وخصائصها، بحيث تُثير خلافات وعصبيات شديدة في كل قبيلة، تكون تارة مبعث حروب متتالية، وتوجد آثار هذه العصبية في صراعات وحروب بين مضريين أي العدنانيين، واليمنيين أي القحطانيين، وبين بني مضر وبني ربيعة، والسبب الأكبر في عداوة مسيلمة الكذاب وقبيلة بني حنيفة من الإسلام أن قد دعاه رجل من مضر إلى الإسلام، وكان بنو حنيفة من ربيعة، وكان أبو جهل المخزومي يحسد النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه كان هاشمياً، ولم ينل بنو مخزوم هذا الشرف والمكانة، ونال رجل من هاشم النبوة والرسالة، إن قبيلة عبد القيس كانت من بني ربيعة، حينما وصل وفد من هذه القبيلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم رحَّب به النبي صلى الله عليه وسلم ترحيباً حاراً، وقال: مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى[1]، لعل هذه الكلمات الترحيبية نطق بها لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للحد من الفروق القبلية.

كانت اختلافات متنوعة في شمال العرب وجنوبها لأسباب عديدة، تبعث الناس على العداوات والحروب.

أولاً: إن سكان جنوب العرب كانوا أكثر حضارةً وأكثر تطوراً، ويعيش شمال العرب عامةً حياةً بدويةً.

ثانياً: وإن كانت لغات سكان كلتي المنطقتين عربيةً، لكن بالنظر إلى موقعهما وفوارق مناطقهما المجاورة واختلاف أساليب الحياة فيهما كانت لغات هاتين القبيلتين مختلفةً إلى حد كبير، وكانت لغة الجنوب متأثرةً باللغات الحبشية والأكادية، ولغة الشمال متأثرةً باللغات الآرامية والنبطية، وهاتان اللغتان تنطقان في المناطق المجاورة للجنوب والشمال.

ثالثاً: كان مستوى المناطق العربية الفكري والثقافي في جنوب جزيرة العرب وشمالها مختلفاً جداً، وكان سكان جنوب العرب يعاشرون أمماً خارج جزيرة العرب، ويتعاملون معها، ويتبادلون الزيارات، فاقتبسوا عناصر مختلفة من حضارات الأمم الأخرى، واستفادوا منها،

---

[1] صحيح البخاري، رقم الحديث: ٥٣.

حتى ارتفع مستواهم الفكري والمدني، لكن سكان شمالي العرب بقوا على مستواهم القديم بانقطاع الأمم الأخرى عامةً، ولم يستفيدوا أيما استفادة من التطورات المعاصرة والحضارات الحديثة.

رغم هذه الاختلافات كان سكان شمال العرب وجنوبهم شعباً واحداً، وكانت لغاتهم أيضاً واحدةً، وكانت خصائصهما العرقية وتضاريسهما الجغرافية منسجمةً إلى حد كبير، فكان انسجام وطني لدى عرب هذين الموضعين، فكانت أجيال منطقة وقبائلها بعض الأحيان تهاجر إلى منطقة أخرى بأوضاعها الخاصة، وتساهم في نشاطات قبائلها، وقلما انتقل سكان المناطق الشمالية إلى الجنوبية، إلا أن سكان المناطق الجنوبية بعد انهدام سد مأرب، وفقدان مكانتها التجارية سكنت في الشمال طلباً للرزق، لكن ظل الاختلاف باقياً بين أجيال عدنانية وقحطانية.

كان العرب متوزعين قسمين مدنيةً واقتصاداً: (١) عرب البادية، وهم أهل الوبر. (٢) عرب الحضارة، وهم أهل المدر. وسمي عرب البادية بأهل الوبر، لأنهم يعيشون حياتهم في الخيام، التي تنسج عامةً بأصواف الابل، وسمي عرب الحضارة بأهل المدر، لأنهم يعيشون في بيوت مبنية من التراب، وكانت حياة هذين النوعين من العرب وخصائصهما منفردة، وبما أن جزيرة العرب توجد فيها أراض قاحلة، ومناطق صحراوية، فتقل فيها مبان حضرية غير منقولة، فكان كثير من العرب مضطرين إلى أن يعيشوا حياة بدوية انتقالية، ولا يمكن أن يعيش الإنسان حياة حضرية إلا في المناطق التي تكون صالحةً للزراعة والتجارة والصناعة أو وظائف مشابهة لها، ولا توجد إمكانياتها عامة في جزيرة العرب إلا في اليمن وعسير، فكان العرب يعيشون حياة بدوية كثيراً في جزيرة العرب.

ظل العرب يحملون طبيعةً عربيةً وخصائص أصلية، فكانت توجد فيهم عربية خالصة، فالحاجة ماسة إلى دراسة حياة العرب البدوية أولاً لمعرفة الخصائص العربية والذهن العربي والثقافة العربية، كما أن هذه الدراسة تكون عوناً لمعرفة الحياة الحضرية للعرب على أوسع نطاق.

عرب البادية:

يسكن عرب البادية عامةً في المناطق الصحراوية من جزيرة

العرب، ويعيشون حياة بدوية، ويطلبون المطر والماء، فحيثما وجدوا الخصبة ذهبوا إليه، وأقاموا فيه مع حيواناتهم، وعاشوا بألبانها وأصوافها، وما زالوا يسكنون فيه إلى أن تنتهي وسائل الخصوبة، ثم ارتحلوا إلى موضع آخر، وقضوا حياتهم في الصحاري، وإذا تأخر نزول المطر كان ذلك مبعث صبر ومحنة كثيرة، وكثيراً ما يواجهون مثل هذه الحالات، فتأتي مواضع كثيرة في أدبهم وشعرهم، ورد فيها ذكر الأمطار وانطباعاتهم الخاصة بها، قال شاعر:

"مَعَ الغَيثِ مَا تُلْقى، ومَنْ هُو غَالبُ"[1]

كان هؤلاء بالعكس من عرب الحضارة يزدرون بالتجارة والزراعة وجميع الحرف والصناعات، ولم تكن طبائعهم تجارية، فإذا خاضوا في أمر أحياناً كان جمالين أو هادين أو محافظين، ويقضون حياتهم على أشياء ينالونها من الحيوانات، ويتبادلون أشياء أخرى، ويأكلون لحومها، ويشربون ألبانها، وينسجون من أصواف الحيوانات الثياب والأردية والخيام، وإذا بلغ منهم نقص الرزق مبلغاً أكلوا الضب والحيوانات الصحراوية الأخرى مثل اليربوع والوبر، وتكتفي حيواناتهم التي تكون عامة الابل بالغذاء العادي، وكلما وجدوا شيئاً من الغذاء أو من الرطب اكتفوا به، وفي بعض الأحيان يكتفون بالثمالة.

حياة العرب:

كان هؤلاء العرب يعيشون حياة أسرية وقبلية، وكانت القبيلة وحدة حياتهم الاجتماعية التي يقوم عليها نظام حياتهم، وكانت بين هذه القبائل عصبية أسرية شديدة، فكانوا يتقاتلون فيما بينهم، ولا تعترف قبيلة بسلطة قبيلة أخرى، وبناءً على المصالح الحربية كانت تعاهد أحياناً قبيلة مع قبيلة أخرى، فتتحدان، وتارة يحدث أن قبيلة ذات سلطة تستولي على قبيلة أخرى، غير مؤثرة، وتمحو معالم شهرتها أحياناً بشهرتها، فانضمت قبائل صغيرة متعددة من العرب إلى قبائل قوية مشهورة، وسميت باسمها، فلا يكون صحيحاً من كثرة رجال قبائل مشهورة أنهم كانوا رجال هذه القبائل المخصوصة مأة في المأة، وتذكر

---

[1] قاله الأخنس بن شهاب التغلبي، في قصيدة طويلة: مطلعها:

فمن يك أمسى في بلاد مقامة يسائل أطلالاً بها لا تجاوب

على سبيل المثال قوم سبأ وقبائل أخرى أيضاً.

يتعاون رجال القبيلة بعضهم بعضاً، وتضطرهم إلى هذا أحوالهم وحاجياتهم، وكان يعتبر كل فرد التعاون فيما بين الناس واجباً شخصياً، ولا يسأل في هذا الأمر عن الدليل والسبب، قال رجل من بني العنبر:

لا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ
فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا

وإذا صدرت جريمة أو خطأ من رجل من القبيلة واجهت القبيلة نتائجها، وتعتبرها مسئولية شخصية لها، قال دريد بن الصمة:

وَمَا أَنَا إلا مَـن غَزِيَّةَ، إن غَوَتْ
غَوَيتُ، وَإن تَرْشُدْ غَـزِيَّةُ أَرْشُدِ

وإذا ثارت قبيلة ضد أفرادها اضطر إلى الموالاة مع قبيلة أخرى، لصيانتها وتقوية أواصرها، وتحصل حقوق أصلية في الموالاة أيضاً، ويكون رئيس قبيلة في القبيلة والياً كبيراً، فكان سيداً ومطاعاً ومنفذاً لأوامره، فكأنه شيخ قبيلة، ومسئول كبير عنها، فبناءً على هذه الميزة تكون له حقوق متوافرة في الغنيمة، أي ربع مال الغنيمة، والشيئ الذي آثره، والشيئ الذي ناله قبل الحرب بلا تعب، وكذلك المال غير الموزع، فالأول يُعرف بالمرباع، والثاني بالصفية، والثالث بالنشيطة، والآخر بالفضول، كما يشهد بذلك الشعر الذي خاطب شاعر فيه شيخ القبيلة:

لَـكَ الـمِـربَاعُ فِـينَا والصَّفَايَا
وحُكمُكَ في النَّشِيطَةِ وَالفُضُولُ

وكان هذا الاتصال خلقياً، فلم يكن لإبقائه قوات وضباط أمن، بل كان كل فرد من القبيلة شرطياً وضابط أمن لها، وكان مستعداً دائماً للسمع والطاعة، ذلك لأن جميع أفراد القبيلة ينالون فوائد متنوعة، ويكونون مصونين من كل خطر، بهذا التعاون والاتحاد، وحيثما يتسع نطاق سلطة القبيلة وتنقلاتها كانت بلادها ووطنها، وكانت قوميتها وسياستها محدودة فيها.

هذه القبائل تحمل في مناطقها سلطة مثل الحكومة، فلا تمر قبيلة بديارها بدون إذنها، وإذا مرَّت تعرض أفرادها للهلاك، فلا يمكن أن تدخل قوافل أو رجل من خارج جزيرة العرب إليها عامة، وقد

أقامت الامبراطوريتان: الإيرانية والرومية لصيانة قوافلها التجارية على حدود جزيرة العرب، حكومة ومملكة لهذه القبائل، وجعلتاها ذريعة بينها وبين العرب، فهذه القبائل الحاكمة كانت مسئولة عن صيانة قوافلها، فتنال منها عطايا كثيرة، وتقدِّم هذه القبائل مساعدات عالية إلى هذه الحكومات في أحرج الأوقات وأصعبها، كانت حكومة لخم في الحيرة بين إيران والعرب، وحكومة الغساسنة بين الروم والعرب قرب دمشق، ذات مرة لم تستمد حكومة إيران من حكومة لخم، واعتمدت على قوتها فأرسلت قوافلها التجارية في جزيرة العرب، أغارت عليها العرب ونهبت أموالها، فأرادت كبح جماحها، لكن لم يظفر ببغيتها، ويعتبر هذا الحادث فتحاً للعرب ضد أهل فارس في تاريخ العرب، وكان يُعرف بيوم ذي قار.

وكانت الغارة والنهب ذريعة ثانية لحياة الأعراب، وكانوا يغيرون على القبائل المعادية لهم، فيسوقون آبالهم ونساءهم وأطفالهم، وتكون قبيلة أخرى أيضاً بالمرصاد، وتحقق نواياها إذا سنحت لها الفرصة، وقد جبلوا على النهب والغارة، بحيث إذا ما وجدوا الأعداء أغاروا على قبائلهم، قال القطامي:

وأحياناً على بكرٍ أَخِينَا
إذَا مَا لَم نَجِدْ إلا أَخَانَا

وبالنسبة إلى ذلك يتعاقدون فيما بينهم، لكن هذه العقود لا تستمر إلى مدة طويلة.

مروءة العرب:

إن غاية حياة العرب في الأخلاق والعادات هو الدور البطولي العام، وهو يُعرف في اللغة العربية بالمروءة، وكانت كلمة المروءة تحمل خصالاً، يصعب تحديد معنى ومفهوم هذه الكلمة كاملةً، لكن نستطيع أن نقول: إن لها عنصرين كبيرين: الشجاعة والسخاء، فكانت الشجاعة في الحروب، والسخاء لتكريم الضيوف، وهناك كلمة مما ثلة لها، وهي الفتوة، معناها: الرجولة والشجاعة والأنفة، فكان العرب يعتبرونها صفةً قوميةً مهمةً، يزخر الأدب العربي بذكر مفاهيم هاتين الكلمتين، حتى إن قطاع الطرق أيضاً يحاولون أن ينتموا إلى هذه الصفات، وكان قاطع الطريق يُعرف باللغة العربية بالصعلوك، ولم يكن النهب قبيحاً عند العرب، بل كان يُعتبر رمزاً للشجاعة

والهمة، فكان الصعلوك عند العرب رجلاً عصامياً، إن شاعراً يصوِّر حالة الصعلوك بأبياته، يتجلى منها فكرة جامعة للصعلوك، ترتسم في أذهان العرب عن أبناء وطنهم:

لَحَا اللّهُ صُعْلُوكاً إذا جَنَّ لَيلَهَ
مُصَافِي المُشَاشِ آلفاً كُلَّ مَجْزَرِ
يَعُدُّ الغِنَى مِن نَفسِهِ كُلَّ لَيلَةٍ
أَصَابَ قِرَاهَا مِن صَدِيقٍ مُيَسَّرِ
ولكِنَّ صُعْلُوكاً صَفِيحةُ وَجهِهِ
كَضَوءِ شِهَابِ القَابِسِ المُتَنَوِّرِ
مُطِلاً على أعدائِهِ يَزجُرُونَهُ
بِسَاحَتِهِم زَجْرَ المَنِيحِ المُشَهَّرِ
إذَا بَعُدُوا لا يَأمَنُونَ اقْتِرَابَهُ
تَشُوَّفَ أَهْلِ الغَائِبِ المُتَنَظِّرِ

وقال آخر:

قَلِيلُ التَّشَكِّي لِلمُهِمِّ يُصِيبُهُ
كَثِيرُ الهَوَى شَتَّى النَّوَى والمَسَالِكِ
يَظَلُّ بِمُومَاةٍ وَيُمسِي بِغَيرِهَا
جَحِيشاً، وَيَعرُوري ظُهُورَ المَهَالِكِ
يَرَى الوَحْشَةَ الأُنْسَ الأَنِيسَ وَيَهْتَدِي
بِحَيثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ

نيل السمعة:

كان نيل السمعة كثيراً في طبائع العرب، فكانوا يتمنون أن يمدحوا في حياتهم، وفي صورة أخرى بعد مماتهم، فيجعلون سخاءهم وشجاعتهم ذريعة لنيل السمعة، ثم يسعون أن يجعلوا هذه الصفة مشهورة وخالدة بأبياتهم وأبيات شعرائهم، فيبذلون أو قاتهم في إبقاء سمعتهم وإكرامهم أو يرغبون في التمتع بأبياتهم المرضية، فكان هذان الجانبان مجالاً لأذواقهم وطموحاتهم.

السخاء:

بلغ السخاء في العرب إلى آخر مداه، حتى صار إلى حد الغلو، وتارةً يزداد هذا الغلو، وكان حاتم الطائي مضرب المثل، وإن قصص

سخائه التي ذكرت في الكتب والمؤلفات مدهشة بحيث يعتبرها بعض الناس حُمقاً وسفاهةً، لكن كان نظام حياة العرب، بحيث أصبح فيه السخاء والضيافة بُلغة حياتهم، وكان العرب يسافرون في الصحاري التي لا توجد فيها رباطات ولا دكاكين، ولا يمكنهم أن يجهزوا شيئاً لرحلاتهم الطويلة، فإذا لم يكرمهم أحد فكيف يعيشون أحياءً، فكان السخاء حاجةً مشتركةً، فالتمست الحياة الصحراوية حلاً لها، وكان لدى العرب موضع شرف واعتزاز أن يجدوا ضيفاً، ثم يكرمونه إكراماً بالغاً، ومن ثم شاعت فيهم عاطفة الجوار، وبالجوار ينال الأعداء إكراماً وتشريفاً.

وكان أهل السخاء يُحرقون النار في الليل، لتلوح من بعيد، وتكون موضع اصطلاء للمسافرين خاصةً في الشتاء، يذكر الشاعر عامة في السخاء ارتفاع لفح النار والكلاب، التي تحرس الخيام، ويقول دريد عن الكلب:

وأني لا يهرُّ الضيف كلبي
ولا جاري يبيت خبيث نفس[1]

وقد استدل حاتم الطائي مخاطباً زوجته بكون السخاء فعلاً محموداً، بحيث إنَّ المال يحصل صباحاً وينتهي مساءً، ثم يكون ذكراً فقط، يقول:

أمَاوِيَ إنَّ المَالَ غَادٍ وَرَائِحٌ
وَلا يَبْقَى مِنَ المالِ إلاَّ الأحاديثُ والذِّكرُ

و قال آخر:

إنما المَرءُ حَدِيثٌ بَعدَهُ
فَكُن حَدِيثاً حَسَناً لِمَن وَعى

الشجاعة والولوع بالحرب:

كان العرب يهتمون بالشجاعة مثل السخاء، فيتحاربون، ولا يسمعون أنهم قد انهزموا، وكانوا يفكرون في أنفتهم، فلا يتلكأون

---

[1] الأمالي في لغة العرب لأبي علي القالي، ج٢/ ١٦٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

في تقديم تضحيات جسام، وقد نشبت حروب جسام بأدنى حمية، ذهب ضحيتها عدد لا بأس به من الناس، منها حرب داحس والغبراء، التي جرت بين عبس وذبيان بحدوث خلل يسير في سباق الخيل، واستمرت إلى أربعين سنة، وكذلك حرب بكر وتغلب اشتبكت بين قبيلتين كبيرتين بإصابة جروح في ناقة ضيف، واستمرت إلى نصف قرن، هلك فيها رجال كثير، ورد ذكرهم في الشعر العربي كثيراً، قال الشاعر المشهور المهلهل بن ربيعة عن أمثال هذه الحروب:

"وقد فني الحيان، وثكلت الأمهات، ويتم الأولاد، ونائحة لا تزال تصرخ في النواحي، ودموع لا ترقأ، وأجساد لا تدفن".

أصبحت الحرب طبيعة للعرب باستمرارها، فكانوا يستعدون لها، ويدخرون لها الأسلحة، ويقتنون الأفراس، ويذكرون كل ذلك بأسلوب شيق جذاب، قال شاعر:

إذَا المُهرَةُ الشَقْرَاءُ أَدْرَكَ ظَـهْرُهَا
فَشَبَّ الإلهُ الـحَربَ بَيْنَ القَبَائِلِ

إن الإنجازات التي تكون نتيجة الحروب، والحوادث التي تقع، والانطباعات التي ترتسم على القلوب تُذكر في الشعر، فيردد هذا الشعر فخراً واعتزازاً أو إشعاراً بالعواطف، ويكون على طرف لسان الخاصة والعامة، بالنظر إلى هذا ازدادت أهمية الشعراء في العرب، فكانوا يقدَّرون، ويبجلون، ويُعطَون عطايا كثيرة، ويخشى منهم، وفي جهة أخرى بدأ الشعراء يعرفون مكانتهم ويستغلون فوائد مباحة وغير مباحة، يكرمون بعضاً ويهينون بعضاً، وردت كثير من قصصها في تاريخ الأدب العربي.

وقد سرى القمار والخمر والزنا وغيرها من الأمراض في العرب خاصةً، وكانت أنواع الخمور وأسماؤها كثيرةً، ورد ذكر الخمر في شعرهم بكل فخر واعتزاز، ويجعلونها ذريعة للترف والبذخ، يقول الشاعر المشهور المنخل اليشكري:

فإذا انتَشَيتُ فإنَّني ... رَبُّ الخَوَرْنَقِ والسَّدِير
وَإذَا صَحوتُ فإنَّني ... رَبُّ الشُوَيهَةِ والبَعِير

و كان إنفاق المال في الخمر يُعتبر شجاعة، ويفتخر الشعراء بذكره، فكانت حوانيت الخمور في العرب، ولم يكن هنا شيوع

لدكاكين الأشياء الأخرى، وكانت كلمة الحانوت باللغة العربية لبيت الخمر، وهذه الدكاكين تكون على الشارع العام، وترتفع رايات عليها.

وكان القمار يُعتبر علامة الوقار والعظمة في الحياة الجاهلية، فكان عدم المشاركة فيه دليلاً على ضعف الهمة وكآبة القلب، ويتهمون المتحاشين عن القمار بالبخل وضيق القلب، وتعتبر المشاركة المطلقة علامة لسعة القلب والسخاء، قال حجر بن خالد وهو يذكر مخاصمته مع زوجته:

ثم يذكر تحاشيه عن القمار قائلاً:

وإذا هَلَكتُ فلا تُرِيدِي عَاجزاً
غَسَّاً ولا بَرَماً ولا مِعزَالاً
واسْتَبْدِلِي خَتَناً لأهلِكِ مِثلَهُ
يُعطِي الجَزِيلَ ويَقْتُلُ الأبطَالا

وتجري خصومات في القمار فتمتد إلى حروب، وكانت العلاقات رسمية وغير رسمية مع النساء شعارَ العرب في العصر الجاهلي، فكانوا يذكرونهن في شعرهم أيضاً، قال الشاعر الجاهلي الكبير طرفة بن العبد عن غاية حياته:

ولو لا ثَلاثٌ هُنَّ من عِيشَةِ الفتى
وجدِّك لم أحفِل متى قام عُوَّدي
فمِنهن سَبْقِي العَاذِلاتِ بِشُرْبَةٍ
كُمَيتٍ، متى ما تُعْلَ بالماء تُزْبِدِ
وَكَرِّي إذا نَادَى المُضَافُ مُجَنَّبَا
كَسِيدِ الفَضَا نَبَهْتَهُ المُتَوَرِّدِ
وتَقصِيرُ يومِ الدَجْنِ، والدَجْنُ مُعْجَبُ
بِبَهْكَنَةٍ، تَحْتَ الخِبَاءِ المُعَمَّدِ

وقد رسخت هذه العادات بل الغوايات في الحياة الجاهلية، بحيث اختار الإسلام منهجاً تدريجياً لمحوها بقوتها المعنوية، فتدرج في تحريم الخمر، واستعمل آنيتها للأعمال الأخرى أيضاً.

المرأة:

كانت المرأة ساعداً أيمن للرجل، فتصاحب الرجل في الحروب

فضلاً عن صحبته في البيت، لكن مكانتها كانت ضئيلة من الرجل، لأنها وإن كانت تصاحب الرجال في مختلف شئون الحياة، لكنها لا تمثل في الحروب الدور الذي يمثله الرجل، ولا تكون مساوية للرجل في وظائف أخرى، كانت البنات يعتبرن وضيعات في قبائل متعددة، فتئد البنات، وقد عم هذا العمل في بعض قبائل أسد وتميم خاصة، لكن كان في العصر الجاهلي بعض أولي الغيرة، سعوا سعياً حثيثاً لإزالة هذا المنكر، وقد أنقذ جد الشاعر المشهور الفرزدق صعصعة بن ناجية مأتي وليدة ببذل نقود كثيرة من وأد البنات، وكانت خشية الفقر سبباً كبيراً في وأد البنات أيضاً، لقد أشار القرآن الكريم إلى النهي عن قتل الأولاد قائلاً: وَلا تَقتُلُوا أَولادَكُم خَشيَةَ إملاق (الإسراء: ٣١)، ولاشك أن النساء يساهمن في أكثر أعمال الرجال، وإذا ذهبن إلى القتال كان منهن التشجيع وتضميد الجرحى، ولم تكن العلاقات بين الرجال والنساء متقيدة بدينٍ أو خلق، بل كانت مطلقة مثل التقاليد المصطنعة، وكانت حرة، فإن النساء اللائي يتم القبض عليهن في ميدان القتال يُعتبرن متاعاً ومالاً، ويجعلن إماءً، وكانت العلامات مشروعةً من أربع طرق، كما ورد في صحيح البخاري وسنن أبي داود.[1]

---

[1] قالت عائشة: إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليَّته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها. ونكاح الآخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، فإذا تبيَّن حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع. ونكاح آخر: يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة، كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومرَّ عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع، حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها، ولا يستطيع أن يمتنع منه الرجل. ونكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جُمعوا لها ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط به ودُعي ابنه لا يمتنع من ذلك) (الجامع الصحيح للبخاري، كتاب النكاح باب من قال: لا نكاح إلا بولي).

العبيد والإماء:

كان نظام العبيد والإماء سائداً في العرب مثل المناطق الأخرى، وذلك بالقهر على الرجال وسبيهم في الحروب، ويستمر بالبيع والشراء، فرض الإسلام عليه الحظر، وعين صوراً مختلفة لإزالته، ووسع نطاق حقوق العبيد والإماء، ورفع مكانتها، ولا يجوز في الإسلام أن يُستعبد الرجال والنساء المسجونون من طرق أخرى غير الجهاد، وقد شق الإسلام طرقاً مشروعة لتحرير الرقاب.

ديانات العرب:

كانت البداوة منتشرةً في جزيرة العرب، فكانت دياناتهم محدودة وغير منضبطة، ولم يكن البدوي يتعمق في الشئون الدينية ولا يتفكر فيها، فكان يواظب على الأمور البسيطة التي يتعلمها من جهات شتى، ولا يركن إلى دليل أو تأويل، ويبقى على الخصائص العرقية والطبيعية التي يؤمن بها، ولا يتحول عنها، ويتشبث عامةً بمعتقدات وتقاليد قومه، ويصعب عليه التنازل عنها، فلا يسمع كلام الآخرين، وقلما يؤمن به، وقد أشار الله تعالى في كتابه إلى هذه الميزة فقال: الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ اللَّـهُ (التوبة: ٩٧)، فكانت الوثنية وهي أحط درجة للديانات شائعةً في جزيرة العرب، وتوجد آثار ضئيلة للديانات الأخرى، وهي أقل عدداً وأضعف شكلاً.

كانت أربع ديانات في جزيرة العرب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ما عدا الوثنية، وهي: النصرانية واليهودية والمجوسية والصابئة.

النصرانية:

وجدت النصرانية في العرب بتأثير الحكومة الرومية، فكانت ديانة بعض قبائل نجد الشمالي والشام، وأمراء الحيرة، ومنطقة نجران من اليمن، وكانت نجران أحد مراكزها، كانت فيها أكبر كنيسة وأقسامها المتفرعة منها، فوصلت النصرانية جراء ذلك إلى بعض سكان جزيرة العرب.

اليهودية:

وجدت اليهودية في اليمن، وفي المدينة المنورة التي عُرفت من قبل بيثرب، وكانت أيضاً في مناطق خضراء من الشام إلى المدينة

المنورة. وكان اليهود عامة زُرَّاعاً أو محترفين، وكان كثير منهم يعاملون الربا، فكانوا قاطنين في كبرى المدن والأمكنة الزراعية، وكانت في المدينة ثلاث قبائل هي: بنو النضير، وبنو قريظة، وبنو قينقاع، وقد آذت هذه القبائل الثلاث رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين بعد ما هاجروا إلى المدينة المنورة، ولم تقصر في استيصال شأفتهم، حتى إن المسلمين حينما أنهكوا قواهم، أو أجلوهم من المدينة المنورة، حصل لهم الأمن والأمان، كان في المدينة مركز تعليمي لليهود باسم: بيت المدراس (بيت اليهود الذي يتدارسون فيه كتابهم) أيضاً، حيث كان نظام التعليم الديني، وقد حاول اليهود في اليمن لكسر شوكة النصرانيين في نجران محاولة شنيعة، وآذوهم إيذاءً شديداً.

المجوسية:

كانت المجوسية في العرب بنسبة ضئيلة، وكل ما كان فإنه بتأثير إيران، وقد انتحل آخر ملك أسرة كندة الديانة المجوسية لحصول دعم مادي من إيران، وكانت عقيدة المجوس تتلخص في الإيمان بإلهين اثنين: إله النور وإله الظلمة.

يعرف الأول بيزدان، والثاني بأهرمن، يقول العلامة السيد سليمان الندوي: الآيات التي تتناول ذكر النور والظلمة في إثبات ألوهية الله تعالى تشير إلى رفض عقائد المجوس وإبطالها.[1]

الصائبة:

الصائبة ديانة غامضة، لا يمكن شرحها وإيضاح عقائدها بصحة، لكن يقدَّر بالنظر إلى جميع الأقوال أنها ديانة عبادة الكواكب، ويُعتقد أنها ديانة قوم إبراهيم عليه السلام إلى حد، وقد حاول الصابئون في العهد العباسي أن يجعلوا هذه الديانة عالميةً وأكثر تطوراً، فدسوا فيها عقائد وطقوساً، ويُعتبر الصابئون من الموحدين وأهل الكتاب رغم خرافاتهم، وقد كان في العهد العباسي بعض صابئين مشهورين مثل أبي إسحاق الصابئ، وكان كاتباً قديراً.

كان الناس في العهد الجاهلي يطلقون على كل من ترك دينهم اسم الصابئ، فكانوا يسمون كل من أسلم: صبأ، معناه: قد

---

[1] تاريخ أرض القرآن: للعلامة السيد سليمان الندوي.

اعتنق ديانةً مجهولةً تاركاً الديانة المعروفة.

الوثنية:

إن عبادة الأصنام ديانة بقية العرب، وكانت أغلبيتهم في جزيرة العرب، ما كان العرب الأولون عُبَّاد الأصنام، فأول من أتى بالأصنام إلى جزيرة العرب هو عمرو بن لحي، ذهب خارج وطنه لمصلحة من المصالح، فأعجب هناك بعبادة الأصنام وحمل عدة أصنام معه إلى جزيرة العرب، فبدأ عبادة الأصنام التي انتشرت رويداً رويداً في العرب، فجعلت تنصب الأصنام في كل قبيلة، وتبنى معابد وهياكل لها، وإن الكعبة التي كانت أقدس مركز للعرب، قررت كل قبيلة وضع صنم خاص فيها، فامتلأت الكعبة بالأصنام، وكان عددها ثلاث مأة وستين صنماً، وقيل: إن هذه الأصنام تمثِّل آلهة القبائل المختلفة، وإن الصنم الذي نصبه عمرو بن لحي في مكة يسمى بـ "هبل"، وقيل: تسربت الوثنية إلى أولاد إسماعيل حيث إن رجلاً إذا هاجر من مكة حمل معه حجارة من الكعبة قدسية واحتراماً، ويعبدها خارج مكة، ويطوف بها، لكن أحفاد إسماعيل جعلت عبادة الحجارة ديانة مستقلة، فلم تنحصر هذه الوثنية في الأحجار، بل توسعت وتنوعت كثيراً، كان بعض الناس يروِّحون نفوسهم بكل شيئ مباح وغير مباح، وأفردت كل قبيلة صنمها، وقبل الخروج على السفر يأتي أعضاؤها إلى صنمها في الكعبة ويعبدونه، كانت ثلاثة أصنام كبيرة، لقبائل عدنان: صنم يشاركه كنانة وقريش، وهو العزى، وصنم قريش: هبل، وصنم ثقيف اللات، كان هبل صنم قريش، وكان داخل الكعبة، ويعتبر أكبر الأصنام المجاورة، وكان مصنوعاً من العقيق، في صورة إنسان، وقد انكسرت يده اليمنى فزرعت به قريش يداً صناعية من ذهب، وكان العزى صنماً لقريش وكنانة، والعزى شجر في موضع النخلة على مسافة ليلة من مكة، وكان موضعان باسم النخلة في هذه المنطقة، أحدهما: النخلة الشامية، وثانيهما: النخلة اليمانية، والنخلة المذكورة تعرف بالنخلة الشامية، وكان اللات صنم ثقيف، وكان منصوباً في الطائف، وكان مناة صنم الأوس والخزرج وغيرهما، الذي كان منصوباً في قديد، وقديد قرية خضراء في وسط مكة والمدينة.

كان إساف ونائلة صنمين مشهورين عند بئر زمزم أمام الكعبة، وكان في مكة صنم أصغر، يُعرف بمناف، وكان في قبائل مختلفة من جزيرة العرب أصنام خاصة، نذكرها فيما يأتي:

في اليمن يغوث لأهل جرش، وفي خيوا يعوق لحمدان، وفي دومة الجندل نسر لقبيلة ذي الكلاع الحميري، وسواع لهذيل، وكانت عبادة الأصنام بالمكاء والتصدية، قال الله تعالى: وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَآءً وَتَصْدِيَةً (الأنفال: ٣٥)، وبعض الأصنام يطاف حوله، فيسمى بالصنم الدوار، استعمل القرآن الكريم للأصنام ثلاث كلمات عامة: الأصنام والأوثان والتماثيل، والأصنام جمع صنم، معناه لغةً: صورة معبودة، والأوثان جمع وثن: أحجار معبودة، والتماثيل جمع تمثال: معناه: الهيكل والجسم، وهناك كلمة أخرى آلهة جمع إله: معناه العظيم، والذي يستحق العبادة، ويعرف في الأردية بالمعبود، وإن مشركي العرب يسمون أصنامهم آلهة، ويعتقدونها معبودة.

قد شُغف العرب بالأصنام حتى إنهم إذا ما وجدوا صنماً أو كانوا على سفر جعلوا صنماً من أي شيئ آخر، مثلاً أنهم يجعلون أقراص الرمل بلبن الغنم، وبعضهم يصنعون من البول، ثم يرمونه بعد ما عبدوه، وأحياناً يصنعون من الحلاوي ثم يأكلونه، قال الكلبي: إذا نزل رجل في مكان غريب جمع أربعة أحجار، فالحجر الذي يكون أجمل اعتبره إلهاً، وكان العرب يعتبرون الأصنام إلهاً مختصاً بقوة محدودة. ويعتقدون أن الله عز وجل هو مالك كل شيئ، لكن آلهتهم يشاركون ألوهيته واختياره، يدل على ذلك آيات عديدة من القرآن الكريم، وكان العرب يعبدون الملائكة والجن غير الأصنام والأوثان، قال الكلبي: كان بنو مُليح بطناً لقبيلة بني خزيمة، الذين يعبدون الجن ويعتقدون عن الملائكة أنهم بنات الله، فيطلبون منه الشفاعة ويعبدونهم، ويتوسلون بهم، وكان في بعض القبائل عبادة الكواكب، قال صاعد: كانت قبيلة حمير تعبد الشمس، وقبيلة كنانة تعبد القمر، وقبيلة بني تميم تعبد دبران، وقبيلتا لخم وجذام تعبد المشتري، وقبيلة طيئ تعبد سهيلاً، وبنو قيس تعبد الشعرى، وبنو أسد تعبد عطارد.

وإن بني حنيفة قد صنعت صنماً لها باسم الحيس (والحيس تمر وأقط وسمن تخلط وتعجن وتسوَّى كالثريد)، فكانت تعبدها، مرة

أصابهم القحط فأكلوه، قال شاعر عنهم:

أَكَلَتْ حَنِيفَةُ رَبَّهُم عَامَ التَّقَحُّمِ والمَجَاعَة
لم يَحذَرُوا مِن ربِّهِم سوءَ العَواقِبِ والبتَّاعَة

الحياة الاقتصادية:

لم يكن عند العرب ذريعة خاصة للاقتصاد، ولم تكن لهم فرص متوافرة للصناعة والزراعة لفقرهم وجفاف أرضهم، ونظراً إلى نظريتهم المحدودة يستهجنون الحرف والصناعات، ويكفيهم في بداوتهم الإبل، والنخيل والبرك والمياه، وإذا كانت الحاجة إلى شيء خارج وطنهم أو المناطق المتطورة اختاروا ذريعة لحصوله حسب طبائعهم، لأنه لم يكن هناك نظام للتجارة مستحكم في المناطق التي يعيشها العرب عيشة بدوية، وإن النظام المستحكم للتجارة كان في جنوب جزيرة العرب أو في جنوب غربها أو في شمالها، حيث تقع فيه حضرموت، واليمن، وبعض مدن الحجاز. وهذه المدن تعتبر أكثر تطوراً ومدنية، فبفقدان نظام الاقتصاد عمَّ في العرب الانتقال من موضع إلى موضع آخر، فكان العرب يهاجرون أحياناً من مكان إلى مكان آخر طلباً للمناطق الجافة، ولا توفر أرض جزيرة العرب ماءً وخصوبةً في كل منطقة وكل زمان، فيفكر العرب دائماً في البحث عن المواضع المناسبة، وإذا ما وجدوها اضطروا إلى السلب والنهب، فلم تكن الغارة في حياة العرب ذات عار وشنار.

أسواق العرب:

لم يكن عند العرب نظام قوي للبيع والشراء وتبادل الحوائج البشرية إلا أن هناك نظام تجارة لإنجاز الحوائج، وهو أسواق العرب، وكانت تقام في مناطق مختلفة من جزيرة العرب مرة في السنة، فكانت تباع فيها أمتعة المناطق المجاورة، وتكون هذه الأسواق مثل المهرجانات، وذكر عددها في كتب التاريخ ثلاث عشرة، وكانت في مناطق معمورة من جزيرة العرب كالحلقة المستديرة، فإذا أراد رجل أن يطوف جزيرة العرب سهل ذلك عليه بواسطة الحضور في الأسواق سنوياً، وتفصيله على ما يأتي:

١. دومة الجندل (الجوف شمال نجد) وتقام هنا السوق من غرة ربيع الأول إلى نصف ربيع الأول.

٢. مشقر (حضرموت) وتقام من غرة جمادى الأخرى إلى آخر هذا الشهر.
٣. صُحار (حضرموت) وتقام من غرة رجب إلى خمسة من شهر رجب.
٤. دبا (الإمارات العربية المتحدة – رأس الخيمة) وتقام هذه السوق في آخر رجب.
٥. الشحر (حضرموت) وتقام من نصف شعبان تحت الجبل الذي يقال عنه: إن في أعلاه قبر هود عليه السلام.
٦. عدن (جنوب اليمن) وتقام هذه السوق من غرة رمضان إلى عشرة.
٧. صنعاء (شمال اليمن)، وتقام هذه السوق من نصف رمضان إلى آخر رمضان.
٨. الرابية (حضرموت)، وتقام هذه السوق من الخامس عشر من شهر ذي القعدة إلى آخر ذي القعدة.
٩. عكاظ (أهم وأشهر أسواق جزيرة العرب) وتقام هذه السوق أيضاً من نصف ذي القعدة إلى آخره.
١٠. ذو المجاز (قرب مكة) وتقام هذه السوق من غرة ذي الحجة إلى الثامن من شهر ذي الحجة (يوم التروية).
١١. منى (قرب مكة)، هذه السوق تقام في أيام الحج.
١٢. نطاة (خيبر)، هذه السوق تقام من عاشر محرم الحرام إلى آخره.
١٣. الحجر (اليمامة قرب الرياض)، هذه السوق تقام أيضاً من عاشر محرم إلى آخر محرم.

عكاظ:

تقام سوق كبيرة في عكاظ، يحضرها رجال كثير من شتى قبائل العرب، وتنعقد فيها جلسات علمية وأدبية بجنب التجارة، يُنشد فيها كبار الشعراء شعرهم، ويقضي الشاعر الحكم بجودة الشعر وقبحه، وكان أشهر حكمهم الشاعر المعروف النابغة الذبياني، فالقبائل التي تحضر في هذه السوق هي قريش، هوازن، غطفان، عقيل، المصطلق، وإن سوق عكاظ في موضع على الطريق الشمالي

من مكة المكرمة، يُعرف اليوم بالحوية الكبرى، مرة ذهب إليها النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً للدعوة إلى الله تعالى.

اندرست أكثر أسواق جزيرة العرب بعد الإسلام، وذهب أثر سوق عكاظ أيضاً، فكان المربد في البصرة بديلاً لسوق عكاظ منذ فجر الإسلام إلى نهاية خلافة بني أمية، يأتي إليها كبار الشعراء وينشدون فيها قصائدهم ويترامى فيها بالشعر جرير والفرزدق.

الكهانة:

كان في العرب نظام الكهانة، يمارسه بعض الرجال والنساء، فيشتهرون به، وبما أن العرب كانوا أميين فيأتون إليهم، ويستشيرون عن رحلاتهم أو مهماتهم، وهذا الكاهن أو الكاهنة يتكلم بجمل مقفاة ومسجعة وجيزة باللغة العربية يفهم منها السائل معاني خاطئة فيكون الكاهن بعيداً من أي مؤاخذة، هذا الكاهن يختار أسلوب العرّافين، ويستعين بالجن والشياطين، ويشتغل بعمل الرقية.

وتارة تظهر من جُمَلِهم معان صحيحة، وقد نطق الكاهن بجمل تتكهن بهزيمة قريش في غزوة بدر، مثل قوله: أدر ما أدر يوم عقر ونحر.

حينما بدأ نزول القرآن وفزع منه الكفار قالوا نظراً إلى جمل مقفاة ومسجعة: إنه كهانة، لكنهم رفضوا قولهم، لأن القرآن لا يماثل تماماً سجعهم وقافيتهم، وكان الكهان أكثر تأثيراً في العرب، لكونهم أميين.

الفأل:

ومن نوع الكهانة التفاؤل والتشاؤم، فكان العرب يتفاءلون بالسهام أحياناً، وبالطير أحياناً، وبالكلمات المسموعة أو الأشياء المفاجئة، وكانت للفأل سهام، يسمونها أزلاماً، استنكر القرآن الكريم الاستقسام بالأزلام استنكاراً شديداً، وبعض الأزلام مكتوب عليها: نعم، وبعض مكتوب عليها: لا، وبعض تكون خالية، كان العرب يرمونها، ثم يأخذونها، ويتفاءلون بها، ولما تبع سراقة بن مالك بن جعشم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه وقت الهجرة وساخت رجلا فرسه استقسم بالأزلام، وقد بلغ هذا العمل مبلغ الغلو والإفراط لدى العرب.

وكانت طريقة التفاؤل بالطير أن طيراً جالسة تُطار، فإذا

اتجهت جهة اليمين عُرفت بسانح، وكان التفاؤل خيراً، وإذا اتجهت جهة الشمال عرفت ببارح، وكان التفاؤل شراً.

ذكر هذان النوعان من الفأل في شعر العرب، أجاز النبي صلى الله عليه وسلم باستنباط معنى صحيح من أمر، لكنه منع من استنباط معنى مضاد للواقع.

الكياسة والعقل:

كان العرب رغم أميتهم أذكياء، ويحملون الفطانة والكياسة مثل ما يكون في الأميين، ويحمل بعضهم ميزة خاصة، يذهب إليهم الناس لفصل خصوماتهم أو لمشورتهم، فيرضون بما يقضون به، وهم يُعرفون بالحكم، كان منهم عامر بن الظرب، حكيت عنه قصة ممتعة أيضاً أنه لما كبرت سنه وأصابه النسيان علّم بنته أنه إذا جلس للقضاء فلتجلس وراء الستر، وإذا أصابه نسيان فلتقرع العصا حتى ينتبه، ويقضي قضاءً صحيحاً، فجرى مثل عربي: إن العصا قرعت لذي الحلم، أي أن قليل الفهم لا يفهم من قرع العصا أيضاً.

القيافة:

إن أذكياء العرب وخبراءهم يقفون آثار الناس، حتى إنهم يعرفون الأسرة والقبيلة بآثار الأرجل، بل بعض الأحيان برائحة الإناء أو الجسم، وقد ذكرت في التاريخ حكايات ممتعة كثيرة، وقد قدَّر النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر من بعر الإبل أن التمور التي أكلتها الإبل تنتمي إلى موضع فلاني، ويعرف بذلك أن الأعداء إلى أيّ مكان قريب أو بعيد ينتمون.

تناولت كتب التاريخ حكايات عجيبة للقافة، مثلاً إنهم إذا ألقوا نظرة أخبروا: أين دفن الكنز في الرمل، وأخبروا كذلك من رؤية إناء الماء بأن من هو الرجل الذي شرب هذا الماء من قبل، وعينوا كذلك القبيلة بإخلال بالعمل أو الميزة أو أثر القدم.

عرب الحضارة:

كانت المدنية في العرب كما مرَّ سابقاً في جنوب جزيرة العرب وجنوب غربها أو السواحل الغربية والمناطق المجاورة لها، وكثرت الذخائر والمعدنيات في جنوب غرب جزيرة العرب بكثرة الخصوبة والنضارة، ففاقت مدنيتها أيضاً، انتفع بها سكانها انتفاعاً كثيراً في

رحلة الشتاء والصيف
شبه الجزيرة العربية
أرض الشام
أرض الحجاز
أرض اليمن
حضرموت

تدمر
أذرعات (١٩)
بصرى (١٨)
أيوب (١٧)
غزة
أيلة
تبوك
الحيرة
الكوفة
البصرة (المربد)
فارس
(١) دومة الجندل
(١٦) حجر اليمامة
خيبر (١٥)
المدينة
دارين
(٣) المشقّر
(٢) هجر
(٦) دبي
(٧) صحار
(٤) عمان
مكة
الطائف (١٣)
(١٤)
المحنة
عكاظ (١٢) ذو المجاز
(٥) حباشة
نجران
(١١) حضرموت
صنعاء (١٠)
(٨) الشحر
(٩) عدن
أسواق العَرَب
١٥٠ ٣٠٠ ٤٥٠ ٦٠٠ ٧٥٠كم

أزمنة مختلفة، نجد أمثلته في زمن سبأ وجاراتها وفيما بعد، كما نجد أمثلته في مناطق خضراء وساحلية من جزيرة العرب.

إن عرب الحضارة يسكنون في المدن، ويقيمون هنا، وكان معولهم التجارة أو الزراعة، وبعض العرب يعرفون الصناعة، وكان في عرب الحضارة نظام سياسي، أسسوا حكومات متعددة في مناطق مختلفة من جزيرة العرب، نجد ذكرها في التاريخ مفصلاً.

كانت التجارة والحكومة في عرب الحضارة فقط، نفرد ذكرها تحت عناوين مستقلة بإذن الله تعالى.

الباب التاسع

ثقافة جزيرة العرب وأدبها

إن ثقافة العرب في العصر الجاهلي لم تكن أوسع بكثير، فتقتصر ثقافتهم على النثر والشعر والأمثال والقصص، والواقع أن نطاق أعمالهم ونشاطاتهم الفكرية لا يتسع لأكثر من ذلك، فلم يكن هنا أثر ضئيل للعلم والفلسفة في حياتهم، وكان سببه كما هو معلوم أن حياتهم الاجتماعية بعيدة كل البعد عن الحضارة، ومحرومة إلى حد كبير من الاستفادة من الأمم الأخرى، فلا يمكن أن يتطرق إليهم العلم والفلسفة، فكان وجود رجال مثقفين نادراً في العرب، وكل من تعلّم شيئاً أو تثقف ذهب خارج جزيرة العرب، ولم يكن في حياة جزيرة العرب الخاصة مجال أوسع من ذلك، فكان العرب يسمون المثقفين كُتّاباً، ولا شك أن جُلّ علومهم كان لسانياً، يعتمد على الذاكرة واللسان، ولا علاقة له بالقراءة والكتابة، بل على الرواية والحفظ، وكان نطاق هذا العلم محدوداً، ويختص بحياة جزيرة العرب، فكان في العرب علماء الأنساب، والمطلعون على التغيرات الفصلية وآثارها، ويسمونها بالأنواء، كما ورد في الحديث النبوي أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يقول أحد: مُطرنا بنوء كذا،[1] وكان فيهم عارفون بالتاريخ والطب، لكن هذه المعرفة كانت بدائية وبسيطة لا نستطيع أن نعتبرها علماً مستقلاً، أما التجارب والممارسات الإنسانية فقد استفادوا في ضوئها من شعورهم وفهمهم استفادة كثيرة، إن تفرس الماء في الصحاري، ومعرفة آثار الأقدام الخفية، والاطلاع على الأسرة والقبيلة من ملامح الوجوه، والحوار، كان عاماً في العرب، لكن عناصر ثقافتهم الأساسية التي جاء التأكيد في أدبهم

---

[1] عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء، كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: أتدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي، وكافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي، ومؤمن بالكوكب. (مؤطا الإمام مالك: ٦٥٣).

أربعة: معرفة اللغة (النثر) والشعر، والأمثال، والحكايات، نذكرها بشيئ من التفصيل:

١ – معرفة اللغة:

إن اللغة العربية كانت تنطق بها وتفهم في جزيرة العرب كلها، لكن تختلف لغات المناطق والقبائل بعضها من بعض، وكان هذا الاختلاف كثيراً بين نصف شمال جزيرة العرب ونصف جنوبها، ذلك لأن الأمم المجاورة لهاتين الجهتين كانت تحمل ثقافة مستقلة، فكان لها تأثير عليهما، أما القبائل الأخرى عامة فكان اختلاف اللغة فيها ضئيلاً، وهو أن بعض كلمات شاعت أحياناً في قبيلة، وفي قبيلة أخرى عُرفت كلمات أخرى في نفس المعنى، لكن هذه الكلمات كانت للغة العربية، فاتسع نطاق اللغة العربية اتساعاً، ودونت هذه اللغة بعد مئات من السنين، لأن العرب قد اعتمدوا على قوة ذاكرتهم إلى مدة، فلم يعتنوا بجمعها وترتيبها، وكان من نتيجة هذا التأخير أن اللغة العربية حينما دونت في العهد العباسي الأول فاستحال استيعابها وجمعها كاملاً من مناطق مختلفة من جزيرة العرب، فلم يجمع إلا ربع العربية – حسب آراء الباحثين –.

إن لغة الحجاز ونجد في جزيرة العرب كانت أفصح، وتعتبر لغة قريش وأعلى هوازن وأسفل تميم أكثر فصاحة، وإن بني سعد الذين كانت منهم حليمة السعدية تنتمي إلى قبيلة هوازن، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه مرة: "أنا من قريش، رضعت في بني سعد".[1] وكانت مناطق هذه القبائل عامة مكة ومناطق شمالها وشرقها.

ويكون في اللغة اختلاف أداء الكلمات والحروف مع الاختلافات الأخرى، وهو أن بعض القبائل تتصرف في بعض الحروف، مثلاً بنو تميم يبدلون الهمزة الابتدائية بالعين، يقولون: عسلم بدل أسلم.

وبنو هُذَيل يبدلون "ح" بـ "ع" يقولون: عرب بدل: حرب.

وبنو قضاعة يبدلون "ي" بـ "ج" يقولون: تميمج بدل: تميمي.

وبنو سعد يبدلون "ع" بـ "ن" يقولون: أنطى، بدل: أعطى.

---

[1] ورد في المعجم الكبير للطبراني: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، أنا أعرب العرب، ولدتني قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر، فأنى يأتيني اللحن".

وبنو تميم ينطقون بحرف " گ " رغم أنه ليس عربياً.

وربيعة ومضر تزيدان بعد " ك " الخطاب حرف " ش " في المؤنث، وتقولان: عليكش بدل: عليك، وتبدلان " ج " بـ " گ "، ومثل هذا التصرف الحري يقوم به سكان مصر أيضاً، إلا أنهم يبدلون " ق " بالهمزة، فيقولون: يئول، بدل: يقول، وسكان حضرموت يبدلون " ق " بـ " گ " مثلاً گال بدل: قال، وقد انتشرت هذه اللهجة الحضرمية في مناطق أخرى من جزيرة العرب، ومعظم سكان الحجاز يبدلون " ق " بـ " گ "، وقد شاع في نجد أن بعض قبائلها يبدلون " ك " بـ " چ " فيقولون: " چيف " بدل "كيف "، ورغماً من هذه الفروق إذا نطقوا بحرف نطقوا عامةً بصحة، أنزل الله تعالى القرآن الكريم في لهجات متعددة، لكن لهجته الأصيلة خصت بقريش، وأخيراً قرّر الصحابة رضي الله عنهم أن يروجوا النسخة القرشية للقرآن الكريم، فالنسخة الحالية للقرآن الكريم ذات لهجة قرشية، فصارت اللغة العربية بفضل القرآن وتأثيره قرشيةً، ويُراد من اللهجات العربية صور وأشكال فرعية من اللغة العربية.

٢ – الشعر:

الواقع أن أدب العرب هو شعرهم، ويحمل الشعر العربي عندهم مكانةً وأهميةً، قلما يقدره قوم آخرون، وكان الشعر ثروة حياة العرب الفكرية والثقافية، وكانوا مشغولين به للغاية، وماهرين فيه مهارةً تامةً، وكان فهم الشعر لأجهل العرب موثوقاً به، فيعتبر كل عربي في ذلك العصر حجة على الإطلاق، كان العرب يعبرون في شعرهم عن ملامح حياتهم المحدودة بأساليب جميلة ومناهج صادقة، وتحمل تعبيراتهم وأساليبهم سلاسةً وفصاحةً، ويعتبرونها مقياساً لشعرهم، فالذين يتكلفون الشعر يختارون أسلوباً يشتمل على السلاسة والفصاحة والبلاغة والبيان، وقرر العرب الشعر أكبر أداةٍ لعرض عواطفهم وانطباعاتهم وخصائصهم القومية والأوضاع الوطنية وقصصها وتصويرها تصويراً صادقاً، وبما أن حياتهم تخلو عن نشاطات علمية أو عملية تشغلهم في معظم الأحيان، فيجدون فرصاً مواتيةً للنظر في أحوالهم، ثم إبداء عواطفهم التي تنشأ في أذهانهم، وتظهر هذه الفرص عملياً في صورة الجوار والضيافة، أو في صورة الحرب والضرب، وفي صورة الشعر نظرياً، فصار الشعر مرآةً صادقةً لحياتهم، ويكفي لمعرفة أحوال العرب

من جهات شتى دراسة شعرهم عامةً، واشتهر هذا المثل السائر عن شعرهم: "الشعر ديوان العرب"،[1] ونظراً إلى أهمية الشعر لديهم ازدادت رغبة العرب فيه فوسعوا نطاقه، وإن كان هذا التطور في نطاق حياتهم المحدودة، التي يعيشونها، وكانت عناية العرب بالشعر أنه كسب أهمية كبيرة من الفصاحة والقوة والتأثير، وأدى في بعض الأحيان دوراً بارزاً، لا يمكن أن تؤديه الحروب والقوى الكبرى والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، وربط الشعر العربي جأش الناس لممارسة شجاعتهم في الحروب، كما أنه مهَّد طريق المصالحة بين القبائل المتحاربة، وأذلَّ الفصائل الشريفة ورفع مكانة القبائل المنحطة، وأعلى شأن الرجال فبدّل إهانتهم بالرفعة، ورفعتهم بالإهانة، وتوجد أمثلة عديدة لتأثير الشعر في تاريخ الأدب العربي، إن جريراً الشاعر أراد إساءة سمعة بني نُمير فقرض شعراً وأصاب في مرامه، فانخفض منه رأس بني نمير، لم يستطيعوا أن يغسلوا أثر هذا العار، قال جرير:

فَغُضَّ الطَرْفَ، إنَّكَ مِن نُمَيرٍ
فَلا كَعْباً بَلَغْتَ وَلا كِلابَاً

وكان بنو أنف الناقة يلقبون بلقب أنف الناقة، ولا يتمكنون أن يجيبوا عنهم، فأزال الحطيئة ذلتهم هذه بشعره:

قَومٌ هُمُ الأَنفُ، والأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ
وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ النَّاقةِ الذَنَبَا

كانت للمحلق ثلاث بنات، لا يرغب أحد في التزوج منهن، فبناءً على مدح الأعشى للمحلق في قصيدة رائعة كبيرة وجدت هؤلاء لبنات أزواجاً بارزين أثرياء، قال الأعشى:

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِها
وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدِيِّ والمُحَلَّقُ
رَضِيعَي لِبَانِ ثَدْيَ أُمٍ تَقَاسَمَا
بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّقُ
تَرَى الجُودَ يَجْرِي ظَاهِراً فَوقَ وَجْهِهِ

---

[1] قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم يرفوه، فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب (العمدة في محاسن شعر وآدابه لابن رشيق القيرواني ج١/٤).

أقسام الشعراء:

قد انقسم شعراء العصر الجاهلي إلى أقسام عديدة ثقافةً واقتصاداً، فمثلاً كان امرؤ القيس سرياً، وكان زهير بن أبي سُلمى كريماً، وسليم الطبع، والنابغة الذبياني كثير الاختلاف إلى البلاط، وطرفة بن العبد رجلاً شعبياً وصعلوكاً، تتجلى من شعرهم إشراقات الاتجاهات والنزعات الجاهلية.

الشعراء الصعاليك:

وكان في شعراء العصر الجاهلي صنف، يُعرف بالشعراء الصعاليك، وكانوا يعيشون عيشة السلب والنهب، وتتجلى من شعرهم ملامح حياتهم، وفي الشعراء الصعاليك الشنفرى، الذي اشتهرت قصيدته بلامية العرب، فقد قدَّم فيها آثار الحياة الشاقة ذات الوقائع.

والشاعر الصعلوك الآخر تأبط شراً، الذي يُعدُّ من كبار شعراء العصر الجاهلي، وكان فيهم عروة بن الورد، الذي كان يحمل المروءة رغم صعلكته، وقد أثنى عليه سيدنا معاوية رضي الله عنه في كلامه أنه كان ينصر الملهوفين، ويتعهد الفقراء والمساكين، ويبعد عن التشديد على الضعفاء.

ونوع من الشعراء، الذين جعلوا الأخلاق والمثل العليا موضوع شعرهم، يُذكر فيه اسم حاتم الطائي بوجه خاص، وكان من فطاحل الشعراء بكونه مضرب المثل في السخاء، ذكر مؤرخو الأدب العربي أن له معلقة.

أهم موضوعات الشعر الجاهلي:

من أهم موضوعات الشعر الجاهلي الفخر، والشجاعة والغزل، والمدح والهجو والوصف والرثاء وذكر الضيوف، وقِراهم، وتوجد فيه الأخلاق والتجارب العامة من الحياة، لكن أبرز موضوعاته هو الفخر والشجاعة والغزل، يذكر شعراء العهد الجاهلي عامة في بداية الغزل ديار الحبيب وجماله الظاهر، ثم يبدون انطباعاتهم وأحوالهم عنها.

كانت جميع قصائد المعلقات على هذا الأسلوب، وتبتدئ كل معلقة بذكر الحبيب وجماله الظاهري، وتذكر فيها موضوعات كثيرة، ويأتي صلب الموضوع في وسط القصيدة.

أسلوب القصائد:

إن كلمة القصيدة تستعمل في كلا النوعين: النظم والغزل من الشعر العربي، فيعرف ذكر حسن الحبيب بالتشبيب، ويتميز الشعر العربي بعناصره التكوينية، وظل هذا الأسلوب إلى قرون، حتى قلده الشعراء في عهد الحضارة والمدنية، واختاره سيدنا كعب بن زهير في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك اختاره الشاعر الأردي محسن الكاكوروي أيضاً.

إذا فُتشت ميزة للغة وأدب كانت ميزة اللغة العربية الجزالة والفخامة، التي تتجلى من كلماتها كثيراً، وكان العهد الجاهلي يحمل مثل هذه الخصائص البارزة، لم يكن هذا العهد عهد القراءة والكتابة، بل كان عهد الأمية والجهالة، فظهر النبوغ الشعري في الكلمات والتعبيرات أكثر من المعنى، وكانت علاقته بالحياة الصحراوية الشاقة كثيراً، وظل هذا الاتجاه مؤثراً في جميع عصور الشعر إلى حد ممكن.

والميزة الثانية في العهد الجاهلي هي الصدق والتصوير الصادق للعواطف الإنسانية والمشاعر البشرية، وهي ميزة بارزة للشعر العربي بعد جزالة الألفاظ وفصاحة الكلمات، هذا الذي جعل الشعر العربي مؤثراً كثيراً، بل صائغاً لاتجاهات رغم عدم التعمق في المعاني.

المعلقات السبع:

يُعَدُّ في كبار الشعراء وفطاحلهم شعراء المعلقات السبع، والمعلقات هي قصائد مشهورة باللغة العربية، وقيل عنها: جمع العرب سبع قصائد منتخبة في العصر الجاهلي، وعُلقت بأستار الكعبة فخراً واعتزازاً بها، فسميت بالمعلقات.

وفي مقدمة هؤلاء الشعراء امرؤ القيس، وزهير بن أبي سُلمى وطرفة بن العبد، ولبيد بن ربيعة، وعنترة بن شداد العبسي، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة، وعند بعض أهل العلم اعتُبر الأعشى والنابغة من أصحاب المعلقات السبع، وإن لم تتضم أسماء هؤلاء في هذه المجموعة.

أشهر الشعراء في العصر الجاهلي:

امرؤ القيس:

امرؤ القيس شاعر، وابن حجر، هو ملك منطقة، كانت

حكومته في نجد، حيث كانت قبيلة عدنانية باسم بني قيس، لكن حجراً كان من ذرية قحطان، فثار عليها بنو قيس، وانتهت هذه الحكومة، وكان امرؤ القيس آنذاك ولي العهد، وقد عاش امرؤ القيس في هذه الفترة عيشة الغُواة والمترفين، وقضى كل أوقاته مع رفاقه في الصيد وشرب الخمر، فكان شعره الغزلي في هذه الفترة، وصار سبب شهرته وذيوع صيته، وانتهت سلطته الشعرية بعد زوال حكومة والده.

كان عصر امرئ القيس قبل الإسلام حوالي مأة سنة، وقد اصطبغ الشعر العربي قبل مدة بصبغة الشعر، فيرجع الفضل في بداية هذه السلسلة إلى المهلهل بن ربيعة، بصفة خاصة، هذا هو العصر الذي قاتل فيه بكر وتغلب من قبائل ربيعة، واستمرت هذه الحرب إلى أربعين سنة، فتطور فيها الشعر تطوراً ملموساً، واتسع نطاقه وبسق فرعه.

النابغة الذبياني:

النابغة شاعر محنَّك، وكان يُجعل حكماً بين الشعراء في عصره، فيحمل قضاؤه وزناً كبيراً، وسُمي بالنابغة لنبوغه في الشعر، وينتمي إلى قبيلة ذبيان.

نادم النابغة الذبياني النعمان بن منذر ملك الحيرة، ووقف جُلَّ شعره في مدحه، ومرة في استعتابه بعد ما غضب منه، ويُعتبر أهم شعره حول هذا الموضوع.

زهير بن أبي سُلمى:

إن أحسن شعر زهير بن أبي سلمى هو ما قاله في الحياة الإنسانية الطيبة، وذكر مضار الحرب، وإن الحرب الطويلة التي دارت رحاها في قضية تقديم فريق فرسه بخدعة في الفروسية، فأورثت خسارة إلى مدة طويلة، وانتهت حينما أوقف المصلحان المحبَّان للخير هرم بن سنان وحارث بن عوف الحرب بأداء دية المقتولين من عندهما.

ويوجد جلُّ شعر زهير بن أبي سلمى في ثناء فعال هذين الرجلين، ثم إشادة كاملة بهرم بن سنان بصفة خاصة، وقد أعطى هرم بن سنان زهيرًا كثيراً من العطايا عوضاً عن هذا الثناء.

وقد أعار أهل المروءة لهذا الشاعر وشعره أهميةً كبيرةً بمروءة

زهير بن أبي سلمى وشعره الحافل بعناصر الإنسانية والأمن، وأحبوه حباً جماً، وقد أثنى عليه سيدنا عمر رضي الله عنه أيضاً بمناسبة، وبعض المؤرخين يفضلونه على امرئ القيس أيضاً.

الأعشى بن ميمون:

هو شاعر أراد أن يحضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، حينما سمع عنه، لكن فزع قريش لما علموه، وأعطوه مأة بعير فرجع، ولم تُقدر له زيارة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أبدى الأعشى رغبته هذه في أبيات، قال:

وآليتُ لا أرثِي لَهَا مِن كَلالَة
وَلا مِن وَحىً، حتى تُلاقِي مُحَمَّداً
متى مَا تُنَاخِي عِندَ بابِ ابنِ هَاشِمٍ
تُراحِي، وتَلقى مِن فَوَاضِلِه نَدَى
نَبِيٌّ يَرَى مَا لا يَرَونَ وَذِكرُهُ
أَغَارَ لَعَمرِي فِي البِلادِ وَأَنجَدَا

يُعدُّ الأعشى من أبرز الشعراء في العصر الجاهلي، اعتبره أكثر أهل العلم في الطبقة الرابعة من الشعراء البارزين، الطبقة الأولى: امرؤ القيس، الطبقة الثانية: النابغة الذبياني، الطبقة الثالثة: زهير بن أبي سلمى، الطبقة الرابعة: الأعشى، ويقال: امرؤ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب.

عنترة بن شداد العبسي:

قرض عنترة بن شداد العبسي حول الشجاعة والإقدام شعراً قوياً، يوجد في شعره أسلوب الغناء، وأصبح عنترة فيما بعد مضرب المثل شجاعةً وقوة، وكان أحد شعراء المعلقات، ورد ذكر شجاعته في القصص والروايات العربية العامة.

عمرو بن كلثوم:

كان عمرو بن كلثوم سيد بني تغلب، وشاعراً مشهوراً فيها، فاق معاصري قبيلته شرفاً وكرماً، وكان أبواه من البيوتات الشريفة ومن سراة العرب، أبدى حميته القومية وأبهته الشعبية بكل فخر واعتزاز، ومعلقته من أقوى المعلقات وأشدها تأثيراً، تشعر منها قبيلته بقوة واستعلاء، وتقدمها لإبداء الشرف والكرم، وكان عمرو بن كلثوم

خطيباً كما كان شاعراً، ورئيساً لقبيلته، تتجلى من شعره هذه الخصائص بأسلوبه القوي.

طرفة بن العبد:

طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي، أبو عمر، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، وُلد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد، واتصل بالملك عمرو بن هند، فجعله في ندمائه، ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر (أحد عُمَّاله على البحرين وعمان) يأمره فيه بقتله، بسبب أبيات بلغه أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر، شاباً في هجر، وقتل وهو ابن عشرين أو ابن ست وعشرين، وهو الغلام القتيل.

لبيد بن ربيعة:

لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، من أهل عالية نجد، وهو أحد أصحاب المعلقات، سكن الكوفة، وعاش عمراً طويلاً، ومطلع معلقته:

عفت الديار محلها فمقامها

بمنى تأبد غولها فرجامها

وكان كريماً، نذر أن لا تهبَّ الصبا إلا نحر وأطعم، جمع شعره في ديوان. أدرك الإسلام، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم، ويُعدُّ من الصحابة ومن المؤلفة قلوبهم، وترك الشعر، فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً. توفي عام ٤١هـ المصادف ٦٦١م.

الخنساء:

كانت في العرب شاعرة باسم الخنساء بنت الشريد، وتعتبر أفضل شاعرات العرب، وكان الرثاء أجود موضوعات شعرها، حتى فاقت فيه الشعراء الرجال، أسلمت بعد مجيئ الإسلام، وقلت رغبتها في قرض الشعر، وأكثر مراثيها في العصر الجاهلي في أخويها صخر ومعاوية، وهي مفعمة بالقوة الأدبية.

حسان بن ثابت الأنصاري:

حسان بن ثابت الأنصاري، أحرز لقب شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، يحمل مكانةً بارزة في الشعراء المخضرمين، قضى نصف عمره قبل الإسلام، وقرض قصائد غراء في مدح الملوك الغساسنة، وهي تحمل معاني سامية في الشعر العربي القديم، وقف شعره بعد إسلامه

على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، والدفاع عن الإسلام، وقال شعراً قوياً مؤثراً، وقصائده زمن إسلامه غرّاء، كان أنصارياً مدنياً، وأحد رجال قبيلة الخزرج، وضع له النبي صلى الله عليه وسلم المنبر لإنشاد الشعر في المسجد النبوي دفاعاً عن الإسلام، وأشاد بشعره في كلمات عالية، فقرض حسان بن ثابت رضي الله عنه أيضاً في أسلوب جميل أبياتاً تتعلق بحبه والفداء له، منها قوله:

وَأَحْسَنَ مِنكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي
وَأَجْمَلَ مِنكَ لَم تَلِدِ النِّسَاءُ
خُلِقتَ مُبرءً مِن كُلِّ عَيبٍ
كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقتَ كَمَا تَشَاءُ

وقال:

فَإن أبِي وَوَالِدَهُ وَعِرضِي
لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

وله مراثي قوية مثيرة للأحزان على وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، توجد فيها معاني التوحيد وحب الرسول بأسلوب أخاذ، وسيدنا حسان بن ثابت في مقدمة شعراء المديح النبوي.

فالشاعر الذي واصل قرض الشعر في فترتين مختلفتين يُعرف في تاريخ الأدب العربي بالمخضرم، فسيدنا حسان بن ثابت، والخنساء بنت الشريد تعدان في الشعراء المخضرمين.

كعب بن زهير:

كعب بن زهير ولد الشاعر المشهور في العصر الجاهلي زهير بن أبي سلمى، تأخر إسلامه، لكن حينما أسلم قال في مدح النبي صلى الله عليه وسلم قصيدة غراء، أعجب بها النبي صلى الله عليه وسلم، فأهدى إليه بردته، فعرفت قصيدته هذه بقصيدة البردة، وتعرف بقصيدة "بانت سعاد" أيضاً، لأنها تفتتح بكلمات: بانت سعاد، حاكى أسلوبها عديد من شعراء المديح بعدها، وتسمى هذه القصائد كلها بقصيدة البردة.

النثر الأدبي:

كان في الأدب الجاهلي أقسام النثر الأدبي غير الشعر، لكن لم يلتفت إليه بلغاء العهد الجاهلي التفاتاً ما، فإنهم كانوا نبغاء في الشعر،

وقد حدث فيهم شعور بأن النثر الأدبي لا يمكن أن تنشأ فيه هذه الجودة والحسن، ولم يكن هذا الشعور خطأً محضاً، لأن بعض ضرورات الحياة لا تتجز إلا بالنثر الأدبي، مثلاً الخطابة لشحذ الهمم في الحرب والإيقاع في الناس، ونصائح الأذكياء، وجمل أدبية لأهل الذوق هي أنواع، لم يكن العرب في العهد الجاهلي مستغنين عنها، فنظراً إلى هذا ظهرت عندهم نماذج النثر الأدبي في خمسة أقسام: الخطابة، الوصايا، الأمثال، الحكم، الأسجاع.

الخطابة:

الخطابة هي صنف بارز في العصر الجاهلي العربي بعد الشعر، تستعمل عامة لإقناع الناس أو لإقامة العلاقات الدبلوماسية، كما كانت تستعمل لإثارة عواطف الحرب في القبائل، أو لذكر مفاخر القبائل ضد قبائل أخرى، فكان في كل قبيلة خطيب مع شاعر، ومن الخطباء في العهد الجاهلي عمرو بن معديكرب، وقس بن ساعدة الأيادي، وسحبان بن وائل في العهد الأموي.

الوصايا والحكم والأسجاع:

أما النثر العربي ماعدا الخطابة فهو يشتمل عامةً على حكم، ونصائح، وأسجاع وأمثال، وقصص وروايات، كانت نسبة الأسجاع فيه ضئيلة، يستعملها الكهان عامة، ويستعينون بها في الإجابة عن المستخبرين أموراً غيبية في أسلوب فخم ومعقد، أما الأمثال والقصص فهما أبرز العناصر في النثر العربي.

الأمثال:

إن العرب يبدون أحياناً انطباعاتهم الفكرية والعاطفية عن مختلف الأمم والشعوب في أسلوب، وفي فقر جميلة وأثيرة، حتى تكون أمثالاً، فكان العرب الآخرون يستعملون هذه الفقر الجميلة لإبداء هذه العواطف، وكانت تعبر هذه الفقر عن أفكارهم أو أحاسيسهم بأحسن أسلوب وأحسن طريق، وشاع ذلك في العرب، ويعرف ذلك باللغة الأردية بكلمة: كهاوت، وتوجد حول الأمثال باللغة العربية كتب عديدة، تتجلى منها أهمية الأمثال.

القصص:

أما القصص الفاصلة المهمة في تاريخ العرب فقد ذكرها العرب

عامةً في نثر بسيط، كان فيها الحروب القبيلة، والقصص الخلافية، والأوضاع السياسية وغير السياسية، إن العرب وإن كان جل اعتمادهم على الذاكرة، وكانت القراءة والكتابة فيهم شبه مفقودة، فكانوا يتناقلون هذه القصص التاريخية المهمة، ويختارون الصدق والأمانة في نقلها، فكانت بعض القصص والروايات منها مشهورة وشائعة، وهذا النوع من النثر يكون عوناً على دراية أحوال العرب وحياتهم، وإن الحروب القبلية في العرب التي تحمل أي قيمة، رويت عامة في أسلوب بسيط ووجيز، وتعرف بأيام العرب، ومن أهمها الحرب الطويلة بين بكر وتغلب وحرب داحس والغبراء.

علوم العرب:

كانت اللغة، والشعر والخطابة من علوم العرب التي يفتخرون بها، ويعتزون، وهي معدن تاريخهم وسيرهم وجغرافيتهم، قال أبو محمد الهمداني: اخترع تاريخ العرب والعجم من العرب فقط، لأن العمالقة، وجرهم، وآل سميدع بن هونه وبني خزاعة الذين سكنوا في مكة، كانوا كثير الاطلاع على العرب العاربة وفراعنة مصر وأهل الكتاب، وكانوا يسافرون للتجارة في مختلف المدن والبلدان، فعرفوا تاريخ سكان هذه الأمكنة، فالذين سكنوا في الحيرة في جوار العرب منذ عهد أسعد أبي كرب وبخت نصر، عرفوا أحوال أهل العجم وحروب حمير وغاراتهم على هذه البلدان، وقد روى عبيد بن شرية ومحمد بن السائب وهيثم بن عدي القصص والروايات عنهم.[1]

وكذلك رجالات قبيلة غسان الذين دخلوا الشام كانوا يعرفون

---

[1] عبيد بن شرية الجرهمي في عهد معاوية رضي الله عنه، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يسمع منه شيئاً، ووفد على معاوية بن أبي سفيان، فسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم، وسبب تبلبل الألسنة وأمر افتراق الناس في البلاد، وكان قد استحضره من صنعاء اليمن، فأجابه إلى ما أمر، فأمر معاوية أن يدون وينسب إلى عبيد بن شرية، وعاش عبيد بن شرية إلى أيام عبد الملك بن مروان، وله من الكتب كتاب الأمثال، كتاب الملوك والأخبار الماضين (الفهرست: ج ١٣٢/١ دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م)، وقال الجاحظ: كان عبيد بن شرية الجرهمي أقدم رجل في الفلسفة وفن الخطابة والسياسة (البيان التبين: ج ١٣٧/١)، وذكر السجستاني في كتاب المعمرين (٣٩ – ٤٠) بعض الأمثلة والأجوبة مع سيدنا معاوية، وتوجد مقتطفات مؤلفه "أخبار الماضين" في كتاب المسعودي، وكان هذا الكتاب مشهوراً ومتداولاً عامةً إلى زمن المسعودي (مروج الذهب: ج٢/ حاشية المقري ١٦٤).

حالات أهل الروم وبني إسرائيل واليونانيين، فإن أفراد قبيلة تنوخ وأياد الذين وردوا البحرين عرفوا منهم أحوال طسم وجديس، وأفراد قبيلة أزد من ذرية النضر الذين وصلوا عمان عرفوا منهم كثيراً من أحوال السند والهند وإيران، وإن الرجال الذين سكنوا بين جبال أجا وسَلمى، انتقلت منهم أحوال آل أذينة وجرامقة، والذين سكنوا اليمن عرفوا تفاصيل جميع الأمم والشعوب، لأنهم وجدوا فرصةً للإقامة في عاصمة حمير، تحت رعايتهم، الذين طافوا الشرق والغرب والشمال والجنوب، فلا يهجم ملك على دولة بدون الاطلاع على هذه البلدان وأحوال سكانها.

العرب يحفظون القصص والروايات بقوة النطق ورقة اللغة، فالروايات التي نقلت من ذاكرتهم كانت عوناً كبيراً على حفظ لغتهم وأدبهم، وكان يفتخرون بها ويتظاهرون.

علم الهيئة:

كان العرب مع هذه العلوم يحملون علم طلوع وغروب النجوم، وعلم الأنواء والأمطار والكواكب، لم يتعلموا هذا العلم كما تدرس العلوم، بل تعلموها من طريق الاعتناء به وتجارب موسعة لديهم، لأنهم كانوا يحتاجون إليه في توفير أسباب الاقتصاد، وفي علم الأنواء والكواكب كتاب قيم لأبي حنيفة أحمد بن داود اللغوي الدينوري، يشتمل هذا الكتاب على علم الهيئة، والأنواء والكواكب ونزول الأمطار بها، وهبوب الرياح وتعيين الأوقات وغيرها.

إن كلمة الأنواء كلمة عربية، وتستعمل قبل الإسلام، وحينما ترجمت التقاويم اليونانية باللغة العربية استعملت لهذا المصطلح، قسم المنجون السنة في أربعة أقسام، وفي كل قسم سبعة أنواء، وكل نوء يشتمل على ١٣/ يوماً، وتقطع الشمس في هذه المدة اثني عشر برجاً، وتعرف باللغة الهندية بنكجهتر.

علم الطب:

لم يعتن العرب في بداية الإسلام بأي علم سوى علم اللغة وأحكام الشريعة، إلا أن هناك رجالاً كانوا عارفين بعلم الطب، ولم يكن جمهور الناس عامةً جاهلين عنه، لأنهم في حاجة إليه، وقد حث عليه النبي صلى الله عليه وسلم، بقوله:

"يا عباد الله ! تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له

دواءً، إلا واحداً وهو الهرم".[1]

الحارث بن كلدة:

كان من أطباء العرب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، تعلّم علم الطب في فارس واليمن، وكان يضرب على العود، وعاش إلى زمن سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

ابن أبي رمثة التميمي:

هذا هو الصحابي الذي قال: رأيت خاتم النبوة بين كتفي الرسول صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني طبيب، إن أذنت عالجته، قال النبي صلى الله عليه وسلم: أنت رفيق والطبيب الله.[2]

ابن الجبر الكناني:

كان طبيباً ماهراً، عاش زمن خلافة سيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله، حينما يمرض فيذهب إليه للعلاج.

خالد بن يزيد:

كان عالم الطب والكيميا، ألّف فيهما عدة رسائل، وقرض أبياتاً حسنةً، تدل على علمه وفضله وجودة فنه.

---

[1] عن أسامة بن شريك قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تداووا عباد الله، فإن الله لا يضع داءً إلا وضع له دواء غير داء واحد، وهو الهرم (كنز العمال ٢٨٠٧٦).

[2] عن إياد بن لقيط عن أبي رمثة قال: دخلت مع أبي على رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فرأى أبي الذي بظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: دعني أعالج الذي بظهرك، فإني طبيب، فقال: أنت رفيق (السنن الكبرى البيهقي ١٦٣٢٠)، وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل: قال: أتيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مع أبي، فرأى التي بظهره، فقال: يا رسول الله! ألا أعالجها لك، فإني طبيب، قال: أنت رفيق، والله الطبيب (١٧٤٩٢).

الباب العاشر

أغذية جزيرة العرب وموازينها

أثر قلة المياه:

لم تكن في جزيرة العرب ذريعة عامة وكبيرة للمياه، بكثرة الصحاري والمناطق الجافة، ولم يكن فيها بحر، وكانت الأرض الصالحة لحفر الآبار قليلة، وإن مناطق جزيرة العرب التي لم تكن صحراء تماماً تتعرض لقلة المياه، إلا أن الأراضي التي تتوافر لها المياه وتتجذب فيها، أو ممرات الأودية التي تسيل منها مياه السيول، بعد نزول الأمطار، يمكن حصول الماء فيها بحفر الآبار، وتوجد في بعض الأمكنة عيون قصيرة، ويجتمع ماء المطر في حُفر جبلية إلى مدة، هذه هي وسائل المياه التي توافرت عند العرب.

كان تأثير قلة المياه على حياة العرب، ولكن كانت الزراعة في مناطق تتفجر منها ينابيع الماء، أو تكون أرضها صالحة لحفر الآبار، تعرف هذه الأرض بالواحة، التي تعبر بأرض ذات نخل، فتنبت في الأراضي العامة أشجار صلبة أو تنبت نباتات في الأرض التي تكون أكثر جفافاً، مثل السمرة، التي ورد ذكرها في كتب السيرة النبوية والأدب العربي.

الغذاء:

لم يكن في جزيرة العرب زراعة الأرز، وكانت زراعة الحنطة في مناطق خاصة، وكانت نسبة النخيل كثيرة فيها، ويؤكل الشعير كثيراً في المواد الغذائية، فكان التمر والشعير في الشريعة الإسلامية مكانة غذاء واحد، وكان اللبن والإقط والأعناب الجافة في عداد غذاء عام أيضاً، وكانت الحيوانات متوافرة حسب الحاجة، وكان استعمال اللحوم أيضاً كثيراً. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اللحم أنه سيد الطعام،[1] وكان العرب يأكلون اللحوم قلياً وشواءً، بشوق بالغ، وكان لحم الإبل في الحيوانات أكثر أكلاً في الغذاء، ثم الضأن والغنم، كان العرب يؤثرون لحوماً ذات شحم حسب أذواقهم،

---

[1] عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم (سنن ابن ماجه، رقم الحديث: ٣٣٠٥).

فكان أشهى اللحوم إليهم، وكانت تستوفي حاجة الشحم، فكان استعمال السمن قليلاً، فيذكر اللحم كأشهى طعام، واللحم ذو الشحم كأجود لحم، فتوجد إشارات واضحة له في أبياتهم، وفي الأمثال العربية: ما كل بيضاء شحمة، وما كل سوداء تمرة.[1]

يقدر ثمن الحيوانات في العهد النبوي أن بعيراً واحداً كان في ٨٠/ درهماً، كما أن غنماً في عشرة دراهم، وعشرة دراهم تساوي ثمن ثمانية وعشرين غراماً من الفضة، والخبز يطبخ عامة من الشعير، وكان استعمال الحنطة علامة للثراء، ويظهر الفرق بين ثمن الحنطة والشعير أن الشعير والتمر في صدقة الفطر وُضعا في كفة، والحنطة ضعفين في كفة أخرى، وكان الخضار أيضاً في الغذاء، وكانت الدباء أعجب غذاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم،[2] فكان اللحم والتمر بمثابة إدام في الغذاء، إلا أن شيئاً متواضعاً يتناول كالإدام مع الخبز، مثل الشحم، أو الحلاوي، وكانت الخبيصة كثيرة الاستعمال، كما أن مدقوق الشعير يستعمل أيضاً.

العملات النقدية:

كان استعمال العملات النقدية، بكون العرب قليلي الثقافة، فكانت تتبادل الأشياء أيضاً، وكانت الإبل عامة مكانة العملات النقدية في الشئون المهمة، وكانت الإبل تعطى في الدية، وإن ثمن دية في الأوراق النقدية، ثمانية آلاف درهم، وهي تعادل ثمن مأة إبل.

وكانت العملات صيغت في الروم وفارس، وتستعمل أيضاً مثل الأموال المستوردة، فسبكت من الفضة، وكانت كلمة الورق أو الورقة تستعمل للعملات، قال الله عز وجل: فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِ (الكهف: ١٩).

إن الأوراق التي تستعمل لدى العرب منذ بزوغ شمس الإسلام هي

---

[1] جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، ج ٢/٢٨٧، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

[2] قال أنس بن مالك رضي الله عنه: إن خيّاطاً دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه، قال أنس رضي الله عنه: فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الطعام، فقرب إليه خبزاً من الشعير، ومرقاً فيه دباء، قال أنس رضي الله عنه: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حول القصعة، فلم أزل أحب الدباء بعد ذلك اليوم. (الموطأ، باب ما جاء في الوليمة/١١٣٩).

الدراهم والدنانير، وكانت الدراهم من الفضة، والدنانير من الذهب، وكانت نسبة أثمانهما أضعاف عشرة، فإن عشرة دراهم تساوي ديناراً، وكان مدار الثمن بناءً على النحاس، الذي تسبك منه هذه العملات، كأن أساس الثمن هو الذهب والفضة، اللذان يسبكان في صورة العملات كأداة للبيع والشراء، وقد اختلف المقياس في العصر الراهن، فإن الذهب هو النحاس الذي يكون أساس العملات.

وبسبب حدوث الفرق بين موازين قديمة وحديثة، تبدلت الطرق أيضاً، فكانت نسبة الثمن بين الذهب والفضة وقت ظهور الإسلام واحداً وسبعة أضعاف، وقد تغير الآن، فصارت نسبة ذلك واحداً وخمسين ضعفاً.

كان في بداية الإسلام سبعة وسبعون غراماً فضة، تساوي أحد عشر غراماً ذهباً، فكان مقدار نصاب الزكاة للذهب خمسة وثمانين غراماً ونصف غرام، ونصاب الزكاة للفضة سبعة أضعاف، ١/٢ — ٥٢، أي بالترتيب ٨٥/ غراماً و٥٩٥ غراماً، الذي كان ٢٠/ مثقالاً، ومأة وأربعين مثقالاً باعتبار موازين العصر القديم.

إن المثقال يستخدم لوزن الذهب والفضة، فكان وزن مثقال أربعة غرامات وربعاً، وكان وزن درهم حوالي ثلاثة غرامات فضة، وكان وزن دينار واحد أربعة غرامات وربعاً من الذهب، وبالنظر إلى المثقال كان وزن درهم سبعة مثاقيل، ووزن دينار مثقالاً واحداً.

ويناسب أن يفهم سعر الدرهم نظراً إلى أوراق العصر الحاضر أن ثمن ١/٤ فضة يُعتبر درهماً واحداً، مثل ثماني روبيات هندية، هذا بناءً على سعر الفضة، وهو أقرب إلى الصواب، لأن سعر الذهب قد تفاقم، فإذا كان بناؤه على الذهب كان ذلك نسبة متفاوتة.

وبناءً على الفضة كان وزن دينار واحد في العصر القديم يساوي عشرة أضعاف، يعني ثمانين روبية، ولكن إذا استخرج بالنظر إلى النسبة الحالية ساوى ذلك أربع مأة روبية، اعتبر علماء الشريعة الفضة أساساً للزكاة عندما اجتمع الذهب والفضة، فإذا كان عند مسلم مقدار ٥٩٥ غراماً من الفضة، وحال عليه الحول، فرضت عليه الزكاة.

كانت تستعمل حبات الخردل أو الشعير أقل من المثقال لوزن الذهب والفضة، لكن يحدث أحياناً فيها اختلاف، لكن الحبات القديمة والجديدة تختلف في الوزن، وترتفع وتنخفض أسعارها نظراً إلى الطقوس،

فحدثت مثل هذه الاختلافات في شئون بعض التجارة، فكانت تستعمل الأوقية التي تساوي ٤٠/ درهماً، والدرهم الذي يساوي ٢٩٧ غراماً، والدانق الذي يعادل ١/٦ من الدرهم، والقيراط الذي يساوي ١/٢ من الدانق.

موازين الكيل والوزن:

كان للتجارة نفاق في مكة المكرمة، وللزراعة شيوع في المدينة المنورة، فالفارق الأساسي بين شئونهما أنه قد عمت موازين الوزن في مكة المكرمة، وشاعت موازين الكيل في المدينة المنورة، ويوجد اختلاف في الموازين حسب المناطق، وتوقياً من هذا الاختلاف اعتبر رسول الله صلى الله عليه وسلم للكيل مكيال أهل المدينة أصلاً، وللوزن ميزان أهل مكة، لأنهم كانوا يستعملونهما بالانفراد.

من مكاييل أهل المدينة المد والصاع والوسق، المد هو حفنتان من ماء أو ميرة، وهما لرجل متوسط، وأربعة أمداد تساوي صاعاً واحداً، وستون صاعاً يساوي وسقاً واحداً.

وبما أن هناك اختلافاً في بيان مقدار الصاع والمد، لأن الحنطة تختلف، ويختلف كذلك وزن الميرة والماء، فوردت صورة أقرب للجمع بين الأقوال المختلفة.

إن مداً يساوي وزن ٥٤٤/ غراماً للحنطة، أو ٨١٦/ غراماً للماء، وصاعاً يساوي ٢١٧٦/ غراماً من الحنطة، أو ٣٢٦٤ غراماً من الماء، فالمقدار الأول الذكر يكون ١/٣ – ٥ أرطال، وآخر الذكر ٨/ أرطال، واعتبر عند الأحناف وزن ٨/ أرطال أصلاً، وتوزن الميرة بهذا الوزن، فكان مقدار نصف صاع من الحنطة في صدقة الفطر ١٦٣٢/ غراماً، ومقدار صاع من الشعير أو التمر ٣٢٦٤ غراماً، وكان مقداره بترتيبها حوالي اثني كيلو غرام إلا ربعاً، أو ثلاثة كيلات إلا ربعاً.

لم يكن وزن الغرام من قبل، فكان الرطل يستعمل للميرة والماء، إن المقارنة بين الرطل والغرام تبين أن رطلاً واحداً كان أقل من ٤٠٨/ غرامات أي نصف كيلو غرام.

إن الدرهم يساوي ثمن ١/٤ من الفضة، وكان مكيالاً من حيث الوزن، يساوي ٢٩٧/ غراماً، ويعتبر ورقاً مع الدينار، ووزناً مع الأوقية والرطل، وينضم إلى الدرهم ستة دوانق و١٢/ قيراطاً.

طرق الاقتصاد:

إن أمكنة جزيرة العرب التي تقع على سواحل البحر كانت فيها تجارة وصيد الأسماك، واستخراج اليواقيت، وهي طرق سادت سواحل مناطق غير خضراء، وفي داخل البلاد حيث كانت أرض النخيل ووسائل السقي توجد فيها الزراعة والفلاحة، فتكوّن عمران صغير في مثل هذه المناطق، وتتفق وطبيعة البادية وتختلف منها اختلافاً، وتكون هذه الأمكنة في أرض ذات نخل أو أودية خضراء، فمن أشهر الأمكنة في الحجاز المدينة المنورة، والطائف وتيماء وخيبر وفدك، ومن الأمكنة غير الخضراء كانت مكة المكرمة أكثر شهرةً، لكن طريقة اقتصادها كانت التجارة.

كانت هنا ثكنات صغيرة على سواحل البحر، وكان اقتصادها صيد السمك، أو التعاون في التجارة والرحلات البحرية، وخاصة مكة والمدينة وبعض موانئ الحجاز.

أما المناطق التي تسع التطورات الاقتصادية، التي كانت خصبةً وخضرةً فيأتي فيها جنوب اليمن، وجنوب شرق اليمن.

التجارة:

لم يكن في شمال العرب نظام آخر للتجارة غير الأسواق، فإن العرب كما مرَّ في الفصول السابقة يمتهنون الحرف والأعمال التجارية ازدراءً واحتقاراً، وكانت في جنوب العرب الثقافة، فاستمرت عندهم التجارة أيضاً، وكانت لهم مساهمة بارزة في التجارة المنطقية، تنشق طريقان للتجارة في جنوب جزيرة العرب، إحداهما شرقية، تغدو وتروح منها قوافل تجارية مروراً بعمان والأحساء والحيرة، إلى أسواق الشام ومصر، وأخراهما غربية، تذهب منها قوافل تجارية مروراً بمأرب وصنعاء ومكة والبطراء وغزة، بأموال التجارة، وتروح، فتصل بضائع جنوب جزيرة العرب إلى مدن وأسواق الشمال، وتصل بضائع شمال جزيرة العرب التي هي من إنتاجات روما ومصر إلى جنوب جزيرة العرب.

كان أكثر التجار على الشارع الأول من سكان سواحل عمان، فيأتون من الساحل إلى الهند ولنكا وإلى مناطق أخرى، بالسفن الشراعية، فيستوردون منها التوابل والجواهر والجلود والأسلحة، ومن الصين الحرير والأواني وغيرها، ثم يأتون إلى عمان

فيشترون من سواحلها اليواقيت، ومن داخلها التمر والفرس، ويذهبون ببعض معادن نجد إلى شمالها، ثم يصلون إلى الحيرة مروراً بالأحساء، ثم يأتون إلى تدمر مروراً ببادية الشام، ثم يصدِّرون البضائع من تدمر إلى دمشق ومدن أخرى من الشام، ويجعلون دجلة والفرات محطات تجارية في نقل البضائع.

وكان أول التجار على الشارع الثاني أهل سبأ، فقد اشتغلوا بالتجارة وربحوا فيها ربحاً كثيراً، فوسعوا نطاقها وطوروها، حتى صاروا أكبر الشعوب تجارة في عهدهم، ولما زالت شوكتهم بسيل العرم خلفتهم حمير وتبعتها قبائل أخرى وانتفعوا بالتجارة كثيراً.

تصل قوافل تجارية إلى الهند وسواحل إفريقيا الشرقية، وتستورد منها الذهب والفضة، وأسنان الفيل، والقرد والطاؤوس والتوابل المتنوعة والكافور والزعفران والحرير والبضائع الأخرى، وتضم إليها بضائع بلادها، ولا سيما بضائع حضر موت واليمن، فيها بعض عطورات حضرموت ومعادنها، وتستورد في ذلك العصر كمية كبيرة من العطورات والعود، في حضرموت، هي تحرق عامة في المساجد ومعابد الهندوس، تبدأ هذه القوافل التجارية رحلتها من مأرب، حيث تنضم إليها قوافل تجارية من ظفار حضر موت (جنوب غرب عمان حالياً)، وتمر هذه القوافل بطريق بري قرب البحر الأحمر، خروجاً من مأرب، وتجتاز في هذا الطريق صنعاء ومكة والمدينة والبطراء، وبصرى وغزة وغيرها، وأقاموا محطات سكنية وتجارية في أشجار النخيل التي تكون فيها مستودعات ومعابد، وقد تطورت هذه المحطات أيضاً بمرور هذه القوافل، وصار هذا الطريق التجاري أيضاً ممهداً ومريحاً، تباع هذه البضائع الشرقية في أسواق البطراء، وتتكثف هنا أموال البلدان الشمالية والغربية، وينتظر رجال الغرب بضائع الشرق بفارغ الصبر، ويتمنون اشتراءها، فتستهلك وتباع هذه البضائع كثيراً، ورجوعاً منها يستورد التجار العرب البضائع الغربية، التي تكون الثياب الذهبية والسجاجيد والدهون والأسلحة، هذه القوافل تذهب إلى دمشق مروراً ببُصرى بعد البطراء في الشمال، وتارة تذهب إلى مصر مروراً بغزة، فتطورت مدينة البطراء بهذه التجارة، فساهمت حكوماتها المختلفة في تجاراتها مساهمة بارزة، وكسبت

مدينة تدمر أيضاً من هذه القوافل التجارية فوائد كثيرة، وربح أهل مكة التي كانت إحدى محطات قوافلها التجارية منها ربحاً كثيراً، وحينما ضعفت أمم العرب في هذه التجارة بدأت قريش تجارة واسعة.

وبعد مدة أصيبت سبأ بكساد تجارتها، ومن أعظم أسبابها أن أمماً أخرى بدأت التجارة، ولا تزال تغدو وتروح قوافلها التجارية من البحر الأحمر، فلم تبق قيمة للطرق البرية في سبأ، فزال احتكار سبأ على التجارة، وفي عهد سبأ كان يتجر بنو أعمامهم حمير على ساحل اليمن في جهتهم الغربية، لكنهم لم يكونوا متفوقين في التجارة إزاء سبأ، كذلك كانت تتجر بعض قبائل قحطان في جنوب شرق اليمن، فلما بدأت تمر قوافل التجارة بالبحر الأحمر زالت شوكة سبأ، لكن انتفع بها تجار حمير الذين كانوا على الساحل، وقد ساهمت كثيراً في هذه التجارات أهل البطراء، ثم أهل تدمر في فترات مختلفة، غير سبأ وحمير وأهل حضرموت، وطوروها تطويراً.

تولى الإشراف على هذه القوافل إلى القرن السادس المسيحي أهل اليمن، ثم قريش، وكان الفضل يرجع إلى تولية قريش أحد أجداد النضر بن كنانة، كما كان موقع قريش ومكة ومكانتهما أيضاً له فضل كبير، لأن قريشاً كانوا في مكة، ولأن مكة أكبر محطات الطرق التجارية سابقاً وأوسطها، غير أن أمماً أخرى تهتم بصيانتها للمرور بجزيرة العرب، وتقدم مكوساً لها، ولا تحتاج قريش إلى اتخاذ تدابير لصيانة قافلتها، ذلك لأنهم كانوا سدنة بيت الله الحرام، فتولت قبائل محلية صيانة قوافلها، رغم أن القوافل الرومية والإيرانية لا يمكنها استيراد البضائع إلى جزيرة العرب إلا بالمكوس والضرايب، وإذا خالفوا هذا النظام نهبت قوافلها، وسلبت أموالها، فالقافلة التجارية التي تأتي من الحيرة إلى سوق عكاظ تسمى باللطيمة، ونشبت حرب الفجار في شأن هذه اللطيمة، على كل، فإن قريشاً يأتون الشام واليمن للتجارة، فتنتقل بهم بضائع الشام إلى اليمن وحضر موت وبضائع اليمن وحضرموت إلى الشام ومصر، وتارة تذهب قوافلها إلى الحبشة وإلى إيران أيضاً وقد سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين للتجارة، وذهب في سفره إلى بُصرى في الشام.

كان أغلب بضائع قريش الفضة والجلود، فالجلود تستورد من

الطائف، وكانت هناك تجارة لأشياء أخرى أيضاً، فالأقمشة تستورد من اليمن، والميرة أغلبها من الشام، وبعضها من اليمن أيضاً، تستورد الخمر من الشام، وخاصة من رأس بيت، والأندرين، قال عمرو بن كلثوم:

ألا هُبِّي بِصحنِكِ فَاصبحِينَا
ولا تُبقِي خُمُورَ الأَنـدَرِينَـا

ورد في كتب التاريخ والأدب أن الأقمشة وخاصة البرد كانت من اليمن، وكانت الأقمشة المنسوجة في اليمن موضع تقدير لدى الجميع، لأن فيها خطوطاً ومعالم، ونسبت بعض أنواع الأقمشة إلى قطر، وقد اشتهر السيف اليمني، وذلك باسم اليماني، كما نسبت السيوف إلى بعض مناطق مرتفعة في الشام، فسميت بالمشرقية، وينسب العرب أجود الرماح إلى شرق سواحل جزيرة العرب وهو الخط، فسميت الرماح بالرماح الخطية، وكان في منطقة الخط صانعان شهيران للرماح: سمهر وردَيْنَة، فكان الأول رجلاً، والثاني امرأة، فسميت الرماح بأسمائهما، وكانت منطقة مهرة في حضر موت شهيرة في الخيل والإبل، فتنسبان إليها أيضاً.

لما هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة المنورة اشتغلوا بالتجارة فيها أيضاً، رغم أن الأنصار كانوا أهل مزارع وحقول، وكان في عوالي المدينة المنورة مكان باسم سنح، حيث كان مصنع أبي بكر الصديق رضي الله عنه، لنسج الأقمشة، وورد في كتب السيرة أن قوافل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه التجارية تأتي ببضائع كثيرة إلى المدينة المنورة، وإن الرشوة التي أرسلتها قريش لاسترداد المهاجرين إلى الحبشة كانت تشتمل على الجلود.

إن القبائل التي كانت على شوارع رئيسة للتجارة في جزيرة العرب شاركت في التجارة كثيراً واستفادت منها استفادة بالغة، لكن القبائل التي تبعد عنها لا علاقة لها بالتجارة.

الزراعة:

إن المناطق التي كانت خصبةً وخضراء عمت فيها الزراعة، فكانت فيها بعض مناطق اليمن وعمان واليمامة وبعض نواحي شمال نجد، استفاد سكان اليمن من خصوبة بلادهم، فكانت الزراعة والري أكبر عامل في تطور سبأ، الذي سبق ذكره في سبأ، أما خارج هذه المناطق فكانت وسائل الزراعة في بقية جزيرة العرب قليلة،

وكانت في أرض ذات نخل وقرب ينابيع الماء، يجدر بالذكر هنا المدينة المنورة والطائف في الحجاز، فكانت الزراعة أوسع حرفةً في المدينة المنورة وتوجد أراض ذات نخل من المدينة المنورة إلى الشام، حيث كانت ثكنات وزراعة عامة، وكانت في نجد والأحساء خارج الحجاز أراض نخلية، وإمكانيات واسعة لتطوير الزراعة، ولا شك أن بعض مناطقها تحمل شهرة بإنتاجاتها وخصوبتها، فكانت تنبت كمية كثيرة من التمور في اليمامة، وجنوب شرق بادية الشام، والمدينة المنورة، وكانت لها أكثر من مأة نوع في المدينة المنورة.

تُزرع هنا أشجار مثمرة متنوعة غير التمر، خاصة العنب والرمان، يكثر نباتهما في المدينة المنورة والطائف، كما أن في بلدة شمر من شمال نجد زراعةً جيدة للأشجار المثمرة، وكانت منطقة القصيم من نجد، والعسير في بعض مناطق الأحساء، وفي عمان واليمن زراعة جيدة للأشجار المثمرة أيضاً، وهي تنبت في مختلف مناطق جزيرة العرب، كما أن الحنطة تنبت في عسير، رغم ذلك كله كانت طبيعة جزيرة العرب العامة بحيث تقل فيها نسبة الزراعة.

الباب الحادي عشر

حكومات جزيرة العرب
(البطراء، تدمر، كندة، الحيرة، غسان، حمير وتبع)

حيثما وجد العرب وسائل إقامة نظام اجتماعي بالقوة والثروة تطوّروا فيها تطوراً ملحوظاً في السياسة أيضاً، وأنشأوا حكومات واسعة وإمارات قوية في مختلف مناطق جزيرة العرب، ومما ساعدهم وطنياً وسياسياً في ازدهارهم أنهم كانوا مضطرين إلى الاتصال الشعبي لأغراض شعبية، فكانوا مطلعين به على خصائص وميزات الشعوب، ولا شك أنهم قد استفادوا من هذا الاتصال ثقافة وعلماً، وإن بعض حكومات جزيرة العرب تتصل اتصالاً قوياً بالحكومات الخارجية، ولا يزال يختلف إليها رجالها وأعضاؤها، فكان هناك تبادل ثقافي أيضاً، هذا ما يتجلى من دراسة الثقافة العربية والأدب العربي.

كانت في جزيرة العرب منذ أن رفع الله عيسى عليه السلام، إلى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم حكومات عربية: البطراء، تدمر، كندة، الحيرة، الغساسنة، حمير وتبع.

البطراء:

وهي مدينة متطورة قرب خليج العقبة في جنوب بُصرى على الضفة الغربية الجنوبية للأردن في شمال الحجاز، وقد ظلت عاصمة للأنباط، وسيطر عليها الروم إلى مدة.

اختلف المؤرخون في الأنباط، إلى أي ذرية ينتمون ؟ قال بعضهم: من ذرية إسماعيل عليه السلام على كل، فقد استوطنوا بين الحجاز والشام، وكانوا في بداية الأمر رعاة، جاءوا متجولين قرب الأردن، وبدأوا الزراعة في أراض ذات نخل، وتطوروا فيها، حتى استولوا في ظرف أيام عديدة على السلطنة الموآبية التي تحكمها، واتخذوا البطراء عاصمة لهم، وصاروا مسئولين عن التجارة العالمية، التي كانت تخترق طريقها البطراء، فنتيجة لذلك كسبت البطراء رقياً وازدهاراً كبيرين، وصارت من أكبر وأهم محطات تجارية، هذه هي التجارة التي استفادت منها قوم سبأ منافع كثيرة، وبنيت في البطراء مستودعات كبيرة، فكانت مركزاً تجارياً كبيراً، حيث يصل إليها التجار ببضائعهم من

جهات شتى، نال الأنباط فيها رقياً خاصاً، وبسطوا عليها سيطرتهم، واتسع نطاق سيطرتهم على مدين أيضاً، لكن انهزموا في محاربة الروم، ثم دمرت مدينتهم، وتقع البطراء في واد يُعرف بوادي موسى، يضطر للدخول فيها إلى أطول ممر ملتوٍ ضيق، فحصل لهذه المدينة حصن حصين فطرياً، وقد نحتت من الجبال غرفٌ ومبانٍ، توجد آثارها حتى الآن، يتجلى منها المهارة الحضارية زمن رقي البطراء، والبطراء باللغة الإنجليزية (Patra)، وهي كلمة يونانية، معناها الصخرة، وانتقلت هذه الكلمة من اليونانية إلى العربية.

تدمر:

وهي أرض ذات نخل خضراء، في جنوب سوريا، على الضفة الغربية من بادية الشام، تعرف بتدمر، وتستعمل لها باللغة الانجليزية كلمة باميرا (Palmyra)، كانت هنا ولاية عربية في القرنين الثاني والثالث الميلاديين، تواجه خصومات ونزاعات من الولايات العربية وغير العربية المجاورة، ورد ذكر ملكتها المشهورة بـ " زَبَّاء " أو " زنوبيا " في تاريخ الأدب العربي.

أنشأ هذه الولاية أذينة زوج زبَّاء، فتأسست بعد سقوط حكومة البطراء، وانتقلت مسئولية الإشراف على شوارع تجارية من البطراء إلى تدمر، فانتزعت من أهل البطراء هذه الميزة، رغم أن الروم قد هزموهم ودمروا ديارهم، وبعد أيام صارت تدمر مدينة شهيرة، وكانت تدمر مدينة خضراء ورائعة وجميلة، فلقبت بعروسة الصحراء، وملكت زمام الحكومة بعد وفاة الملك أذينة زوجته زباء، فحكمت حكماً شامخاً على غرار الملوك الرجال،يسميها أهل أوربا بزنوبيا، ونظراً إلى إدارتها وحسن سياستها امتدت حكومة تدمر إلى مصر، واستولت على الإسكندرية التي هي أهم مدن الروم، ولكن بخطأ قائد من قوادها فتحها الروم من جديد، ووصلوا إلى تدمر، ودمروا هذه المدينة، فزالت هذه المدينة وحكومتها، وإن آثار تدمر القديمة التي يوجد فيها طراز البناء الرومي تقدِّم ملامح الزمن الماضي حتى الآن.

كندة:

ورد بنو كندة إلى نجد من اليمن، وأنشأوا هنا حكومتهم، وكانت بدايتها في القرن الخامس الميلادي من حارث بن عمرو، حاربه

النعمان بن منذر ملك الحيرة، وقتله، ثم انقسمت الحكومة في أربعة أبناء، وكانت مشتملة على قبائل شتى، ومن أهمها حكومة حجر بن حارث التي كانت على بني أسد، فثار بنو أسد عليه، وقتلوه، ثم ناب عنه ابنه امرؤ القيس، وانتهت حكومة كندة عام ٥٦٠ م بفشله في إدارة الحكومة، وموته.

وحكم بعض رجال هذه الأسرة مناطق عديدة، منها دومة الجندل، وانتهت هذه الحكومات بعد مجيئ الإسلام.

ملوك الحيرة:

قد أنشأ فرع أسرة لخم على جانب نهر الفرات شرق بادية الشام، حكومة، ابتدأت من عمرو بن عدي، وظلت ٣٦٤ عاماً، وانتهت على المنذر، وكانت عاصمتها الحيرة، وكانت الحيرة مدينة على بعد ثلاثة أميالٍ من نجف على جانب بُحيرة انشقت من الفرات، وكان طقسها جيداً ومفيداً للصحة، وكان في الشرق والغرب خارج المدينة قصران شهيران يضرب بهما المثل، وهما الخورنق والسدير، شيدهما الأمراء العرب، وكانا شعاراً للعظمة والثروة في الأدب العربي، قال الشاعر العربي المنخل اليشكري:

فإذا انتَشَيتُ فإنَّني ... رَبُّ الخَوَرْنَقِ والسَّدِير

وَإذَا صَحوتُ فإنَّني ... رَبُّ الشُوَيهَةِ والبَعِير

وكانت هذه الحكومة أيضاً تحت رعاية الإمبراطورية الإيرانية، التي قامت بإنشائها، فكانت تنجز بها أعمالاً كثيرة في جزيرة العرب، لأن ربط العلاقات بقبائل العرب مباشرة، أو إجراء التعامل معها لمصالحها كان صعباً لكبريائها وغطرستها، وكلفت هذه الحكومة بصيانة القوافل التي تأتي من فارس إلى جزيرة العرب، فكان ملوكها يعنون كثيراً بحفظ هذه القوافل من النهب والغارة، مرةً لم تعتن حكومة فارس بصيانة ملوك الحيرة، فنهبت قافلتها، ولم يضروا بالعرب شيئاً.

عمرت الحيرة منذ مآت من السنين قبل الإسلام، فكان في عمرانها ثلاثة عناصر: التنوخيون، وهم أهل خيم من العرب، سكنوا على الضفة الغربية من الفرات، العباديون، وهم حضريون، الأحلاف، وهم منفصلون عنهما، لكنهم كانت بينهم معاهدة وعقود.

إن ملوك الحيرة وإن كانوا تحت سياسة فارس، لكنهم كانوا نصارى عقيدة، وقد مر في العباديين شعراء نبغاء أيضاً، وكانت الحيرة موضعاً ذا طقس رائع، وفصل جميل، وكان رجالها قليلي الثقافة والمدنية، وكانوا يملكون خصائص متنوعة، بارتباطهم مع أهل الروم وإيران والعرب، فيأتي شعراء جزيرة العرب إليها، ويمدحون ملوكها فينالون جوائز قيمة، وتنسب أسرة ملكية في الحيرة إلى أحد أجدادها "ماء السماء" فخراً واعتزازاً.

ذكر أكبر شعراء العصر الجاهلي من قبيلة تغلب عمرو بن كلثوم أحد ملوك الحيرة عمرو بن هند في معلقته، لكن بعواطف الفخر والكراهة المزدوجة، يقول:

إن قناتنا يا عمرو أعيت على الأعدَاء قَبْلَكَ أن تلينا

وقد مدح النابغة الذبياني أشهر ملوكها النعمان بن منذر كثيراً، حينما غضب النعمان عليه، فاستعطفه النابغة بقصيدة غراء، نذكر بعض أبياتها:

فإنَّك كاللَّيلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِن خِلتُ أنَّ المنتأىَ عَنك واسعُ
وأنتَ ربيعٌ يُنعشُ النَّاسَ سَيبُه وسيفٌ أعيرَته المنيَّةُ قاطعُ

قضت الامبراطورية الإيرانية على هذه الحكومة قبل الإسلام بسنوات، وضمّها إلى ولاياتها، ثم استقل بها وأنقذها من إيران سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه بعد معركة فاصلة.

الغساسنة:

كانت حكومة للعرب أيضاً على الضفة الغربية من بادية الشام، وهي حكومة الغساسنة، التي امتدت إلى ٦/ قرون، ابتدأت من جفنة بن عمرو، وانتهت على جبلة بن الأيهم بمجيئ الإسلام، وكانت تحت الإمبراطورية الرومية، وكان الروم يدعمون هذه الحكومة لمصالحها، فكان الغساسنة خير واسطة بين الروم والعرب، كما كانت حكومة الحيرة تتوسط بين العرب والإيرانيين، لكن الأمراء الغساسنة كانوا أكثر ارتباطاً بالحكومة الرومية من ملوك الحيرة للامبراطورية الإيرانية، وظلت عاصمة الحكومة الغسانية في مدن مختلفة، تجاور مدينة دمشق، كانت منها جلق والبلقاء، كانت جلق في جزء من المنطقة التي تعمر مدينة دمشق، وامتدت هذه

الحكومة إلى حوران التي يزورها الشعراء وينالون منها جوائز، وكان سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه يأتيها في العصر الجاهلي، فيأخذ عطاياها، وقد مدح آل غسان كثيراً، يقول:

لِلّهِ دَرُّ عِصَابَةٍ نَادَمْتُهُم ... يوماً بِجِلّقَ في الزَّمَانِ الأوَّلِ
يَمْشُونَ في الحُلَلِ المُضَاعَفِ نَسْجُهَا ... مَشْيَ الجِمَالِ إلى الجِمالِ البُزَّلِ
يَسْقُونَ مَن وَرَدَ البَرِيصَ عَلَيهِمُ ... بَرَدَى يُصَفِّقُ بالرحيقِ السَّلْسَلِ
بِيْضُ الوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أحسَابُهُم ... شُمُّ الأُنُوفِ مِنَ الطِرازِ الأوَّلِ

كما أن هناك صراعات سياسية بين الروم وإيران، كذلك كانت صراعات بين لخم وغسان، فالشعراء وغيرهم الذين كانوا يواجهون عتاباً مراً من بني منذر، يلجأون إلى آل غسان، ويقيمون عندهم، وحينما واجه الشاعر المشهور وأحد مادحي ملوك الحيرة النابغة الذبياني سلوكاً جائراً لجأ إليهم أيضاً، ولما عفا عنه الملك النعمان بن منذر عاد إلى الحيرة، كان الغساسنة أكثر حضارة من أهل الحيرة، وكان ملوك كلا البلدين نصارى ديانة، وكان آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم الغساني، الذي أسلم، ثم ارتد في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

حمير وتُبّع:

سبأ أحد أجداد آل قحطان في اليمن، فسُمّي بعضهم بسبأ، وسُمّي بعضهم بأسماء مستقلة، فلم يأت في التاريخ إلا ذكر حمير وكهلان، أما ذرية سبأ فكانت من أقوى وأرقى أجيال اليمن في عصرها، وكانت حكومتها في اليمن منذ ٨٥٠ ق م إلى ١١٥م، حوالي ٧٣٥ عاماً، مرّ ذكر سبأ من قبل مفصلاً، تطور بعد انحطاط سبأ بنو أعمامها حمير، وكانت عاصمتهم ظفار في اليمن، وظفار مدينة في جنوب اليمن غير عمان، تقع في شمال شرق مدينة ساحلية مخا على بعد من مأة/ كم، وظفار أهم مدينة في اليمن، التي اشتهرت بالجواهر كثيراً، وكانت حليّها وجواهرها تستعمل في جزيرة العرب، وكانت حلية السيدة عائشة رضي الله عنها التي ورد ذكرها في حديث الإفك من جذع ظفار، ومخا ميناؤها الخاص، تستورد منتوجات هذه المنطقة من مخا، وتنسب قهوة اليمن إلى مخا حتى الآن، وكانت حكومة حمير منذ عهد سبأ، لكن ازدهرت ازدهاراً كاملاً بعد انحطاط سبأ، وكان سببها أن قوافلها التجارية كانت تمرُّ ببلادها، وتقف

في موانيها، فاستفادت منها كثيراً، وإن لم يحصل لها ازدهار مثل سبأ، لكن ازدهارهم هذا كان بالغاً إلى مداه، وورث بطن حمير الذي يُعرف بتبع، حكومتها، وتداولت حكومة اليمن في بطون آل قحطان الثلاثة: سبأ وحمير وتبع، وكان آخر ملوك تبع ذا نواس، الذي اعتنق بالديانة اليهودية.

وإن حميراً كانوا على الساحل، الذي تقابله بلاد الحبشة، وصار الأحباش نصارى بمجاورة الروم، وتشتبك اشتباكات ونزاعات حيناً لآخر بين الأحباش والحميريين، فنتيجةً لذلك يستولي بعضهم على بعض أيضاً.

كانت في شمال شرقي اليمن مدينة نجران، تسكنها قبيلة حمدان، فكان فيها عدد لا بأس به من النصارى، وكانت فيها كنيسة كبيرة لهم، فكانت هذه المدينة مركزاً كبيراً للنصارى في جزيرة العرب، وإن ملك تبع الذي كان يهودياً أكرههم على اعتناق اليهودية فاعتدى عليهم شديداً، فحدثت خلال ذلك قصة أصحاب الأخدود التي ورد ذكرها في سورة البروج، ولا شك أن المسيحية الحقيقية قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم كانت في صورة الإسلام، فالمسيحيون الذين كانوا أتباع الدين المسيحي، وتعرضوا لهذا الظلم والاعتداء كانوا مؤمنين، واستشهدوا في سبيل الله عزّ وجل، قال الله تعالى: قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ. وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ. وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (البروج: ٤ — ٨).

فبتأثير هذا الحادث ثارت الحكومة المجاورة الحبشية التي كانت نصرانية، فهجمت على اليمن لنصرة المسيحية وحاربت حتى سيطرت عليها، فاختير حاكم اليمن من قبلهم أرياط ثم أبرهة، وكلاهما كانا قائدين للعساكر التي هجمت على اليمن، وبعد مدة استقل أبرهة بحكومة اليمن، ثائراً على الحبشة، ثم حسد الكعبة التي كانت قبلة العرب، وموضع عظمة وتقديس لهم، فبنى معبداً جميلاً في نجران على غرار الكعبة لاستمالة أفئدة العرب إلى المسيحية، وحاول أن تنقطع صلة العرب عن الكعبة كاملةً، فيعظموا هذا المعبد، ويؤدوا له ضريبة الحب والاحترام، لكنه لم ينجح في محاولته، بل أساء عربي إلى هذا المعبد ليلةً، فعبث به وقذر وقعد، فانفجر منه غضب أبرهة، وقضى لهدم الكعبة المقدسة، بل أغار على الكعبة المقدسة اختيالاً وكبراً،

فأهلك الله عزّ وجل إياه وعسكره، كما ورد ذكره في سورة الفيل:

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (الفيل: ١ — ٥).

وقع هذا الحادث قبل ولادة النبي صلى الله عليه وسلم بسنة، وبعد مدة ضاق أهل اليمن ذرعاً بسلطة الأحباش وإعتداءاتهم، فاستعانوا لاستئصالها بالحكومة الفارسية، فبعثت جيشاً استولى على اليمن بكاملها، فتحولت اليمن إلى مجوس فارس، وزمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كانت اليمن تحت سلطة فارس، فحينما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم رسائل وكتباً إلى أمراء البلدان، وأرسل إلى ملك فارس، أهان رسالته، وشقها، وكتب إلى حاكم اليمن أن يسجن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ويبعثه إلى فارس، أرسل حاكم اليمن رجلين إلى المدينة المنورة، فلما أقبلا إلى النبي صلى الله عليه وسلم (وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد علم من قبل شق رسالته، قال النبي صلى الله عليه وسلم: مزّق الله ملكه، ففي اليوم الثاني قتل ابن الملك أباه، وسيطر على السلطة)، قال صلى الله عليه وسلم: ارجعا، فقد قتل ملككما، ابتدأت حكومة حمير وتبع بعد انحطاط سبأ، وبقيت إلى ٦٤٠، وانتهت عام ٥٢٥م.

الباب الثاني عشر

مكة المكرمة

تقع مكة المكرمة في وادي إبراهيم عليه السلام، ويقدَّر مدى ارتفاعها عن سطح البحر حوالي ثلاث مأة قدم، وتكون درجة عرضها ٢١ شمالاً، وطولها ½ ٣٩ شرقاً، وتبعد نحو ٧٥ كيلو متراً عن شاطئ البحر الأحمر في الشرق، ومن أسمائها مكة وبكة وأم القرى والبلد الأمين، وهذا الوادي حجري وضيِّق، وتبلغ مساحة مكة المكرمة من الشرق إلى الغرب إلى أميال (حوالي ٦٥٠ هكتاراً)، وبلغ عرض مكة إلى ميلين، ويُسمى هذا الوادي بالأبطح والبطحاء أيضاً،[1] وقد ارتفعت هضبتان على جانبي الوادي، وكلتاهما امتدتا من الغرب إلى الشرق، إحداهما شمالية وأخراهما جنوبية، وهما تعرفان بالأخشبين، تشتمل الهضبة الشمالية على جبل الفلق،وجبل قعيقعان، وجبل لعلع، وثنية كداء، وتقع كداء في شرق مكة، وهو منطقة مرتفعة فيها، دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة من هذه الجهة، وعلى الجهة الغربية الجنوبية يقع جبل عمر رضي الله عنه، ثم واد، ثم جبل أبي قُبيس، ثم جبل الخندمة، وقد عمرت سفوح هذه الجبال ومرتفعات بعض منها الآن بالمباني، وقد أحاطت المدينة من جوانبها الأربعة تِلال الأحجار أو الهضبات، التي تكون بمثابة أسوار، والحرم المكي في وسط المدينة.

وفي مكة عين للماء، تُعرف بزمزم، ولم تكن هناك بئر للماء غيرها، ولم تكن هناك إمكانيات الزراعة بقلة المياه، وقد حفر نهر أو نهران لإيصال الماء إلى مكة، فتوافرت منه تسهيلات الماء، وقد غرست فيها بعض الأعشاب والنباتات أيضاً، وقد حفر نهر في العهد العباسي قربَ الطائف، فوصل الماء إلى مكة، وهو معروف بنهر زبيدة، حُفر هذا النهر بأمر من السيدة زبيدة والدة الخليفة العباسي الأمين بن هارون الرشيد، ثم جرى فيه إصلاح وتعديل، وقد اختيرت

---

[1] الأبطح: المكان المتسع يمر به السيل، فيترك فيه الرمل والحصى الصغار، ومنه أبطح مكة.

الآن وسائل أخرى لإيصال الماء إلى مكة، فلم يكن هناك قلة الماء الآن، وإن مكة كانت في وادٍ، فتمتلئ في الزمن الماضي بالسيول الجارفة فيه، ويدخل في الحرم المكي كثير من الماء، وقد أقامت الحكومة الآن سداً قبل المعلاة، وحفرت هنا مسيلاً أرضياً كبيراً داخل الحرم وأمامه، يخرج به من جهة المسفلة قاذورات المدينة وسيولها.

وبما أن مكة المكرمة محاطة بالجبال بصفة خاصة، فتكثر فيها الحرارة ويقل الشتاء، ويشتد فصل الصيف في مكة، كما أن المطر ينزل في الشتاء، ولا تكون نسبته السنوية أكثر من أربعة أو خمسة أصابع، فيبتدئ فصل الصيف في مارس، وينتهي في نهاية أكتوبر، وتكون نسبة الشتاء خفيفةً بإحاطتها بالجبال، وتكون الريح الغربية أحسن وأطيب، فتهبُّ من البحر، ثم الريح الشمالية التي تهب أيضاً من جهة البحر، وتكون الريح الشرقية أحرّ، وهي تمر بالجبال الجافة، فتكون أشد حرارة، وتكون الريح الجنوبية أقل حرارة منها، وسميت جبالها في التوراة بجبال فاران، وقد نسبت إلى الملك فاران بن عمرو بن عمليق.

قبل أربعة آلاف سنة منذ اليوم أسكن سيدنا إبراهيم عليه السلام زوجته السيدة هاجر وابنه الرضيع سيدنا إسماعيل فيها، فرفع قواعد البيت، فظلت هذه المدينة مركزاً للمدن المجاورة، بل للعالم كله، وأقامت ذريات سيدنا إسماعيل عليه السلام فيها، وبعضها انتشرت في المناطق القريبة منها، وأخيراً سكن قريش هنا، فصاروا مسئولين عنها، ثم ولد فيها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في قريش، وقضى ثلاثة وخمسين عاماً من عمره، فظلت مكة مركز قدسية واحترام في جزيرة العرب بسبب الكعبة المشرفة، وكان العرب يطوفون الكعبة ويزورونها قبل ألفين وخمس مأة عام من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

كان عمران مكة من قبل في الخيم، ولما انتقل إلى مكة أحد أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قرنين من الهجرة، من الشام، بدأت عمارة المباني بمشورته، ونظم مجتمع مكة ومسئولياتها الاجتماعية والدينية، وتقلد بها قصي بن كلاب، فنالت قريش عظمةً وفخاراً بين الناس، واختصت بهم هذه المسئوليات، ومنذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم تطورت مكة تطوراً كثيراً، فصارت الآن أكبر وأهم عواصم العالم الإسلامي.

إن الجزء الشمالي الشرقي لمكة مرتفع، ويُعرف بالمعلاة، توجد فيها مقبرة شهيرة وتاريخية، وهي تتصل بالحجون وكداء، يُسنُّ الدخول في مكة من المعلاة، ولا يزال يدفن فيها من العهد الأول إلى يومنا هذا أهل مكة، وفي مقابل المعلاة من الجزء الغربي الجنوبي لمكة حي المسفلة، يسيل منه السيل الجارف من المعلاة، والجزء الشرقي لمكة يشتمل على جبل الخندمة، الذي يسكن في سفحه بنو هاشم، وهو في شمال جبل أبي قُبيس، وفي الجزء الغربي لمكة جبل عمر، وفي الجزء الغربي الشمالي موضع كدي، يسنُّ منه الخروج من مكة المكرمة.

وإن المناطق التي تقع في شمال الحرم تُسمّى بالشامية، وفي مقابلها حي جياد (وفي لغة أجياد) الشهير في جنوب الحرم الشريف، وهو أعلى أحياء مكة المكرمة، وفي جانبه جبل مكة الشهير جبل أبي قُبيس، وفي وسط مكة موقع المسجد الحرام.

المسجد الحرام:

وهو مبنى شامخ، في وسطه الكعبة المقدسة، بين الكعبة المقدسة ومبناها ساحة واسعة، يؤدي فيها المصلون الصلاة متوجهين إلى الكعبة، وهناك جدار في صورة هلالية على مسافة ذراع ونصف في شمال جدار الكعبة المقدسة، يعرف داخله بالحطيم، ويسمى ذراعان بين الحطيم والكعبة المقدسة بحجر إسماعيل، وهما جزء من الكعبة، خارج من المبنى الموجود، وحول الحطيم والكعبة المقدسة فناء مثقف واسع، يُعرف بالمطاف، الذي يُطاف فيه للكعبة، وفي جزء من المطاف على جهة باب الكعبة بئر زمزم، وقرب جهة باب الكعبة مقام إبراهيم، وعلى الجانب الشرقي قرب باب الكعبة ألصق الحجر الأسود في ركنه، وإن الجدار الذي يمتد من صفح البيت إلى ركن الحجر الأسود يُسمّى بالملتزم، وعلى جوانب فناء المسجد من كل جهة صالونات كبيرة، حوالي أربعة أو ثلاثة، وإن مساحة الحرم المكي الحالية من كل جانب حوالي: ثُمن ميل (Furlong).[1]

---

[1] المسجد الحرام عبر العصور

عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم:

كان المسجد الحرام صغيراً، ولم يكن عليه جدار ، إنما كانت الدور محدقة به، وبين الدور أبواب يدخل الناس بها من كل ناحية، فضاق على الناس المسجد، فاشترى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – دوراً فهدمها، وهدم على قوم أبوا أن يبيعوا، ووضع أثمان دورهم في بيت المال حتى أخذوها بعد، ثم أحاط

عليه جداراً قصيراً، وقال لهم عمر: "إنما نزلتم على الكعبة فهو فناؤها، ولم تنزل الكعبة عليكم" كان ذلك سنة سبع عشرة للهجرة عندما اعتمر عمر وأقام بمكة عشرين يوماً.

ثم كثر الناس في زمن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – فوسع المسجد، واشترى من قوم، وأبى آخرون أن يبيعوا فهدم عليهم، فصيّحوا به فدعاهم فقال: إنما جرأكم علي حلمي عنكم فقد فعل بكم عمر هذا فلم يصيح به أحد، فاحتذيت على حلمي عنكم فقد فعل بكم عمر هذا فلم يصيح به أحد، فاحتذيت على مثاله فصيحتم بي، ثم أمر بهم إلى الحبس حتى كلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فتركهم.

وقد كانت زيادة عثمان بن عفان – رضي الله عنه – سنة ست وعشرين للهجرة. (راجع أخبار مكة للأزرقي وتاريخ الطبري والكامل لابن الأثير).

زيادة عبد الله بن الزبير:

ثم وسع عبد الله بن الزبير – رضي الله عنهما – المسجد من جانبه الشرقي، وهو أعلاه مما يليه من جانبه الشامي، ومن جانبه اليماني، وكان مما وسع به في الجانب الشرقي نصف دار الأزرقي جد الأزرقي صاحب كتاب "أخبار مكة"، اشترى ذلك ببضعة عشر ألف دينار.

زيادة ابي جعفر المنصور:

ثم وسعه أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس، من جانبه الشامي ومن جانبه الغربي.

وكان ابتداء التوسعة في المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة، والفراغ منه في ذي الحجة سنة أربعين ومائة، وكان الذي زاد عليه المنصور النصف مما كان عليه قبل. (راجع شفاء الغرام للفاسي، ٤٢٦/١).

زيادة المهدي:

ثم وسعه المهدي بن أبي جعفر المنصور، من أعلاه، ومن الجانب اليماني، ومن الموضع الذي انتهى إليه أبوه في الجانب الغربي.

وكانت توسعته له في مرتين: الأولى سنة إحدى وستين ومائة، وفيها زيد فيما زاده أبوه رواقان.

والثانية سنة سبع وستين، وكان أمر بها لما حج حجته الثانية في سنة أربع وستين، ولم تكمل هذه الزيادة إلا في خلافة ابنه موسى الهادي، لمعالجة المنية للمهدي.

وأنفق المهدي في توسعة المسجد الحرام وعمارته أموالاً عظيمة المقدار، لأن ثمن كل ذراع مكسر دخل في المسجد: خمسة وعشرون ديناراً، وثمن كل ذراع مكسر دخل في الوادي: خمسة عشر ديناراً، ونقل إليه أساطين الرخام من الشام وغيرها، حتى أنزلت بجدة وحملت منها على عجل إلى مكة، إلى غير ذلك من الأمور التي عظمت فيها نفقته. (راجع شفاء الغرام للفاسي، ٤٢٧/١).

زيادة دار الندوة:

ثم كانت زيادة دار الندوة فقد كتب الساعي فيها إلى وزير المعتضد العباسي – عبيد الله بن سليمان بن وهب – يحسن له أن يجعل ما بقي من دار الندوة مسجداً، ويقول له: إن هذه تكرمة لم تهيأ لأحد من الخلفاء بعد المهدي. وقد سأل الساعي في دار الندوة قاضي مكة: محمد بن أحمد المقدمي، وأميرها عج بن حاج (مولى المعتضد) أن يكتبا فيها – أي دار الندوة – بمثل ما كتب، فكتبا فعرضت كتبهم على المعتضد، فأمر المعتضد بعمارة دار الندوة مسجداً يوصل بالمسجد الكبير، وأخرج لذلك مالاً عظيماً، فأخرجت القمائم من دار الندوة، وهدمت، ثم أنشئت مسجداً من أساسها بأساطين وطاقات وأروقة مسقفة بالساج المذهب المزخرف، ثم فتح لها في جدار المسجد الكبير اثنا عشر باباً، وجعل لها سوى ذلك: ثلاثة أبواب شارعة في الطريق التي حولها، وجعل لها منارة وشرف، وفرغ منها في ثلاث سنين، ولعلها انتهت في سنة أربع وثمانين ومائتين. (راجع شفاء الغرام للفاسي، ٤٣٠/١).

زيادة باب إبراهيم:

أما الزيادة المسماة بزيادة باب إبراهيم، فقد كانت في عهد المقتدر بالله العباسي في سنة ٣٠٦هـ، وباب إبراهيم في الجانب الغربي من المسجد. وهذه الزيادة هي ساحة الأرض، تقع بين باب الخياطين وباب بني جمح، فجمع بينهما، وأدخلت هذه الساحة في المسجد الحرام، وجعل عوض البابين باب كبير يسمى "باب إبراهيم". (وإبراهيم ليس المراد به الخليل عليه السلام، بل كان خياطاً يجلس قبل هذا الباب فعرف به، منائح الكرام، ١٨٦/٢).

إلى هنا ينتهي عمل الخلفاء العباسيين في عمارة المسجد الحرام، وما وقع بعد ذلك في المسجد هو تعمير وإصلاح وترميم إلى عهد السلطان سليم عام ٩٧٩هـ.

عمارة السلطان سليم:

كان وقع في المسجد الحرام حريق سنة ٨٠٢هـ في مدة السلطان برقوق سلطان مصر، فعمره السلطان برقوق وسقفه بالخشب والساج كما كان، وتكرر فيه الترميم والإصلاح، وصار فيه وهن وخراب، فعرض ذلك على السلطان سليم، فصدر أمره بهدمه وتجديده، وأن لا يسقف بالخشب، بل يجعل سقفه قبباً، فكان الشروع في ذلك سنة٩ ٩٧هـ قبل إتمام التعمير، فأتمه ابنه السلطان مراد الثالث، وكان الفراغ من تعميره سنة ٩٨٤هـ. (ملحق رقم (١) من كتاب أخبار مكة للأزرق ، طبعة دار الثقافة).

توسعة المسجد الحرام في العهد السعودي

أظهرت الحكومة السعودية منذ قيام دولتها، اهتماماً بالغاً، ورعاية فائقة، بشئون الحرمين الشريفين، وربما كان أكبر دليل على ذلك، التوسعات التي تمت في العهد السعودي، سواء كان ذلك في الحرم المكي، أو المسجد النبوي.

وقفت مساحة المسجد الحرام عند الحد الذي بلغته منذ (١٠٦٩) عاماً في عهد المقتدر بالله، ولكن البناء حوله لم يتوقف، وأخذ يزحف تجاهه حتى اتصلت به المنازل ولصقت به، وكذلك الحال بالنسبة للمسعى، فقد فصلت المباني بينه وبين المسجد الحرام، وأصبح طريقاً ضيقاً تحيط به الحوانيت، وترتفع فوقها المنازل طبقات.

بدأ المسجد الحرام يضيق بالوافدين في مساحته المحدودة، فلم يعد عدد

الحجاج كما كان أيام كانت المواصلات بالدواب والمراكب الشراعية، ولكنه تضاعف أضعافاً كثيرة نتيجة التطور المذهل في وسائل المواصلات، فتحولت إلى السيارات الحديثة، والطائرات النفاثة، والبواخر الضخمة السريعة، وضاق المسجد بهذه الأعداد الضخمة، وكلما مرت الأعوام زادت أعداد الحجاج وزاد اشتداد الزحام، وزاد شعور من في مكة – سكاناً وحجاجاً – بهذا الضيق.

الشروع في التوسعة:

كانت البشارة بالشروع في التوسعة لما أعلن انتهاء العمل الأساسي في توسعة المسجد النبوي التي كان العمل يجري فيها منذ عام ١٣٧٠هـ ، ففي تلك المناسبة أذيع بلاغ رسمي، جاء فيه أنه قد صدر الأمر بأن تنقل جميع الآلات والمعادات التي استخدمت في مشروع توسعة الحرم النبوي إلى مكة المكرمة للشروع فوراً في مشروع توسعة المسجد الحرام ، وقد أذيع هذا البلاغ يوم ٥ محرم عام ١٣٧٥هـ.

التوسعة الأولى عام (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م):

اهتم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود – طيب الله ثراه وجزاه عن الإسلام خير الجزاء – بشؤون الحرمين الشريفين اهتماماً كبيراً، وانطلاقاً من هذا الاهتمام أمر بترميم المسجد وشمل ذلك:

ترخيم الحرم وتجديد الأسبغة فيه، وإصلاح الأبواب، وأرضيات الأروقة، وهو أول من رصف شارع المسعى، وجدد مظلته (أول من عمل مظلة على شارع المسعى الملك الشريف الحسين بن علي سنة ١٣٣٩هـ)، وكانت أول توسعة في العهد السعودي في عهد الملك سعود بن عبد العزيز، فهدمت البيوت على جانبي المسعى بطابقين، وجعل في الطابق الأول حاجز قليل الارتفاع يفصل بين المسارين: مسار السعي من الصفا إلى المروة، ومسار العودة من المروة إلى الصفا. وجعل للطابق الأول ستة عشر باباً، ومدخلان للطابق الثاني أحدهما عند الصفا، والآخر عند المروة، ثم هدمت المباني في الناحية الجنوبية، وتم بناء الرواق الجديد بطابقيه الأول والثاني، وبنيت طبقة من البدرومات تحت التوسعة دون المسعى، ثم تمت التوسعة في الجانبين الغربي والشمالي، فتم فيهما مثل ما تم في القسم الجنوبي، وزيد عدد الأبواب فأصبحت واحداً وخمسين باباً، بين صغير وكبير، وأنشئت سبع منائر عوضاً عن المنائر السبع القديمة التي هدمت في التوسعة، وقد بلغت الزيادة في التوسعة السعودية الأولى ١٥٣٠٠٠ متر مربع، وتبلغ مساحة المسجد ١٨٠٨٥٠ متر مربع، وبذلك تكون مساحة المسجد قد تضاعفت ست مرات، فقد كانت المساحة قبل هذه التوسعة ٢٧٨٥٠ متر مربع فقط.

وقد جاء بناء التوسعة قوياً وجميلاً، حيث حشيت الجدران بالمرمر، السقوف والعقود بالحجر الصناعي، ليكون المسجد الحرام تحفة معمارية رائعة.

توسعة الملك فهد بن عبد العزيز بن آل سعود حفظه الله

(١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م)

اهتم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود حفظه

الكعبة المقدسة:

الكعبة المقدسة في وسط المسجد الحرام، شكلها مثل حجرة واسعة، ومبناها مرتفع وقريب من التربيع، وارتفاعها ١٥/ متراً، وفي جهتها الشرقية قرب الركن الشرقي بابها المذهّب، وهو مرتفع عن الأرض بأحد عشر شبراً ونصف شبر، للكعبة أربعة أركان:

١. الركن العراقي في الشمال
٢. الركن الشامي في الغرب
٣. الركن اليماني في الجنوب
٤. ركن الحجر الأسود في الشرق، وركن الحجر الأسود هو

الله بالحرم اهتماماً عظيماً، وبذل فيه بذلاً سخياً، وشملت مشروعاته التي نفذت نوعين:

١. التحسين والتجميل والتجهيز.
٢. زيادة مساحة المسجد الحرام.

وبالنسبة لزيادة المساحة فقد تمت زيادة الناحية الغربية، وهي تمتد من باب الملك عبد العزيز إلى باب العمرة، وذلك بطابقين وبدروم، كما مهد سطح المسجد للصلاة فيه، ويعتبر زيادة حقيقية للمساحات التي يصلي فيها حين يستوعب أكثر من ٨٠,٠٠٠ مصل، بعد تحسينه وإعداد ثلاثة مبان للسلالم الكهربائية المتحركة، كأنه أضيف دور ثالث على الطابقين السابقين في التوسعة، وقد شملت التوسعة مدخلاً رئيساً هو باب الملك فهد و(١٤) مدخلاً فرعياً ومدخلاً للبدروم، ويصبح بذلك عدد المداخل الرئيسة للمسجد الحرام أربعة، وعدد المداخل الفرعية أربعة وخمسون بجانب ستة مداخل للبدرومات، والمداخل العلوية للطابق الثاني والسلالم الكهربائية.

وأضيفت مئذنتان جديدتان تشبهان المآذن السبع السابقة.

وقد بلغت مساحة الزيادة ستة وسبعين ألف متر مربع (٧٦,٠٠٠ متر مربع)، وهي ثلاثة أمثال مساحة المسجد الحرام قبل الزيادة السعودية الأولى ومعنى ذلك أن التوسعتين السعوديتين: الأولى والثانية ضاعفتا مساحة المسجد الحرام تسع مرات، هذا، وقد أضيفت مساحات جديدة للمصلين من الناحية الشرقية للمسجد الملاصقة للمسعى، وتعرف بالساحة الشرقية، وتقع أسفل جبل أبي قبيس "القصور الملكية"، وتبلغ مساحتها حوالي أربعين ألف متر مربع، وقد تم تجهيزها بكافة ما يحتاجه المصلون، هذا بالإضافة على مساحات واسعة من الناحية الجنوبية والغربية مبلطة بالرخام الأبيض، ليتخذها الناس مصلى عند ازدياد عدد المصلين خصوصاً أيام الحج.

(تاريخ مكة المكرمة : ٨٩ – ٧٩، إعداد جماعة من الجماعة، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى رجب ١٤٢٣هـ – سبتمبر ٢٠٠٢ م).

الركن الذي التصق به الحجر الأسود.

زمزم:

وعلى جهة شمال شرقي الكعبة المقدسة عين للماء داخل المسجد الحرام، وهي زمزم، فجَّرها الله تعالى بفضله وكرمه، نظراً إلى ظمأ إسماعيل عليه السلام، وهي باقية حتى الآن، بل لا تزال تتطور، يوجد قليل من الملاحة في ماء زمزم، نتيجة للآثار المعدنية، وماؤها مبارك، ومفيد للمعدة، وصحي للبدن، يشرب ماءه أهل مكة، ويُحمل إلى مناطق مختلفة في العالم.

المسعى:

المسعى مكان للسعي، والسعي ركن مهمٌ للحج، والمسعى طريق بين جبلين: الصفا والمروة، في شرق بيت الله، والصفا في رأس جنوب الشرق، وهي في سفح جبل أبي قبيس، والمروة في رأس شمال الشرق، لم يبق الآن جبلا الصفا والمروة بتمامهما، وقد امحت آثارهما بالشق والقطع، إلا أن موضعهما ما زال باقياً، وقد صنعت فيه عدة معارج وسلالم، ومسافتهما حوالي ثمن ميل ونصف، وقد اختلفت السيدة هاجر أم سيدنا إسماعيل عليه السلام إليهما مراراً في البحث عن الماء، ففجَّر الله تعالى عين زمزم المبارك، وقد وضع العرب صنمين عليهما قبل الإسلام، فصنم الصفا إساف، وصنم المروة نائلة، ينذر العرب لهما النذور، ويقربون القرابين، ويسعون بينهما في الحج أيضاً، وقد أزيل هذان الصنمان بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، لكن المسلمين تحرجوا في السعي بينهما نظراً إلى تاريخهما الماضي، فلما أمروا بالسعي بينهما بقوله تعالى: إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا. (البقرة: ١٥٨) استمر سعيهم، ولم يشعروا بأي حرج فيه.

دار الندوة:

انضمت الآن دار الندوة إلى داخل المسجد الحرام، وموقعها داخل باب الزيادة، وكانت دار الندوة مجلس الشورى قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، يجلس فيها صناديد قريش ويتشاورون فيما بينهم، ويصدرون أوامر قاطعة، وهذا الموضع على جهة المحلة الشامية، أنشأ هذا المجلس جد قريش قصي بن كلاب.

جبل قعيقعان:

وهو جبل مكة المشرف على المسجد الحرام من الشمال الغربي، يُسمّى هو وجبل أبي قبيس بالأخشبين، ويُعرف جزء من جبل قعيقعان بـ "جبل هندي" أيضا.

جبل أبي قبيس:

يقع هذا الجبل على الجهة الشرقية من الحرم المكي، صعد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجَّه كلمةً إلى قريش.

الحجون:

جبل يتصل بالمعلاة، فسمِّي الحي الذي يقع أمامه بالحجون، وكان عُمران مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى هنا.

كداء:

شعب يتصل بالحجون، يأتي من خارج مكة إلى داخله، يُعرف بكداء، ويستحب الدخول منه في مكة للحج والعمرة، دخل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح.

كُدي:

شعب في غرب جبل قعيقعان، على طريق يذهب إلى التنعيم، وفي شماله ذو طوى، ومحلته الشبيكة، يُستحب الخروج منه للعائدين من الحج والعمرة، وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من هذا الطريق.

الصفا:

على جهة شرقي الحرم الشريف وبيت الله رأس جبل أبي قبيس الذي يقع بين الحرم والبيت، وهو حد من حدود المسعى، وقد تحوَّل هذا الجبل إلى صخور فقط.

المروة:

بقي رأس الجهة الغربية من جبل قعيقعان، الذي يقع في شمال شرقي الحرم، وهو حد من حدود السعي، وقد بقيت منه الآن عدة صخور.

ذو طوى:

بئر في شمال جبل قعيقعان وكدي، كان هذا الموضع خارج مكة وقت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وتقع الآن عند جرول

والزاهر من أحياء مكة الخارجية. وقد بات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة قبل الدخول في مكة في حجة الوداع، وتتجه شوارع كداء على جهة الشمال إلى مكة المكرمة.

جبل عمر (جبل النوبي):

هذا جبل في جنوب غربي الحرم، يُعرف بجبل النوبي أيضاً، كان منزل سيدنا عمر رضي الله عنه في جنبه.

الغزة:

هذا الحي على شمال شرقي الحرم أمام جبل أبي قبيس بجهته الثانية، يتصل بجبل الخندمة، وفي جنبه حي سوق الليل.

سوق الليل وشعب عامر:

هذا الحي قرب جبل الخندمة، متصل بالغزة، كانت فيه منازل آل هاشم وعبد المطلب، ويقع في شماله شعب عامر.

شعب أبي طالب:

شعب في شعب عامر، حُوصر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات، ويُسمَّى شعب علي.

المولد النبوي:

منزل في سوق الليل، قرب الغزة، أقيمت فيه مكتبة مكة المكرمة، وفي شرقه جبل.

مولد علي بن أبي طالب:

هذا الموضع على ارتفاع قليل من الجبل قرب المولد النبوي.

دار خديجة ومولد فاطمة:

كانت دار خديجة على الجهة الشرقية من المروة بين سوق الليل والمروة، تُسمى زقاقها بزقاق الحجر، والصاغة والعطارين، أقام فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ عقد القران مع السيدة خديجة (رضي الله عنها) إلى هجرة المدينة المنورة، وولدت فيها بنته السيدة فاطمة وأخواتها رضي الله تعالى عنهن.

دار أبي بكر:

كان منزل سيدنا أبي بكر الصديق في حي زقاق الحجر، زقاق العطارين، الذي كان فيه بيت خديجة رضي الله عنها، وكان لأبي بكر منزل آخر، يقع في زقاق البخاري من المسفلة.

مولد حمزة:

جبل على جنوب غربي الحرم قرب جبل عمر، وبني الآن هنا مسجد حمزة.

مولد عمر:

في سفح جبل عمر رضي الله عنه، يُسمَّى هذا الجبل بجبل النوبي أيضاً.

دار العباس بن عبد المطلب:

كانت في شرق الحرم الذي يوجد فيه الآن العلم الأخضر للمسعى.

بنو مخزوم:

هذه الأسرة في منطقة باب الصفا، ويسمَّى باب الصفا بالنسبة إليها باب بني مخزوم، وكان خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل، رضي الله عنهما من بني مخزوم.

دار الأرقم:

كانت دار الأرقم منزل عبد الله بن الأرقم المخزومي، متصلةً بالحرم المكي في سفح الصفا، كان يجتمع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون، وسمِّي من بعد بدار الخيزران أيضاً.

بنو جمح:

سكن بنو جمح قرب باب الزيادة (الباب الشمالي للحرم) وسمي هذا الباب بهم بباب بني جمح.

بنو سهم:

سكن بنو سهم عند باب العمرة غرب الحرم الشريف، وينتمي إليهم سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه.

بنو شيبة:

سكن بنو شيبة عند باب السلام شرقي الحرم المكي، وقد سُمّي باب السلام بباب بني شيبة، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرم المكي في الحج من باب بني شيبة (باب السلام)، وخرج من باب مخزوم (باب الصفا)، وكان بنو شيبة حاملي مفتاح الكعبة المقدسة.

بنو أمية:

سكن بنو أمية قرب باب العطارين من الحرم، متصلاً بالمروة، وكانت دار أبي سفيان فيه، كما كان حي زقاق العطارين قريباً

منها.

جبل ثور:

جبل ثور هو الجبل الشهير الذي بات في غاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال متواليات، يقع على بعد من ثلاثة أميال في شرق جنوبي مكة، ينشق شارع من المسفلة إلى هذا الجبل، وهذا الجبل من أشمخ جبال هذه المنطقة، وقيل: إن ارتفاعه ميل كامل، وجبل ثور على ذروة منه.

جبل النور وحراء:

إن جبل النور الذي يوجد فيه غار حراء، يتحنث فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل نبوته، إن جبل النور على مسافة ميل ونصف في شمال مكة في طريق الطائف، ويلوح جبل النور واضحاً في جبال مكة، ويُرى جبل ثور من بُعد.

إن سكان مكة تتنوع أجيالهم، العرب القدماء هنا قليل الوجود، إلا أن هناك أسرة زكية في مكة، وحاملة مفتاح الكعبة المقدسة، تسمى بالأسرة الشيبية.

منى:

يقع منى على مسافة ٤ – ٥/ كم من مكة المكرمة، وبه الجمرات الثلاث، التي يرميها الحجاج أثناء إقامتهم في منى، لما أمر الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل أراد الشيطان أن يغويه في ثلاثة مواضع، فتُرمى الجمرات الثلاث تذكاراً له، وهذا العمل دليل على رمي الشيطان، وهذه الجمرات الثلاث في هذه المواضع.

منى موضع غير مسكون فيه، يكتظ بالحجاج في ثلاث أو أربع ليال، يصل إليه الحجاج صباحاً في الثامن من شهر ذي الحجة، فتبتدئ منه شعائر الحج، وتنتهي فيه في الثاني عشر والثالث عشر أيضاً، أهم مواضع منى مسجد الخيف، وهو مسجد مربع ذو مظلة مفتوحة، صنعت في وسطه قبة، هذا هو الموضع الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويذبح الحجاج أضاحيهم في منى، وسُمّي منى، لأنه يمنى فيها الدماء، وقد قدم فيه سيدنا إبراهيم عليه السلام تضحية ابنه الحبيب امتثالاً لأمر الله تعالى، ثم خلّد الله تعالى ذكره، يحف بمنى جبلان من الجنوب والشمال، يعرفان بالأخشبين.

عرفات:

وهو واد واسع كبير أو ساحة على مسافة ٢١/ كيلاً من مكة المكرمة، ليس فيه عمران ولا مبنى، تحف به الجبال من ثلاثة جوانب، وفي وسطه على جهة الشمال جبل الرحمة، قيل: إن آدم وحواء قد التقيا هنا، فسُمّي هذا اللقاء بعرفة، وصار هذا الموضع عرفات، وردت في وجه تسمية عرفات أقوال كثيرة أيضاً، يجتمع هنا الحجاج خاصة في التاسع من شهر ذي الحجة، وقد اشترط وقوف عرفات لصحة الحج، وهنا مسجد، يسمى مسجد نمرة، ورد في الحديث أداء صلاتي الظهر والعصر هنا جمعاً، فتؤدى صلاة العصر مع صلاة الظهر بالجماعة جمع تقديم، ويخطب الإمام، ويؤم الناس جمعاً لصلاتي الظهر والعصر، ومسجد نمرة في غربي ساحة عرفات، ويليه وادي عرنة، وهو خارج من حدود عرفات.

المزدلفة:

موضع بين منى وعرفات، يُسمَّى بالمشعر الحرام أيضاً، قال الله تعالى: فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ. وهنا مسجد، ويؤدي الحجاج في المشعر الحرام صلاتي المغرب والعشاء جمعاً.

بطن محسر:

شعب بين المزدلفة ومنى، يُسمَّى بطن محسَّر، وقد أمر الحجاج بأن يمروا به مسرعين، قيل: قد نزل العذاب على أصحاب الفيل في هذا الموضع.

جبل ثبير:

أمام منى والمزدلفة، يسمّى ثبيراً، ذكره امرؤ القيس في معلقته: وهو جبل مشهور:

كَأَنَّ ثُبَيراً في عَرَانِينِ وَبْلِهِ
كَبِيرُ أُنَاسٍ في بِجَادٍ مُزَمَّلِ

التنعيم:

موضع في شمال الحرم المكي على مسافة ٦/ كيلو مترات، تمرُّ به حدود الحرم في جانب، ويقطعه شارع المدينة المنورة من مكة المكرمة أيضاً، ويُحرم الحاج أو المعتمر الذي يدخل منه في حدود الحرم، وهو أقل مسافة إلى حدود الحرم.

سَرِف:

واد على مسافة ١٢/ كيلاً، ورد ذكره في كتب السيرة والتاريخ كثيراً، هنا قبر أم المؤمنين السيدة ميمونة، وهو موضع في الطريق الذي يتجه إلى المدينة المنورة، ورد ذكره في الكتب باسم "بطن نعمان".

الحديبية جبل الشميسي:

موضع في طريق جدة على الجانب الغربي، بمسافة ٢١ — ٢٢ كيلاً من مكة، يقع شمال غربي مكة، هنا جبل الشُميسي، وهو يُعرف بالشميسة أيضاً، تبتدئ من هنا حدود الحرم أيضاً، يُحرم فيه المحرمون، هذا هو الموضع الذي صالح فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً عام ٦/ من الهجرة، ورجع بغير أداء الحج، وتعرف هذه المعاهدة بصلح الحديبية. كانت هناك شجرة، بايع تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان، حينما سمع أن قاصده إلى قريش سيدنا عثمان بن عفان قد استشهد في مكة المكرمة، قد قطع هذه الشجرة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لئلا يجعلها الناس موضع عبادة وسجود، وقد ألقى هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمه أيضاً في عين، إزالة لشكوى قلة الماء.

مرّ الظهران:

منطقة ذات نخل، تغطي عدة كيلو مترات من المرّ إلى الجموم على مسافة ٢٢/ كيلاً، في شمال مكة، فيها سكان يزرعون، ويستغلون أرضها الخضراء، وترسل منها إلى مكة المكرمة خضراوات طازجة وأشياء نباتية، ويأتيها أهل مكة للتنزه والترفيه، ويسمى الآن بوادي فاطمة،[1] ويمرُّ به الشارع بين مكة والمدينة، ويُسمّى موجزاً بالمرّ، وهو أكبر واد، يتلاحق فيه واديان اثنان (النخلة الشامية والنخلة اليمانية)، وهما ينحدران من شمال الشرق.

قرن المنازل:

جبل صغير أو تلّ، يقع على شارع نجد في الجهة الشرقية، على

---

[1] لم يُنسب هذا الوادي إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها، بل نُسب إلى امرأة سرية في العهد التركي قبل قرن ونصف قرن.

مسافة ٤٥/ كيلاً من مكة المكرمة، وهو ميقات أهالي نجد، ويُعرف الآن باسم السيل.

يلملم:

جبل صغير من تهامة في الجنوب، يبعد عن مكة المكرمة بمأة كم، يقع هذا الجبل على طريق مكة من اليمن، وهو ميقات أهالي اليمن، والحجاج الذين يأتون من جهة اليمن، وتجاور هذا الجبل قرية باسم: السعدية.

ذات عرق:

يقع هذا الموضع على الشارع الذي يتجه إلى العراق على جهة شمال الشرق، على مسافة ١٢٠/ كيلاً، وهو ميقات أهالي العراق، ويعرف الآن باسم الضريبة.

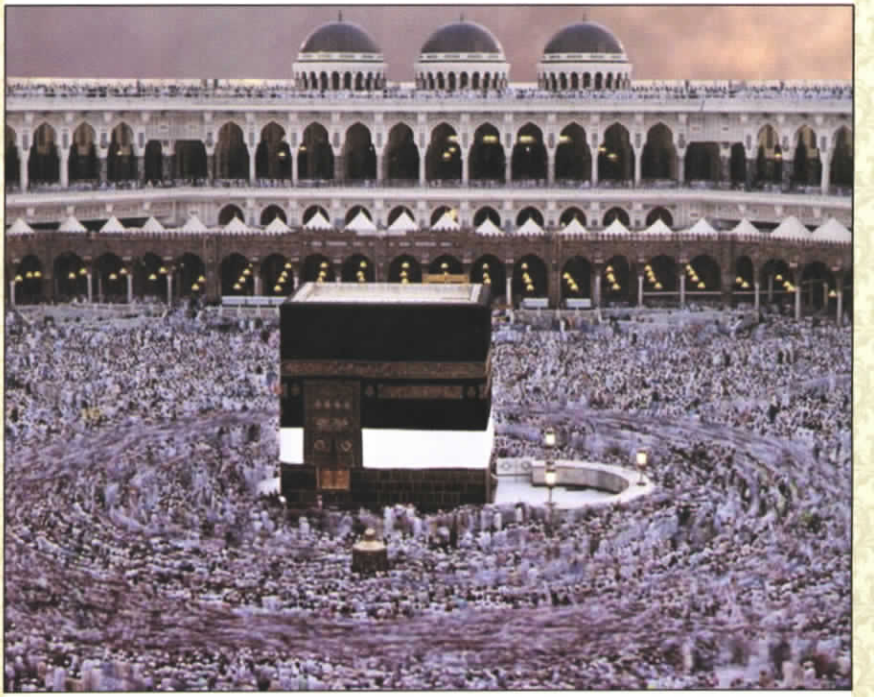

حدود الحرم المكي الشريف
موقع الشيخ عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الباب الثالث عشر

المدينة المنورة

تقع المدينة المنورة في شمال مكة المكرمة على مسافة ٤٥٥/ كم، ويحدها في غربها بحر، على مسافة مأة وثلاثين ميلاً، وميناؤ هذه المنطقة المشهور ينبوع، وتتوسط المدينة المنورة في الطريق بين مكة والشام، ويقدَّر طول بلدها مثل مكة المكرمة، أي ٣٩½ درجةً في الشرق، لكن عرضها ٢٤/ درجةً في الشمال، وعرض مكة ٢١/ درجةً في الشمال.

يثرب:

كان اسم المدينة القديم يثرب، وهي قرية في غربها، لكن يطلق هذا الاسم على البلد كله، سُمِّي هذا البلد بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ما هاجر إليه من مكة المكرمة، وتبوأه وطناً له، فهنا روضة الرسول صلى الله عليه وسلم، والمسجد الذي بناه صلى الله عليه وسلم بعد هجرته، واعتبر صلى الله عليه وسلم هذا البلد أيضاً حرماً بإذن الله تعالى، وخصَّه بأقدس المدن الإسلامية الثلاث: إحداها: مكة المكرمة، وأخراها: المدينة المنورة، وثالثتها: بيت المقدس، واعتبر أجر حسنة في هذه المدينة مقدار ألف.

المدينة المنورة بلد زراعي، وأرض خضراء بالعكس من مكة المكرمة، وفضلاً عن جهتها الغربية توجد في مختلف نواحيها جنات من نخيل وأعناب ورمان وتفاح وفواكه أخرى بكمية كبيرة، فتزرع هذه الأرض، وهي تمتد إلى أميال، ويختلف طقسها ومناخها من مكة، أي الحرارة في الصيف، والبرودة في الشتاء، بالعكس من مكة التي تشتد فيها الحرارة من المدينة أو أكثر من ذلك، وتقل فيها البرودة في الشتاء، فمن المفارقات التي تتميز بها المدينة المنورة من مكة المكرمة أنها ليست محاطة بالجبال، ومنها أن أشجار النخيل قد غرست في جوانبها الأربعة، ومنها أنها ترتفع من سطح البحر مقدار ½ ٢ ألف قدم، وهذه المدينة تقع على حدود الحجاز وتهامة، وفي شرقها هضبة للحجاز، وفي غربها ساحة طويلة لتهامة، فالمدينة المنورة تعتبر

من موقعها مدينةً حجازيةً، ومكة المكرمة مدينة تهامية، ويلقب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسبة إليهما حجازياً وتهامياً.

وبالرغم من هذا تعتبر هذه المدينة مدينة تتوافق للصحة في تهامة والحجاز، يشتد فيها الشتاء والصيف، وتقع المدينة في ساحة، تتمايل إلى صبب في الشمال، وقد أحاطتها الحرتان في الشرق والغرب، والجبلان في الشمال والجنوب، ففي شرقها حرة واقم، وفي غربها حرة الوبرة، وإن حرة الوبرة أقرب إلى المدينة من حرة واقم، وفي غرب هذه الحرة أشهر الأودية وأكبرها وادي العقيق، وتوجد آثار وملامح على هذه الحرة، ورد ذكرها في مواضع شتى من السيرة النبوية، وتتلاحق مداخل المدينة أيضاً بنواحٍ مختلفة من هذه الحرة، ولما اعتبر رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة حرماً آمناً – بوحي من الله تعالى – وضع علاماته بين هاتين الحرتين في الشرق والغرب.

جبل أحد، وسلع وعير:

وفي شمال المدينة جبل أحد، وقعت عنده غزوة أحد، وعنده قبور عدد من الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وقبر سيدنا حمزة رضي الله عنه، ويقع جبل أحد على مسافة ميلين ونصف ميل تقريباً، قال عنه صلى الله عليه وسلم: أحد جبل يحبنا ونحبه،[1] وهو على باب من أبواب المدينة.

وجبل سلع في شمال المدينة، على جهة شمالية متصلة بحرة الوبرة، وهو جبل صغير، وقد نادى رجل ببشارة توبة كعب بن مالك رضي الله عنه، وهو قائم عليه، ويجاوره جبل صغير أيضاً باسم جبل سُلَيع، وتقع عليه أبنية بني أسلم وعمرانها.

وفي جنوب المدينة جبل عَير، وهو يشتمل على جبلين أحمرين متصلين، بعضهما ببعض، يُعرف أحدهما بعَير الوارد، وثانيهما بعير الصادر، وقد اعتبر رسول الله صلى الله عليه وسلم المنطقة المتوسطة بين هذين الجبلين (جبل عير وجبل أحد) حرماً في شمال وجنوب المدينة المنورة.

وكما مرَّ آنفاً أن المدينة المنورة محاطة من جوانبها الأربعة،

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب أحد يحبنا ونحبه، عن أنس، رقم الحديث: ٣٨٥٥.

امتدت في شرقها حرة واقم، وفي غربها حرة الوبرة، وفي الشمال أرض لينة، يتصل جزؤها الغربي بحرة الوبرة، وجبل سلع في هذه القطعة اللينة من الأرض، وفي السنة الرابعة من الهجرة حفر فيها المسلمون الخندق، فضيَّقوا على الكفار طريقهم، ويسمّى هذا الحادث بغزوة الأحزاب أو غزوة الخندق، وقد حفر هذا الخندق من حرة واقم على حرة الوبرة في صورة هلالية، ويشق الجزء الخارجي من جبل سلع، وكانت جنود المسلمين في سفوح جبل سلع، وهذه القطعة المدنية تستعمل للزراعة أيضاً، فيغرس فيها الغرس والخضار، وفي جنوب المدينة بين جنوبي حرة الوبرة وحرة واقم (المنطقة التي يقع فيها جبلان عير الوارد وعير الصادر) توجد العوالي وقبا. وهما متصلتان بالحرتين في جانب، وفي جانب آخر كانت أرضهما خضراء منتجةً، فتزرع فيها النخيل والأعناب كثيراً، وكانت فيها سلسلة البساتين أيضاً.

وتوجد في المدينة المنورة أودية يقارب عددها ستةً، وهي في جنوبها، لكن واحداً منها في شمال شرقها، فيشق داخل المدينة المنورة، إلى خارجها من شمال غربها، ثم ينضم إلى وادي إضم، وينتهي إلى البحر الأحمر، ويتجه إلى المدينة المنورة من شمال شرقها قناة، ومن جنوب شرقها مهزور ومذينب، ومن غربها بطحان ورانوناء والعقيق، والعقيق أشهر الأودية في المدينة المنورة، يمرُّ بالجهة الغربية في المدينة المنورة، ولهذا الوادي دور أدبي وتاريخي، وكان هنا في الزمن القديم بيوت أغنياء المدينة التي ورد ذكرها في الأدب العربي، ويأتي إليها المترفون والأثرياء ويتفرجون فيها، وشارع مكة يمرُّ بهذا الوادي، وقد مرَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم متجهاً إلى بدر.

وفي هذا الوادي بئر رومة وزغابة وبعض أمكنة مشهورة تاريخية، وبئر رومة بئر عذبة في وادي العقيق في غرب المدينة المنورة، وكان يملكها يهودي، تصدق بها سيدنا عثمان رضي الله عنه بإيعاز من رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد أن ابتاعها، وعلى رأس شمال غرب المدينة قرب حرة الوبرة ثنية الوداع، أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها إلى المدينة المنورة مرة، فأنشدت البنات هذه القصيدة :

طَلَعَ الـبَـدْرُ عَلَـيـنَـا مِنْ ثَـنِـيَّاتِ الوِدَاعِ
وَجَبَ الشُّكرُ عَلَيْنَا، مَا دَعَـا للهِ داعِ

أيُّهَا المَبعُوثُ فِيهَا جِئْتَ بِالأَمرِ المُطَاعِ

وإن شارع جبل أحد يمرُّ بهذه الجهة، وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم تتجه شوارع المدينة الشمالية والجنوبية إلى هذه الجهة.

سكنت العمالقة والأمم الأخرى في المدينة المنورة التي يطلق عليها اسم يثرب قبل الإسلام، وكان اسم يثرب منذ عهد العمالقة، غيَّره النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة، لأن معناها لم يكن حسناً، وكان المرض يتعدى بسرعة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، فسميت بهذا الاسم، لكن لما قدم النبي إلى يثرب عرفت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتستعمل كلمة المدينة فقط، ويُعرف أيضاً باسم المدينة المنورة، وقد زالت بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم جميع الأمراض الناتجة من السموم والصيف، فلم يكن هناك سبب لتسمية المدينة بيثرب، وقد رويت أسماء عديدة لها عن النبي صلى الله عليه وسلم، يجدر منها بالذكر خاصة طيبة [1] وطابة [2] إلا أن الاسم الذي اشتهر وذاع صيته هو مدينة النبي صلى الله عليه وسلم أو المدينة، ووردت فضائل كثيرة عن المدينة، منها أن الإيمان يأرز إلى المدينة قرب يوم القيامة، كما قال صلى الله عليه وسلم: إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها.[3]

المسجد النبوي:

هو المسجد النبوي الشامخ في وسط المدينة المنورة، وهو شبه صورة مستطيلة، وفي شرق هذا المسجد وعلى رأس جنوبه الروضة المباركة، وإن الموضع الذي يتوسط في منبر المسجد والروضة المباركة (وهو جزء مهم من المسجد، وكان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أصل المسجد) وردت عنه فضائل كثيرة، واعتبره صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة،[4] وإن قبر النبي صلى الله عليه وسلم في حجرة

---

[1] سنن أبي داود، كتاب الفتن، رقم الحديث: ٤٠٧٤.

[2] أخرجه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب المدينة طابة، رقم الحديث: ١٧٧٣، عن أبي حميد رضي الله عنه.

[3] أخرجه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب الإيمان يأرز إلى المدينة، عن أبي هريرة، رقم الحديث: ١٧٧٧.

[4] أخرجه البخاري، رقم الحديث: ١١٩٦، ومسلم: ١٣٩١، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

السيدة عائشة رضي الله عنها، وهي تعرف بالروضة النبوية، وهذه الحجرة متصلة بالجهة اليسرى، تجاه قبلة المسجد النبوي، وفي شمال هذه الحجرة حجرة أخرى، ثم الصفة النبوية، هذه المواضع كلها داخل المسجد النبوي الآن، وقد جرت توسعات في حدود المسجد، فصار المسجد النبوي أوسع من ذي قبل، وهو أجمل وأفخم مسجد.

هذا المسجد أعظم وأقدس المعالم التاريخية في المدينة المنورة، وثاني المساجد في الإسلام، فالمسجد الأول المسجد الحرام، والمسجد الثاني المسجد النبوي، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن أداء صلاة فيه بألف صلاة، قال صلى الله عليه وسلم: صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام،[1] يقع هذا المسجد في وسط المدينة، بنيت في جنوب شرقه القبة الفخمة المزركشة بماء من الذهب، وعليها زخارف، ونُقشت جدران المسجد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأسماء الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وإن فناء المسجد واسع ومكشوف، قد فرشت فيه في قديم الزمان حصيات صغيرة، لكن غطي الآن بالرخام، وإن داخل المسجد قد زيِّن بالمصابيح الثمينة والسجاجيد الرائعة.

بنى هذا المسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده مع أصحابه الكرام في السنة الأولى من الهجرة، وخصَّ به الموضع الذي بركت فيه راحلته وقت الهجرة، وقد أطلقها النبي صلى الله عليه وسلم، حيثما بركت ينزل فيه، فلما انتهت إلى دار أبي أيوب، بركت به على الباب، فنزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبنى فيه المسجد، وإن الأرض التي بني فيها المسجد اشتراها النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابها.

وفي السنة السابعة من الهجرة زاد فيه النبي صلى الله عليه وسلم زيادات، وجعله في شكل مربع، ثم في سنة ١٧/ من الهجرة أدخل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعديلات، وقام بتوسعة المسجد النبوي، فكانت جدرانه من جذوع النخيل، وسقفه من الجريد، وفي

---

[1] أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، رقم الحديث: ١٣٩٤.

سنة ٢٩/ من الهجرة أعاد بناءه سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبنى جداره من الحجارة المنقوشة والجص، وسقفه من خشب الساج، وزاد توسعة المسجد من جهة القبلة (الجنوب)، ومن الجهة اليمنى وخلف ظهر المصلين، وفي الجهة اليسرى كانت حجرة النبي صلى الله عليه وسلم التي فيها قبره، فلم يزد شيئاً في هذه الجهة، وبعد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ضمت حجرات أمهات المؤمنين إلى المسجد النبوي في عهد الوليد بن عبد الملك، وكانت حجرة السيدة حفصة رضي الله عنها تجاه حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها نحو القبلة، فأدخلت في المسجد النبوي في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان على الجانب الأيمن لحجرة السيدة عائشة المسجد، وعلى الجانب الأيسر بعض حجرات أمهات المؤمنين، أدخلت بعض حجرات الجانب الأيسر في المسجد النبوي في عهد الملك الوليد بن عبد الملك، وليس هذا فقط، بل إن حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها التي فيها قبر النبي صلى الله عليه وسلم أدخلت في المسجد النبوي، وتحولت بقعتها نحو القبلة وجانبها الأيسر إلى صفوف المسجد النبوي، ثم أجرى الخلفاء والأمراء في عهودهم إصلاحات وترميمات، لكن لم يكن هناك إصلاح خاص بعد الخليفة الوليد بن عبد الملك، وقد أعاد بناءه السلطان عبد المجيد العثماني في عام ١٢٦٥م، فبنيت خمسة أبواب وخمس منارات، وعلى جهة القبلة في اليمين باب السلام، وفي وسط اليمين باب الرحمة، وفي اليسار قرب الحجرة النبوية باب جبريل، ويقاربه باب النساء، وخلف المصلين في الجهة الشمالية الباب المجيدي، ومن المنارات منارة على ناحية من الحجرة المباركة، وهي منارة رئيسية، تلوح مع القبة الخضراء، وأخراها على باب السلام، وثالثتها على باب الرحمة، ورابعتها على الباب المجيدي، والخامسة تسمّى بالسليمانية، وهي في شمال غرب المسجد النبوي، وأعيد بناء المسجد النبوي في عام ١٣٧٢م، بأمر من الملك عبد العزيز آل سعود، بحيث وسعت حدود المسجد من شماله، (وليعلم أن القبلة في جنوب المسجد النبوي)، وأضيفت إلى هذا البناء أبواب جديدة: في اليمين باب علي، وباب العزيز، وعند باب السلام مكان خوخة أبي بكر[1] باب أبي

[1] إن خوخة أبي بكر باب صغير، يُفتح تجاه المسجد النبوي، من بيت أبي بكر

بكر رضي الله عنه، وفي اليسار باب سعود، وفي الشمال باب عمر رضي الله عنه وباب عثمان رضي الله عنه، وقد أحيط المسجد النبوي من جوانبه الأربعة بالشوارع، وجعلت الأبنية مفردة وبعيدة عنها.[1]

رضي الله عنه، كان يدخل منه المسجد، وبيوت الصحابة رضي الله عنهم أيضاً لها أبواب، تُفتح نحو المسجد، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإغلاقها، إلا باب سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الذي ظل مفتوحاً مثل الأبواب المستقلة للمسجد النبوي.

[1] **المسجد النبوي في العهد السعودي**

١. التوسعة والعمارة السعودية الأولى:

ففي شهر رمضان من عام (١٣٦٨هـ /١٩٥١م) أذاع جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله تعالى بياناً أعلن فيه عزمه على توسعة المسجد النبوي الشريف، وبدأت الأعمال التمهيدية في نفس العام (١٩٥١م) فتم شراء الأراضي المحيطة بالمسجد من الغرب والشمال والشرق، وتم هدمها وتسويتها لتوسعة المسجد والشارع المحيط به، كما أزيلت الأروقة التي كانت شمال البناء المجيدي المسقوف بمساحة (٦٢٤٦م٢) وأضيفت إليها مساحة (٦٠٢٤م٢) فأصبح إجمالي المساحة المجهزة للبناء والتوسعة: (١٢٢٧٠م٢). وتقرر إبقاء القسم الجنوبي المسقوف من العمارة المجيدية ومساحتها (٤٠٥٦م٢) فتصبح مساحة المسجد بذلك (١٦٣٢٦م٢).

وبدأ البناء في نوفمبر ١٩٥٢م، واستمر البناء في عهد الملك سعود بعد وفاة الملك عبد العزيز رحمهما الله تعالى، وتمت التوسعة التي بلغت تكلفتها خمسين مليون ريال، وقام جلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود بافتتاح مبنى التوسعة في ٥/ ربيع الأول عام ١٣٧٥هـ/ أكتوبر ١٩٥٥م.

وصف المبنى:

والعمارة السعودية الأولى عبارة عن مبنى مستطيل طوله (١٢٨م) وعرضه (٩١م)، ويتكون من صحن شمال البناء المجيدي المسقوف، وقد غطيت أرض هذا الصحن بالرخام المبرد، وفي كل من الجانب الشرقي والغربي للصحن توجد ثلاثة أروقة، ويتوسط الصحن جناح يمتد من الشرق إلى الغرب، ويتكون من ثلاثة أروقة، وقد فتح في الجهة الشرقية من هذا الجناح باب الملك عبد العزيز، وفي الجهة الغربية منه باب الملك سعود، وكل منهما يتكون من ثلاثة أبواب متجاورة، وفي الجهة الشمالية من هذا الصحن جناح يتكون من خمسة أروقة، وعرض كل من هذه الأروقة ستة أمتار، وفتح في الجدار الشمالي ثلاثة أبواب.

وتمتاز العمارة السعودية بأنها أقيمت على شكل هيكل من الخرسانة المكونة من (٢٣٢) عموداً، وبلغ عمق أساسات الأعمدة والجدران سبعة أمتار ونصف.

وكان للمسجد النبوي خمس مآذن هدمت منها ثلاث، وبنيت مئذنتان في

الركن الشرقي والركن الغربي، وارتفاع كل منهما (٧٢م) فأصبح للمسجد أربع مآذن في أركانه الأربعة. (تاريخ المسجد النبوي الشريف لمحمد إلياس عبد الغني، ص: ٦٥ – ٦٨).

٢. مظلات ملك فيصل:

تكاثر عدد الحجاج والزوار، وذلك بسبب الأمان والاستقرار وأسباب الراحة التي توفرت في الحل والترحال، فضاق المسجد النبوي بأهله رغم التوسعة السعودية الأولى، فأصدر الملك فيصل رحمه الله تعالى بتهيئة أماكن للصلاة غرب المسجد، فهدمت المباني التي كانت موجودة في هذه الجهة، وعوض أصحابها بمبلغ يزيد عن خمسين مليون ريال، وأقيم مبنى مظلل بلغت مساحته (٣٥٠٠٠م٢).

وقد بدأ العمل في هذه المظلات سنة (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ، وقد أزيلت أثناء التوسعة السعودية الثانية.

٣. التوسعة السعودية الثانية:

(١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م – ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م):

وهي توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله، وتعد أضخم توسعة تمت في المسجد النبوي عبر التاريخ، ويكفي للدلالة على حجم هذه التوسعة: أن عدد المصلين زاد بهذه التوسعة تسع مرات عما كان يستوعبه المسجد بعد التوسعة السعودية الأولى، هذا بجانب روعة البناء التي تأسر القلوب، وتأخذ بالألباب، وكان هدف المشروع أن يستوعب أكبر عدد من المصلين والزوار، وخصوصاً في شهر رمضان وموسم الحج، وتوفير كل ما يريح الزائرين أثناء وجودهم في المسجد، وأن يخدم المشروع هذه الأهداف النبيلة إلى عدة قرون في المستقبل.

والحقيقة أن هذه التوسعة ليست مفخرةً للملك فهد فحسب، ولكنها مفخرة لكل مسلم يحب أن يرى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الحلة الزاهية والاتساع المريح والخدمات الميسرة، وقد قام الملك فهد بن عبد العزيز بوضع حجر الأساس لهذه التوسعة في يوم الجمعة (١٤٠٥/٢/٩هـ) الموافق (١٩٨٤/١١/٢م)، وبدأ العمل التنفيذي في شهر محرم (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م)، واكتمل في عام (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

وصف المبنى:

وهذه التوسعة عبارة عن مبنى ضخم يحيط العمارة السعودية الأولى من جهات ثلاث، وبقي مقدم المسجد على حاله القديم، ليبقى البناء المجيدي ومعالمه واضحة، وصممت الأروقة والأعمدة والسقف وزخارفها في هذه العمارة بحيث تتناسب وتتناسق مع العمارة السعودية الأولى، فأصبح المبنيان مبنى واحداً، وغطيت الجدران الخارجية بالجرانيت.

أقيمت في هذه التوسعة ست مآذن جديدة، وتتكون هذه العمارة من البدروم، والدور الأرضي، والسطح، والدور الأرضي هو المبنى الرئيس، ومساحته (٨٢٠٠٠م٢) وقد غطيت أرضيته بالرخام، وارتفاعه (١٢,٥٥م) وبلغ عدد الأعمدة

روضة الجنة:

وهي بقعة في جهة الشمال في الصفوف الأولى في المسجد النبوي،

الكلي لهذا الدور (٢١٠٤) عموداً.

وتتباعد هذه الأعمدة عن بعضها بمسافة ٦م لتشكل أفنية بأبعاد ٦م×٦م وفي المناطق التي تعلوها القباب تبعد الأعمدة عن بعضها بمسافة ١٨م لتشكل أفنية بأبعاد ١٨م×١٨م ويوجد في التوسعة الجديدة ٢٧ فناء من هذا النوع الأخير، وهي مغطاة بقباب متحركة، وذلك للحصول على أفنية مكشوفة للاستفادة منها في التهوية والإنارة الطبيعية، عندما تسمح الأحوال الجوية بذلك (تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص: ٧٣ – ٧٥)، ويبلغ نصف القطر الداخلي للقبة ٧,٣٥م، والوزن الإجمالي للقبة الواحدة (٨٠) طناً، ويتكون الوجه الداخلي للقبة من الخشب عليه تصاميم محفورة باليد، وهناك مساحات مغطاة بورق الذهب الخالص الرقيق، أما الوجه الخارجي للقبة فهو من السراميك الألماني على قاعدة من الجرانيت، وتتحرك القباب إلكترونياً، وقد هيئت مساحات فوق السطح للصلاة تبلغ مساحتها (٥٨,٢٥٠م٢) من مساحة سطح التوسعة الكلي البالغة (٦٧٠٠٠م٢)، وقد غطيت هذه المساحات – التي هيئت – بالرخام اليوناني الخاص بالأماكن المعرضة للشمس، ويستوعب السطح حوالي (٩٠٠٠٠) مصل، وفوق السطح هناك رواق مسقوف بمساحة قدرها (١١٠٠٠م٢) وبارتفاع ٥ أمتار، وقد روعي في السقف إمكانية بناء دور ثان فوقه إذا دعت الضرورة.

ساحات المسجد:

أحيط المسجد من الناحية الجنوبية والشمالية والغربية بساحات بلغت مساحتها (٢٣٥٠٠٠م٢)، وقد غطي جزء منها برخام أبيض بارد عاكس للحرارة، والجزء الباقي مغطى بالجرانيت، وقد تمت إضاءتها بواسطة وحدات إضاءة خاصة مثبتة على (١٥١) عموداً مكسواً بالجرانيت والحجر الصناعي، وأحيطت هذه الساحات بسور، والقوة الاستيعابية لهذه الساحات (٤٣٠,٠٠٠) مصل، وتضم هذه الساحات مداخل لدورات المياه والمواضئ وأماكن الاستراحة للزوار، وتتصل بمواقف السيارات التي توجد في دورين تحت الأرض.

لم يسبقها مثيل:

إن التوسعة السعودية الثانية هي أضخم توسعة تمت في المسجد النبوي الشريف، ويكفي أن نعرف أن قدرة المسجد زادت تسع مرات عما كانت عليه بعد التوسعة السعودية الأولى، فالمسجد بعد التوسعة السعودية الأولى كان يستوعب (٢٨٠٠٠) مصل، ولكن بعد التوسعة الثانية أصبح يستوعب (٢٦٨,٠٠٠) مصل، منهم (٩٠,٠٠٠) مصل على سطح المسجد، فلو أضفنا الساحات التي تستوعب (٤٣٠,٠٠٠) مصل يرتفع مجموع عدد المصلين في المسجد والساحات حوله إلى أكثر من (٦٩٨,٠٠٠) مصل.

(تاريخ المدينة المنورة: ٦٢ – ٧٠، إعداد جماعة من الجماعة، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى رجب ١٤٢٣هـ – سبتمبر ٢٠٠٢ م).

وهي أكبر جزء للمسجد الذي بناه النبي صلى الله عليه وسلم، وفي يسارها حجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي يمينها المسجد النبوي، ولا شك أنه أقدس وأهم موضع في المسجد، قال صلى الله عليه وسلم عنها: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة،[1] وإن طولها من المغرب إلى المشرق ٧٣/ قدماً، وعرضها ٥٠/، من أهم مواضع هذه البقعة أسطوانة عائشة وأسطوانة حنانة، وأسطوانة أبي لبابة وغيرها، وفيها المحراب النبوي، حيث يصلي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحابة رضي الله عنهم، ووردت عن أسطوانة عائشة فضائل كثيرة، يصلي عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة التطوع، وقد ذكر أهمية هذا الموضع أيضاً، وقد نسبت إلى أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، لأنها ذكرت فضائلها ومكانتها، وأسطوانة حنانة هي العمود الذي كان يتكأ إليها النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة قبل أن يُصنع له المنبر، فلما صنع المنبر، وتركها بدأت تئن أنين الصبي الذي يسكن،[2] وأسطوانة أبي لبابة هي التي ربط نفسه بها أبو لبابة، ولم يفك إسارها، حتى قبلت توبته، صدر منه خطأ، ففعل هذا تأسفاً وندامة عليه.

يُستحب للزائر أن يدخل المسجد النبوي، ويؤدي ركعتين لتحية المسجد أولاً في روضة الجنة، ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم أمام المواجهة الشريفة.

الحجرة النبوية الشريفة:

إن الحجرة النبوية الشريفة التي فيها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقبر رفيقيه سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما، على جهة القبلة في الجزء الشمالي من المسجد النبوي، على مقربة من رياض الجنة، صُنعت من اللون الأصفر ومن النحاس، وعلى جهة القبلة والجانب الشمالي صالة المسجد النبوي، إلا أن هناك حجرة تُعرف بحجرة السيدة فاطمة رضي الله عنها.

طول الحجرة النبوية الشريفة ٥٣½/ قدماً، وعرضها ٥٠/ قدماً، وفوقها أربع منارات، إحداها المنارة الخضراء، التي تكون بارزة فوق المسجد النبوي كله، وقد بنى أولاً الحجرة النبوية الشريفة سيدنا عمر

---

[1] أخرجه البخاري، رقم الحديث: ١١٩٦، ومسلم: ١٣٩١، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[2] أخرجه البخاري، المناقب: ٣٥٨٤ – ٣٥٨٥.

ابن عبد العزيز رحمه الله تعالى، وحينما حدث خطر من بعض الأعداء أنهم سيصلون بواسطة النفق إلى القبر الشريف فأذيبت جدران زجاجية بالرصاص من جوانبه الأربعة عمقاً، وللحجرة أربعة أبواب، تكون مغلقة حذراً وحيطة، في الغرب باب الوفود، وفي الجنوب باب التوبة، وهو على جهة القبلة، ويقدَّم السلام قائماً أمامه، وفي الشمال باب فاطمة، وفي الشرق باب التهجد.

هذه الحجرة كانت بيتاً لعائشة رضي الله عنها، توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، واختيرت هذه الحجرة كقبر للرسول صلى الله عليه وسلم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الأنبياء يدفنون في الموضع الذي توفوا فيه، وقد أوصى سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قبل وفاته بأن يدفن في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان هذا الموضع ملكاً لابنته السيدة عائشة، فجعل قبره أيضاً قريباً منه في حجرته، ثم أرسل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل وفاته ابنه عبد الله بن عمر إلى عائشة رضي الله عنها، للاستيذان بأن يدفن في هذه الحجرة، وقال: إذا أذنت (السيدة عائشة) فلا بأس به، وإلا في مقبرة عامة المسلمين، قالت السيدة عائشة: قد خصصت هذا الموضع بنفسي، لكن أوثره اليوم على نفسي، فدفن سيدنا عمر رضي الله عنه بعد وفاته، ودفنت السيدة عائشة بعد وفاتها في مقبرة البقيع مع أمهات المؤمنين، غير أن موضع قبر في الحجرة ما زال موجوداً، ولكن سيدنا عمر رضي الله عنه لم يكن من محارم السيدة عائشة رضي الله عنها، فآثرت السيدة عائشة رضي الله عنها لدفنها مقبرة البقيع عوضاً عن هذا المكان.

فالذي يقوم أمام الحجرة الشريفة من جهة القبلة يكون أمام النبي صلى الله عليه وسلم، وانصرافاً من قدميه قليلاً قبر سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وانصرافاً كثيراً من قدميه أيضاً قبر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فالذي يمر بالمواجهة الشريفة يسلِّم على النبي صلى الله عليه وسلم أولاً، ثم على أبي بكر ثانياً، ثم على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ولدى كل مواجهة حلقة مدورة، يخرج الزائر مسلِّماً على الجميع من صالة جهة الخروج.

الصفة النبوية، ودكة الأغوات:

تقع الصفة النبوية في شمال الحجرة النبوية، هذه هي الصفة التي يقيم فيها المهاجرون الفقراء في العهد النبوي، ويُسمون بأصحاب الصفة، وهي الآن في صورة دكة، طولها ١٢/ متراً، و ٤٠/ قدماً، وعرضها ٨/ أمتار وقدمان، وترتفع من السطح الأرضي نصف متر، وأحيطت من كل جانب بالنحاس، وفي شرقها مستودع، وأمامها صُفة أخرى، صنعت

لاستراحة إمام الحرم النبوي، وهي أمامها، هذه الحجرات والأمكنة كلها في جهة واحدة، أولاها على جهة القبلة الحجرة النبوية الشريفة، ثم حجرة فاطمة، ثم دكة الأغوات.

النقا وحاجر:

وفي غرب المدينة المنورة موضع باسم النقا وحاجر، وظل هذا الموضع ذا هواء طلق، ومحبباً لدى الجميع، صنعت هنا محطة القطارات وعدة مبان، وهنا باب العنبرية، الذي يدخل منه الحجاج والزوار الآخرون عامةً في المدينة المنورة.

مقبرة البقيع:

هذه مقبرة البقيع، كان اسمها الأصلي بقيع الفرقد، والفرقد باللغة العربية موضع الآكام،[1] وكان هذا الموضع مقبرة المدينة المنورة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم حتى الآن، دفن فيها عشرة آلاف صحابي، يجدر بالذكر منهم السيدة عائشة وجميع أمهات المؤمنين إلا أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها، ودفنت السيدة فاطمة وبنات النبي صلى الله عليه وسلم الأخريات وسيدنا الحسن وعدد من آل النبي صلى الله عليه وسلم في حظيرة من هذه المقبرة، كما أن ابن النبي صلى الله عليه وسلم إبراهيم، وعمه العباس والخليفة الثالث سيدنا عثمان وعبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص، وأبا سعيد الخدري ونافعاً مولى عمر والإمام مالك دفنوا في أمكنة مختلفة من هذه المقبرة، إن طول البقيع خمس مأة قدم، كما أن عرضها ٣٣٣/ قدماً، وقرب البقيع في شمالها موضع ورد ذكره في كتب السيرة، ويُعرف بالمناصع، وينشق الآن شارع جيد من المسجد النبوي، ووسعت كثيراً مقبرة البقيع.

سوار المدينة:

وقد بني سوار للمدينة صيانةً لها في عام ٢٦٣هـ، ولم يزل باقياً، أعاد بناءه أخيراً السلطان سليمان العثماني عام ٩٤٦م، يوجد هذا السوار حتى الآن متكسراً مهجوراً، له ثمانية أبواب: الباب المصري، الباب الشامي، باب قباء، باب بُصرى، والباب المجيدي، باب

---

[1] كان هذا الموضع منطقة آكام الفرقد قبل أن يخصص بالمقبرة.

الجمعة، باب الحمام، الباب الجديد، والباب الصغير، هذا الباب قد انهدم قبل مدة.

سقيفة بني ساعدة:

هذا الموضع يتصل بالباب الشامي، ويُعد من أشهر آثار المدينة المنورة، تشاور فيه الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عن الخلافة، وانتخب فيه سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقع الآن في صورة منتزه مثلث على الجانب الغربي من المدينة.

المناخة:

وهو موضع واسع في وسط المدينة على الجانب الغربي الجنوبي من المسجد النبوي، كأنه أصبح محطةً للمدينة المنورة، وهو موقف سيارات الحجاج والزوار، ويُعرف بسوق المدينة أيضاً، وقد اعتبره النبي صلى الله عليه وسلم سوق المسلمين، قدم هنا النبي صلى الله عليه وسلم، وأشار برجله، وقال : هذا سوقكم ومتجركم.

الآبار المشهورة والماء:

في المدينة المنورة آبار عديدة أيضاً، منها تاريخية، أمثال: بئرحاء[1]، وبئر بضاعة، وبئر عروة، وبئر غرس، ولهذه الآبار ذكر في السيرة النبوية، منها بئرحاء تقع على الباب المجيدي لسوار المدينة المنورة عند الباب الشامي للمسجد النبوي، وبئر بضاعة في منزل قرب سقيفة بني ساعدة والباب الشامي، وبئر عروة على بعد ميل ونصف، خروجاً من باب العنبرية، وبئر غرس عند قباء، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعمل ماءه، فيطلبه حيناً لآخر، وهناك آبار أخرى، يرسل الماء إلى المدينة منها ومن نهر آخر، وهو معروف بالعين الزرقاء، شق هذا النهر بأمر من سيدنا معاوية رضي الله عنه في عهد خلافته على مسافة ميلين ونصف، من العين الزرقاء في قباء، ويكون ماؤها أعذب وأكثر برودة، وتشتد برودته بالهواء، وإذا صبّ الماء في جرة، ووضعت إلى أربع ساعات في هواء طلق كان أبرد مثل الثلج، ويكون أكثر

---

[1] بئرحاء، وبيرحاء كلتاهما واحدة، في المدينة المنورة، إحدى الآبار النبوية.

عذباً مع شدة برودته، هذا النهر شق من ١١ – ١٢/ عيناً، وهنا أيضاً نهر آخر بعين الشهداء، قد جف، وهما نهران قديمان تاريخياً في المدينة المنورة، وتوجد في المدينة المنورة ٢٢/ عيناً، لا تحمل مكانة مثل الأولين.

شجر النخيل:

توجد النخيل في أشجار المدينة المنورة كثيراً، ولها مأة نوع، وأجود تمور العرب تمور المدينة، تزرع فيها زراعة خاصة، يحملها الحجاج بوجه عام، مثل ماء زمزم إلى بيوتهم.

السكك الحديدية للقطارات:

قد بسط الترك من حلب إلى المدينة المنورة سكة حديدية للقطارات، صارت مهجورة الآن، وتقع محطتها فوق باب العنبرية حي الجانب الجنوبي للمدينة.

ظلت المدينة المنورة مركزاً سياسياً للعالم الإسلامي منذ هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عهد سيدنا علي رضي الله عنه، ثم صانها الله تعالى عامة من الخصومات السياسية والاعتصامات الشعبية، فلم تكن أوضاع هذه المدينة الاقتصادية والعمرانية أكثر تطوراً ومدنية في التاريخ.

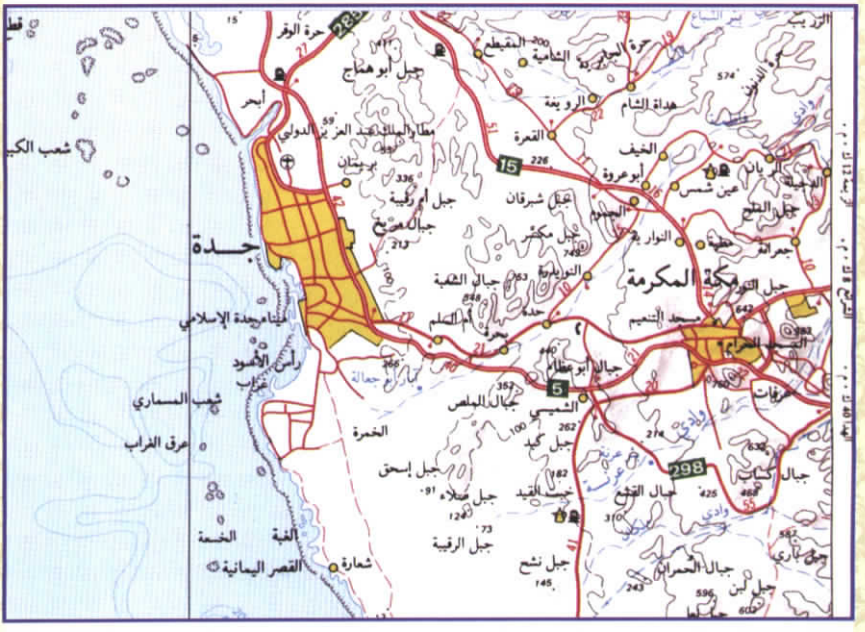
جـــدة
مكة المكرمة
المسجد الحرام
مطار الملك عبد العزيز الدولي
ميناء جدة الإسلامي
رأس الأسود
شعب السماري
عرق الغراب
الخمرة
جبل إسحق
جبل الرقيبة
جبل نشح
جبل لبن
جبل أبو هماج
جبل أم رقيبة
جبال الشعبة
جبل المليص
جبل كحيد
جبل صلاء
جبال القرع
جبال الحمراء
جبل شرقان
جبل مكحر
جبل النور
جبل الثور
جبل اللثلث
عين شمس
هداة الشام
الرويعة
القمرة
الخيف
أبو عروة
النوارية
حدة
أم السلم
الشميسي
جبال أبو عظام
الشامية
المقطع
حرة الوقر
حرة الجار
شعب الكبير
الغبة
الخمسة
القصر اليمانية
شمارة
جرانة
الشرائع
عرفات
وادي فاطمة
وادي ليمون
وادي شاري
298
15
5

آثار المدينة التاريخية وضواحيها

قباء:

على مسافة ميلين من المدينة في جهة الجنوب الغربي، يوجد فيه اخضرار كثير، وبساتين الثمار والفواكه، ومسجد، يُعرف بأول مسجد في الإسلام، ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضيلة أداء الصلاة فيه،[1] كما تناول القرآن الكريم أيضاً ذكره قائلاً: لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ، وقال عن أهل قباء: فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ. (التوبة: ١٠٨).

كان قباء آخر منزل النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته إلى المدينة المنورة، ثم دخلها، توجد على جهة القبلة قريباً من المسجد النبوي آثار بيتين: أحدهما بيت كلثوم بن هدم الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قدم قباء، وثانيهما بيت سعد بن خيثمة الذي اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم للزيارة واللقاء.

بئر أريس:

تقع بئر أريس في قباء، بشَّر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عدداً من الصحابة بالجنة، وقد سقط فيها زمن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه خاتم النبي صلى الله عليه وسلم، الذي كان يختم به هو وخلفاؤه الراشدون، وكان ماؤها ملحاً، ورُوي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قد مزج فيه لعابه، فصار ماؤها عذباً، وجفت الآن هذه البئر، فتوسعت أراضيها، وأقيم فيها منتزه.

مسجد الضرار:

اتخذ المنافقون مسجد الضرار في قباء إضراراً بالمسلمين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله، وقد استنكره القرآن الكريم في

---

[1] ورد في المستدرك للحاكم عن سهل بن حنيف رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من خرج حتى يأتي هذا المسجد، يعني مسجد قباء، فيصلي فيه كان كعدل عمرة (ج ٣/ ١٢).

سورة التوبة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدمه بوحي منه.

العوالي وسنح:

موضع على بعد قليل من شمال شرق قباء، يُعرف بالعوالي، لاصق بحرة واقم، وعلى هذه الجهة كانت قصور بني قريظة واليهود وقلاعهم، هذا الجزء من المدينة المنورة يرتفع قليلاً من سطح الأرض، وفي العوالي موضع باسم : سنح، كان فيه منزل سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومصنعه، ومسافة العوالي من المسجد النبوي الشريف حوالي ميلين.

منطقة أحد:

تسمّى المنطقة التي تلي جبل أحد بأحد، وتقع من المدينة المنورة على مسافة ميلين ونصف، ويمتد جبل أحد حوالي ثلاثة أمثال، يلوح من بعيد أنه مجموعة جبال عديدة، لونه أحمر، وقبل جبل أحد هضبة صغيرة، عيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها الرماة، وأمرهم بأن يلزموا مركزهم ويستطلعوا أحوال الكفار، وفي سفح هذه الهضبة وادي قناة، الذي اختفت فيه كتيبة من الكفار، فأغارت على المسلمين فجأة، وقد دارت رحى غزوة أحد في الوادي والساحة بين هذه الهضبة وجبل أحد، والآن في هذا الوادي مقبرة لشهداء أحد، فيها قبر سيدنا حمزة رضي الله عنه وآثار أخرى.

وقد استراح رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناحية من هذا الجبل بعد ما جُرح قليلاً، غير أنه كان يحب هذا الجبل، قال صلى الله عليه وسلم : أحد جبل يحبنا ونحبه،[1] وهو على باب من أبواب الجنة،[2] يزور رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المقبرة ويسلّم على شهدائها ويدعو لهم، وفي نواحي أحد وجدت أحياء، منها حي سيدنا حمزة رضي الله عنه.

الغابة:

وعلى بعد من ظهر جبل أحد غابة مشهورة باسم: الغابة، تبعد من

---

[1] صحيح البخاري، رقم الحديث: ٧٣٣٣.

[2] رواه البزار في كشف الأستار ج٢/٥٨، برقم (١١٩٩) وذكر إسناده السيوطي في اللآلي المصنوعة ٩٣/١، عن طريق محمد بن إسماعيل بن أبي فديك عن عثمان بن إسحاق عن عبد المجيد بن أبي عبس، عن أبيه عن جده أبي عبس بن جبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحد: هذا جبل يحبنا ونحبه، على باب من أبواب الجنة، وهذا عير جبل يبغضنا ونبغضه، على باب من أبواب النار.

المدينة المنورة حوالي ثمانية أميال، وبقيت المنطقة حتى الآن في صورة غابة، فيها خبار و وحوش من كل نوع، وقد اشتريت في عهد الصحابة الكرام بثمن باهظ، ورد ذكرها في الحديث النبوي الشريف.

زغابة:

ملتقى عدة أودية في المدينة المنورة على جنوب غرب جبل أحد، تعرف ساحته بزغابة، نزل فيها المشركون في غزوة أحد، ومروراً بهذا الموضع هجمت كتيبة المشركين على المسلمين من خلفهم في قيادة خالد بن الوليد.

وادي العقيق:

معنى "العقيق" لغة: الوادي، وفي جزيرة العرب أودية عديدة بهذا الاسم، من أهمها وادي العقيق، امتد من جنوب غربها إلى شمال شرقها، وينضم إليه سائر أودية المدينة، وموضع انضمامه إليه عند جبل أحد، ويُعرف هذا الموضع بزغابة، في هذا الموضع نزل المشركون في غزوة أحد.

يمتلئ وادي العقيق بالماء ويتدفق بعد نزول المطر في ضواحي المدينة المنورة، ويخلو من الماء تماماً مثل الأودية الأخرى بعد مسيل الماء، لكن بريه وسقيه يحمل اخضراراً خاصاً، ومتعةً للصحة، وفي الزمن القديم يشيد فيه أهل الثروة من المدينة على جوانب الوادي قصورهم، فيأتون هنا، ويتفرجون ويتنزهون، فكان وادي العقيق في آنذاك مثل حي رائع، وكان هنا عمران مستقل أيضاً، وبعض آباره تحمل شهرة تاريخية، مثل بئر عروة وبئر رومة، ظلت علاقة سكان المدينة المنورة وأهالي هذا الوادي قوية به، ورد ذكره في قصص الأدب العربي وأبياته.

ذو الحُليفة:

حي على ستة أميال في جنوب المدينة المنورة، يُعرف أيضاً بأبيار علي، وهو أول منزل كبير للقوافل المهاجرة على جنوب المدينة المنورة، نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً مراراً، وأحياناً أقام فيه يوماً كاملاً، غير أنه ميقات الحج لسكان المدينة، فيلبسون لباس الإحرام منه.

الباب الرابع عشر

بعض أهم الأمكنة في السيرة النبوية

الطائف:

تبعد الطائف من مكة المكرمة في جنوب شرقيها حوالي ٤٠ – ٤٥ ميلاً، فلم يكن هناك أيسر شارع للذهاب إليها، تمر بها السيارات، وكان شارعاً مسفلتاً وخاماً، وإن الشارع الذي يتجه إلى الطائف يمر مستديراً، فيكون طويلاً، فيقال: إن المسافة بين الطائف ومكة من هذا الشارع حوالي ١٣٦ كيلاً، وإن الشارع الرئيس إلى الطائف وإن كان قصيراً، لكنه كان وعراً، وقد شُق عليه شارع، يمر على الجبال، وهو طريق ملتو، أعني حوالي خمسة وخمسين ميلاً، أي ٨٩ كيلاً، ويأتي في هذا الطريق منى وعرفات، وقال الباحثون: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب من هذا الطريق إلى الطائف للدعوة إلى الله تعالى.

مدينة الطائف تقع على هضبة جبال السراة، وهي مدينة جبلية في الحجاز، يقدر ارتفاعها من سطح البحر حوالي خمسة آلاف قدم. وإن الجبل الذي تقع عليه هذه المدينة يعرف بغزوان، وتشبه الطائف مدينة اليمن كثيراً بالنسبة إلى الحجاز في مناخها الطبيعي وإنتاجاتها الأرضية.

وادي وجّ:

تقع الطائف في ساحة رملية، تُعرف بوادي وج، وقد أحاطته سفوح الجبال من جوانبها الأربعة، وكان اسمها القديم وج، قيل: سميت الطائف بالطائف، لأن الحيطان قد أحاطتها من جوانبها الأربعة.

إن طقس الطائف بارد ويابس، ويتوافر فيها الماء، كما أن السماء تمطر مطراً غزيراً، وقد اشتهرت بساتينها بجودة ثمارها في جزيرة العرب، ولا يزرع فيها شجر النخيل من برودة الطقس، وهو مصيف لسكان المناطق المنخفضة المجاورة بسبب برودتها، وتحمل هذه المدينة أهميةً خاصة لأهالي مكة، وكان في العهد الأول لها فضل أهمية، كما كان الآن، فكانت تعتبر كفؤاً لمكة المكرمة، فقالت قريش بلسانها كما جاء في القرآن الكريم : وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (الزخرف: ٣١) والمراد بالقريتين مكة والطائف.

ويوجد فرق كبير بين طقوس هذين البلدين، فكان الأثرياء يقضون الشتاء في مكة المكرمة، والصيف في الطائف، وقد أبدى شاعر ثراء حبيبته، وصلتها بالطبقة الأرستقراطية قائلاً:

تشتو بِمَكَّةَ نِعْمَةً وَمَصِيفُهَا بالطَّائف

وكانت ثقيف أكبر وأعظم قبيلة في الطائف قبل العهد النبوي، وكان لها صنم أيضاً، يسمى باللات، ورد ذكره في القرآن الكريم: أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّىٰ. وَمَنَاةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ (النجم: ١٩ – ٢٠)، وتُعرف الطائف ببستان مكة أيضاً، لأن ثمار مكة تستورد إلى الطائف.

تقدر نسبة سكان الطائف حوالي ٦٠ – ٥٠ ألفاً، وفي وسط المدينة أكبر مساجدها، وهو مسجد ابن عباس رضي الله عنهما، وفي يسارها قبر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وفي مقابلها في جنوب غربها قبور الشهداء المسلمين الذين استشهدوا في غزوة الطائف.

مَثناة:

بلدة صغيرة على مسافة ثلاثة أميال، أو أقل من مدينة الطائف نحو جنوب غربها، وتعتبر جزءاً من الطائف، وهي قريبة من أصل الطائف، التي كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

بُني هنا مسجدان في بستانين صغيرين، يُعرف أحدهما بمسجد علي بن أبي طالب، وآخرهما بالمسجد الحبشي، فأحد المسجدين بني في الموضع الذي استراح فيه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما جُرح، والذي قدَّم فيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم عداس مولى نصراني لعتبة وشيبة، طبقاً من العنب، وبين هذين المسجدين واد يعرف بوادي وج، يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين قد حاصروا الطائف في هذا الموضع، في غزوة الطائف، ويسمى في الطائف البستان عامة بالحائط، لأن كل بستان كان محاطاً بالحائط، فسمي بالحائط، وقد استعمل في مواضع متعددة من كتب السيرة للبستان كلمة الحائط.

جدة:

تقع جدة على ساحل البحر في الجانب الغربي على مسافة ٤٧ ميلاً (٧٥ كيلاً) من مكة المكرمة، وهي أعظم مدن الحجاز، كانت أولاً قرية صغيرة، تسكن فيها وفي ضواحيها قبيلة قضاعة قبل الإسلام،

وفي جنوبها على مسافة ١٢ – ١٣ ميلاً قرية ساحلية باسم الشعيبة، كانت ميناء هذه المنطقة أصلاً، لكنها لم تكن أحسن وأسهل ميناءً، فذكر سكانها مشاكلها ووعورتها لسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه زمن خلافته، فاختار سيدنا عثمان رضي الله عنه جدة بدلاً منها.

يروى أن سيدنا عثمان رضي الله عنه قدم إلى جدة واغتسل في بحرها، فكان هذا العمل نوعاً من الافتتاح، ورد ذكر جدة في زمن سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً، وذلك أن قريشاً لما أرادوا بناء الكعبة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا في حاجة إلى أخشاب وغيرها من الأدوات اللازمة، وعلموا أن باخرة قد اصطدمت بعاصفة وانكسرت أجزاؤها في جدة، فاشتروا هذه الأدوات، ونصبوها في بناء الكعبة.

بدأت جدة تتطور بعد ما صارت ميناءً لهذه المنطقة، فلا يوجد أكبر ميناء من جدة على الساحل الشرقي من البحر الأحمر.

يمتلئ بحر جدة بالصخور كثيراً، فلا يعرف الرُبان طرق وصول البواخر الضخمة، إلى الساحل، وإن موقع جدة لم يكن حسناً لكونها ميناءً فطرياً، لكن صار ميناء كبيراً، بقربها من مكة المكرمة، وقد جعلت مستودعات جميلة وحسنة، على مسافة ميل ونصف في البحر، فزالت مشاكل هذا الساحل، وترسو هنا كبرى البواخر البحرية.

وإن مسافة المدينة المنورة من جدة ٤٢٥ كيلاً، وإن الشارع الذي يتجه إلى مكة من جدة على الجانب الشرقي تأتي فيه أم السلم بحرة، جدة والحديبية. فإن بحرة في وسطها، وهي محطة كبيرة، والحديبية حد الحرم من هذه الجهة.

ينبوع:

وفي غربي المدينة المنورة على ساحل البحر بلدة مشهورة باسم ينبوع، تنقسم في جزئين: أحدهما: ينبوع البحر، وثانيهما: ينبوع النخل، وليست بينهما مسافة كثيرة، ومسافتها من المدينة المنورة ما بين ١٣٠ ميلاً أي ٢٢٠ كيلاً.

ينبوع النخل: يقع قريباً من ساحل البحر، ومن خصائصها بساتينها، يزرع فيها شجر النخيل، فيسكن فيها أهلها، وفي شرقها جبل رضوى.

ينبوع البحر: يقع أيضاً متصلاً بينبوع النخل، على ساحل البحر، وهو ميناء، ويُعرف بميناء المدينة، لكونه قريباً منها، ينزل فيه الحجاج في السابق.

رابغ:

عمران على ساحل البحر في شارع متوسط بين مكة والمدينة، كان هذا الساحل حسناً إلى حد كبير لإرساء البواخر، وكان فيها إمكانيات لكونها ميناء جميلاً، يبعد هذا العمران من ساحل البحر قليلاً، كما يقع بعيداً من مكة حوالي ١٩٩ كيلاً.

الجحفة:

يقع هذا الموضع من رابغ على مسافة ٢٢ كيلاً، ولا يوجد هنا عمران، كان هذا الموضع في قديم الزمان إحدى محطات للشارع المتوسط بين مكة والمدينة، وكان ميقاتاً للحجاج القادمين من مصر، حيث يلبسون لباس الإحرام فيه، وكان في شرق رابغ، وفي شرقه بأربعة كيلو مترات غدير خم.

خيبر:

بلدة معروفة، تقع في حرة في شمال المدينة المنورة، حوالي: ١٦٥ كيلاً، وكان موضعاً مشهوراً في القرن الأول، وكان عدد اليهود فيها كثيراً، وكانت لهم قلاع، فتحها المسلمون في غزوة خيبر التي ظهرت هنا بسالة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهي الآن بلدة صغيرة، ليس طقسها حسناً، فلا يرغب الناس في الإقامة فيها، ويزرع كثيراً في هذه المنطقة شجر النخيل.

الهَدى:

أول قرية على شارع مكة من الطائف، قبل عرفات، تقع على تل عالٍ، فكان ارتفاعها من سطح البحر كثيراً من الطائف، فكان طقسها جيداً وحسناً.

الوجه:

ميناء في شمال الحجاز، ويقع على ساحل البحر في غرب خيبر، وموقعه جميل، وكان ميناء المدينة المنورة قبل ينبوع.

الحناكية:

أرض ذات نخل مشهورة، في شرق المدينة المنورة، حوالي: مأة ميل، وتكون محطة لقوافل نجد والعراق في رحلتها إلى المدينة المنورة، وتعرف بنخل أيضاً، وهي في واد، وقعت فيه غزوة ذات الرقاع.

العلاء:

بلدة ذات نخل، في شمال خيبر على الجهة الشمالية، وموقعها مثل ديار ثمود، ونسبة سكانها ثلاثة آلاف.

تبوك:

يقع هذا الموضع على جهة العلاء وخيبر في شارع متوسط بين دمشق والمدينة المنورة، قصده النبي صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة من الهجرة، يقع من المدينة المنورة على مسافة ٧٧٨ كيلاً، وهنا ثلاثة ينابيع، تسقى منها بساتينها، وهو أهم موضع الآن في الجهة الغربية في المملكة العربية السعودية.

الحجر، مداين صالح:

هذا الموضع في وادي القرى على مسافة أربعة أميال من تبوك، هنا قرى قوم ثمود، قال الله تعالى في القرآن الكريم: وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (الحجر: ٨٠)، ويُعرف بمداين صالح أيضاً، يأتي ذكر هذا الموضع عن قوم ثمود ونزول العذاب عليهم.

تيماء:

قرية ذات نخل، على جانب صحراء النفوذ، تبعد قليلاً من تبوك في الشرق، كان اليهود هنا كثيراً في القرن الأول، فبالنسبة إليهم تعرف بتيماء اليهود أيضاً، قال أعرابي يعتبر نفسه مسجوناً فيها:

إِلَى اللهِ أَشْكُو لا إِلَى النَّاسِ أَنَّنِي
بِتَيْمَاءَ، تَيْمَاءِ اليَهُودِ غَرِيبُ

كان في هذه القرية قصر السموأل بن عاديا اليهودي باسم: الأبلق الفرد، الذي ورد ذكره في شعره كثيراً، وفي تيماء بساتين للنخيل وغيرها، وتعد الآن تيماء أيضاً في ولاية نجد، بدلاً من ولاية الحجاز في التقسيم السياسي.

مهد الذهب معدن الحجاز:

موضع على مسافة ٢٢ ميلاً في الشرق من المدينة المنورة، توجد فيه معادن متنوعة، ويستخرج منه الذهب أيضاً، ويعرف بالمعدن أو معدن الحجاز.

بدر:

بلدة صغيرة لها أهمية كبيرة في التاريخ الإسلامي، غزا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أول غزوة للإسلام، كان فيها عدد

المسلمين: ٣١٣، وعدد الكفار ألفاً، فنال المسلمون الفتح، وكسرت شوكة المشركين لأول مرة، وأصيبوا بفادحة عظيمة، وسمى القرآن الكريم ذلك اليوم يوم الفرقان، وقد غفر لكل من حضر في هذه الغزوة ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وسمي المسلمون الحاضرون في هذه الغزوة بأصحاب بدر، وهي صفة بارزة لهم، هذه البلدة تقع على مسافة قليلة من ساحل البحر في جنوب غرب المدينة المنورة، ومسافتها من المدينة حوالي: ١٥٥ كيلاً، وفي جنوبها تقع رابغ على مسافة ١١٨، وفي غربها موضع باسم المفرق، فالشارع الذي يتجه من المدينة المنورة إلى بدر، يخترق أحدهما من المفرق إلى ينبوع في الشمال، وثانيهما إلى مستورة ورابغ في الجنوب، وهذا الشارع الأخير يتجه إلى مكة، أغار كفار مكة من هذا الطريق في بدر، وإن المملكة العربية السعودية قد شقت طريقاً بين مكة والمدينة، وهو يمر بساحة بدر.

مستورة – ودان:

بلدة في شرق ساحل البحر بين رابغ وبدر، وكان قريباً منه ودان، ويقع على جانب من واد، وكانت في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم غزوة باسم ودان، ومسافة مستورة من رابغ أربعون كيلاً، وكان في قديم الزمان جزء من الفرع، ودان تبعد ١٢ كيلاً، في جنوب شرقها.

الأبواء:

هذا الموضع قريب من ودان، ويقع من مستورة على مسافة ٢٨ كيلاً في الشرق، فيه قبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفيت هنا راجعة من المدينة المنورة، فدفنت هنا، كانت هذه المنطقة جزءاً من الفرع، وكانت ودان في جنوبي غربها علي مسافة ٢٠ كيلاً.

الباب الخامس عشر

شوارع بين مكة والمدينة وأهم مواضعها

سنتناول المواضع التي لم يأت ذكرها مفصلة في الصفحات الماضية.

شارع من طريق جدة نحو المدينة المنورة:

جدة، ذهبان، تول، قضيمة، رابغ، مستورة، مفرق، بدر، الواسطة، الحمراء، المسيجد، ذو الحليفة، وادي العقيق، المدينة المنورة.

جدة: كان يسافر الناس من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، منذ مدة من طريق جدة أيضاً.

ذهبان: بلدة على ساحل البحر على بُعد منه في شمال جدة، وهي أول منزل في هذا السبيل، وتقع من جدة على مسافة ٥٠ كيلاً.

تول: موضع ساحلي صغير في شمال ذهبان.

قضيمة: وتعرف بالقديمة أيضاً، بلدة ساحلية في جنوب رابغ، يستعمل فيها عامة ماء المطر المجتمع في البرك، يصيد الناس هنا الأسماك عامةً، ويقتاتون منها، وهي تقع من جدة على مسافة ١١١ كيلاً.

الواسطة: منزل صغير بين بدر والمدينة المنورة، يقع في وادي الصفراء.

الحمراء: منزل في جنوب غربي المسيجد، فيه عين للماء العذب، يزرع منها النخيل والرمان والليمون والموز والخضار.

مسيجد (المنصرف): منزل قبل ذي الحليفة، يستخرج منه الماء العذب، ويشبه مناخه مناخ المدينة المنورة، وكانت مسافتها من المدينة المنورة ٨٠/ كيلاً، ويُسمى في قديم الزمان بالمنصرف.

شارع مباشر: كان الناس يسافرون على هذا الشارع في الزمن الجاهلي وعهد الصحابة رضي الله عنهم بين مكة والمدينة المنورة، والشارع الحالي المباشر إلى المدينة تتصل به بعد مسافة عدة أمكنة:

مر الظهران، التنعيم، عُسفان، قُديد، الجحفة، الأبواء، السقيا، العَرج، الرُوَيثة، الروحاء، السيالة.

عسفان: عين في شارع وسط بين رابغ ومكة المكرمة. وتقع من رابغ على مسافة ثمانين كيلاً، وقد مرَّ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجرته إلى المدينة، كما مرَّ في حجة الوداع وبعض المناسبات

الأخرى أيضاً، ومسافتها من مكة المكرمة ١٠٣/ كيلو مترات.
قديد: بلدة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقعت من رابغ على مسافة ٦٠ — ٧٠ كيلاً.

وكان هنا صنم مشهور باسم مناة، يعبده سكان المدينة بوجه خاص. قال الله تعالى: أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ. وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ (النجم: ١٩ — ٢٠). وقد مرَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجرته إلى المدينة.
السنيا: بلدة في منطقة فرع، وقعت على مسافة ١٥ — ٢٠/ من الجحفة، وهنا أرض ذات نخل، واسمها الحالي أم البرك.
العرج: شعب بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، تنزل فيه القوافل، مرَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجرته إلى المدينة المنورة وحجة الوداع.
الرويثة: منزل بعد العرج، فيه ماء، تنزل فيه القوافل بعد العرج، وكان على مسافة ليلة من المدينة المنورة، وبين العرج والرويثة موضع باسم الأثابة أيضاً، اكتشفه النبي صلى الله عليه وسلم في رحلة حجة الوداع.
الروحاء: كان هذا الموضع جزءً من منطقة الفرع، وقد مرَّ به النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، ويقع من المسيجد قبل خمسة كيلو مترات، ويقع موضع عرق الظبية أيضاً قبل ثلاثة كيلو مترات منه.
السيالة: وهذا أكبر منزل للمسافرين إلى المدينة المنورة، وهو وادٍ، مرَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون خروجاً لغزوة بدر، يقع من المدينة المنورة على مسافة ٤٧/ كيلاً.
شارع حجة الوداع: مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم قدوماً إلى مكة المكرمة في حجة الوداع بالمواضع المذكورة أدناه:
ذو الحليفة: صلى هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات من العصر إلى الظهر، وأحرم فيه، وكان أول منزل بالمواضع المتوسطة من الروحاء والأثابة والعرج، والأبواء وعُسفان وسرف، ومرَّ بعد سرف بذي طوى، وبات فيه ليلة.
ذو طوى: شعب في شمال شرقي الحرم المكي في موضع الزهراء، وهنا بئر بهذا الاسم، وقد ضُمَّ الآن هذا الموضع إلى هذا البلد، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، ودخل مكة المكرمة من سطحها

المرتفع المملاة.

طريق الهجرة: لم يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة من الطريق المعروف، بل ذهب إليها من طريق جديد، وهو على ما يأتي: عُسفان، أمج، وقديد، والخرّار، ولقف ومجاح، والجداجد، والأجرد، وذو سلم، والعبابيد، والفاجّة، والعرج، وبطن رئم، وقباء، والمدينة المنورة.

امج: وادٍ يقع فيه خُلَيص.

الخرار: وادٍ قرب رابغ، يقع فيه الجحفة وغدير خم، وهو على ٢٥/ كيلاً من رابغ في الشرق.

لقف: موضع فيه آبار، وكانت مياهها عذبةً، وكانت الأرض صلبةً فلم تكن تصلح للزراعة.

أما بقية المواضع فهي شعاب هذا الطريق أو أوديته التي تخلو من سكانها، ورد ذكرها في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.

مواضع خاصة في طريق بدر:

العقيق، ذو الحليفة، أولات الجيش، ثُريان، مَلل، صُخيرات اليمام، السيَّالة، فجُّ الروحاء، الشنوكة، عَرق الظبية، المنصرف، النازية، ذفران، الأصافر، الدبة، بدر.

اولات الجيش: كانت أولات الجيش وادياً من الأودية قبل ذي الحليفة في طريق بدر، وهي إحدى مراحل النبي صلى الله عليه وسلم منصرفاً من غزوة بني المصطلق، من هنا جيَّش رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالاً في بحث عِقد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهنا نزلت آية التيمم.

ثربان: موضع في منطقة ملل بين ذات الجيش والسيالة، كان الماء فيه كثيراً، نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى بدر، وإليه ينتمي الشاعر عروة بن أذينة، وتقدَّر مسافته من المدينة المنورة حوالي ليلة واحدة. وبقية المواضع شعاب أو أودية ليس فيها عمران، ولا تحمل مكانةً تاريخيةً.

الشنوكة: كان موضعاً في وادي الصفراء.

بعض مواضع دينية أو تاريخية:

الغميصاء: موضع في البوادي قرب مكة المكرمة، يسكن فيه بنو جذيمة أبناء كنانة، الذين أوقع بهم سيدنا خالد بن الوليد رضي الله

عنه عام الفتح، فكرهه النبي صلى الله عليه وسلم.
ذو المجنة: سوق من أسواق العرب، كانت تقع في بحرة غرب مكة المكرمة.
الأثيل: موضع بين بدر ووادي الصفراء، قالت شاعرة:

يا راكباً إن الأثيلَ مَظنَّةٌ مِنْ صُبْحِ خَامِسةٍ وَأَنتَ مُوَفَّقُ

الكُدر: عين في منطقة بني سُليم، عند معدن الحجاز.
قرقرة الكدر: موضع قرب معدن الحجاز، يشتمل على الكدر.
معدن الحجاز: يُعرف بمهد الذهب، يقع على مسافة في شرقي المدينة المنورة.
نخلة: موضع على طريق الطائف في شمال مكة، حيث كان صنم العرب المشهور العُزّى، هذه نخلة اليمانية، وكان قربها نخلة الشامية، وتعرف الآن باسم الزيمة.
الغطاة: تُعرف بأرض خيبر، وقيل : حصن كان بخيبر.
شامة وطفيل: جبلان قرب مكة المكرمة.
غليص: موضع بين عُسفان وقضيمة، وهو في وادٍ يُعرف بوادي أمج، وتوجد أرض ذات نخل قريباً منه.
وادي حنين: ميدان واسع على طريق الطائف من شمال شرقي مكة المكرمة، في جوانبه جبال، وفي نهايته وادٍ، يعرف باسم الشرايع، قيل: وقعت هنا غزوة حنين، ويُعرف بوادي أوطاس، ويبعد وادي الشرايع من مكة المكرمة بـ ٢٨/ كيلاً.
الجعرانة: عين ماء على طريق الطائف في شمال مكة، قسم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم هوازن في غزوة حنين، وأحرم فيها للعمرة، تبعد من مكة المكرمة ٢٢/ كيلاً.
العرف: موضع في شمال غربي المدينة المنورة، كانت هنا زراعة لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو جزء من وادي العقيق.
الفرع: بلدة على مسافة ١٥٠/ كيلاً من المدينة المنورة، كثير العيون والنخل، وقيل : أول قرية وصلت منها التمور إلى سيدنا إسماعيل، وأمه هاجر.
حمراء الأسد: جبل في جنوب المدينة المنورة على مسافة ٢٠/ كيلاً، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مطاردة لقريش بعد غزوة أحد، حتى وصل إلى حمراء الأسد.

الحزورة: كانت سوقاً لمكة، أدخلت في الحرم في توسعته الجديدة، يجلس هنا سيدنا عمر رضي الله عنه مع أصحابه في العهد الجاهلي، وقصد من هنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم لقتله، وودع النبي صلى الله عليه وسلم مكة، قائماً فيه وقت الهجرة.

الصفراء: وادٍ قرب المدينة المنورة، كانت فيه زراعة النخيل وغيرها، وتستورد منه التمور إلى المدينة المنورة وينبوع ومكة المكرمة، ومرَّ به النبي صلى الله عليه وسلم مرات.

فدك: يعرف اليوم بالحائط، بلدة خضراء على مسافة يومين قرب المدينة المنورة، توجد هنا أشجار النخيل والفواكه الأخرى، صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل فدك، في عام ٧هـ، ونالها كهدية للصلح، فكانت ملكاً شخصياً له.

الربذة: بلدة من المدينة المنورة، كانت على مسافة ثلاثة أيام منها، وكانت قريباً من ذات عرق، فيها قبر سيدنا أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

بئر معونة: بئر في ديار بني سُليم على شارع مكة والمدينة.

قرد: بين مكة والمدينة على مسافة ٣٥ كيلاً في شمال شرقي المدينة، وقيل: على مسافة يوم. قصده المسلمون في غزوة.

المُريسيع: عين ماء قرب وادي قديد، على مسافة من الفرع، قصدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاقبة سكانها، فحاربها، فسجن رجالها، وتسمى هذه الغزوة بغزوة بني المصطلق أيضاً، وقعت حوادث خاصة في هذه الغزوة أمثال قصة الإفك ومسألة التيمم.

بواط: جبل قرب ينبوع، حيث تسكن قبيلة جهينة، يأتي ذكره في غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم.

العشيرة: موضع في منطقة ينبوع، ورد ذكره في غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الرجيع: عين ماء لقبيلة هُذيل في الحجاز، تقع من مكة المكرمة على مسافة ٦٥/ كيلاً في شمالها، وهي قرب عُسفان على الجهة الجنوبية، وتُعرف اليوم بأبي الوطية.

أوطاس: وادٍ على شارع الطائف قرب مكة المكرمة، حيث تسكنه بطون قبيلة هوازن، وقعت في هذا الوادي غزوة حنين، وفي هذه الغزوة قال صلى الله عليه وسلم: الآن حمي الوطيس، فصارت هذه الجملة

مثلاً باللغة العربية. ويُعرف بوادي حنين.

المغمس: موضع على شارع الطائف من مكة قريباً من عرفات في شماله.

تبالة: بلدة على مسافة ٢٠٠/ كم في جنوب الطائف، ومن نوادرها: أن الحجاج حينما صار حاكماً عليها واقترب منها، سأل رجلاً: أين تبالة ؟ فقال مشيراً إليها: وراء هذه الأكمة، غضب الحجاج من سماع هذا الجواب، وقال: أنا لا أقبل ولاية هذه القرية الصغيرة التي اختفت وراء هذه الأكمة. فمنذ ذلك الحين إذا رأى العرب شيئاً متواضعاً قالوا في المثل: أهون من تبالة على الحجاج.

اذاخر: وادٍ من أودية المدينة المنورة، ويُعرف جبل في شمال مكة المكرمة.

كراع الغميم: وادٍ على مسافة ١٦/ كيلاً في عُسفان.

الفخ: موضع في شمال غربي مكة المكرمة، حيث تسكنه القوافل، ويُعرف اليوم بالزاهر.[1]

---

[1] بفضل الله تعالى وتوفيقه قد تمّ نقل هذا الكتاب كاملاً إلى العربية بعد صلاة العصر يوم الثلاثاء في ٦/ من رجب سنة ١٤٣٨هـ الموافق ٥/ أبريل عام ٢٠١٧م في مكتب البعث الإسلامي. نسأل الله تعالى التوفيق والسداد. وهو على كل شيئ قدير.(محمد فرمان الندوي)

ثبت المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم.
٢. صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة.
٣. صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، طبع دار الجليل بيروت، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٤. آثار المدينة المنورة للشيخ عبد القدوس الأنصاري، طبع المكتبة السلفية، المدينة المنورة، سنة الطباعة ١٣٩٣هـ.
٥. تاريخ مكة المكرمة : ٨٩ – ٧٩، إعداد جماعة من الجماعة، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى رجب ١٤٢٣هـ – سبتمبر ٢٠٠٢ م.
٦. دائرة المعارف الإسلامية (الأردية)، دانش كاه، بنجاب.
٧. أرض القرآن للشيخ السيد سليمان الندوي، طبع دار المصنفين شبلي أكيدمي أعظم كره، ديسمبر ٢٠٠٣م.
٨. رحلات حمد الجاسر (للبحث عن التراث)، طبع دار اليمامة للبحث والترجمة، مصر، الطبعة الأولى ١٣٠٠هـ.
٩. أطلس التاريخ الإسلامي للشيخ إبراهيم ذكي خورشيد، طبع دائرة المعارف الإسلامية، (البريطانية).
١٠. الجغرافية للبلاد العربية للشيخ بسّام كرد على، طبع مكتبة العلوم وآداب للطباعة والنشر، المطبعة العصرية دمشق ١٣٦٥هـ.
١١. بلوغ الأرب في أحوال العرب للشيخ محمود شكري الآلوسي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، سنة الطبعة ١٩٩٤م.
١٢. تاريخ ابن خلدون للمؤرخ ابن خلدون، طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣/ ١٩٩٢م.
١٣. تاريخ العرب للشيخ محمود سليمان العابدي، طبع دار الطبعة والنشر الفلسطينية، تاريخ النشر ١٩٣٨م.
١٤. التفسير الماجدي للشيخ عبد الماجد الدريابادي (٧ مجلدات)، طبع المجمع الإسلامي العلمي لكناؤ، عام ٢٠١٥م.
١٥. التقويم القطري للشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، مدينة الفور في قطر.
١٦. حجة الوداع وعمرات النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، طبع مطبعة ندوة العلماء لكناؤ الهند ١٣٩٠هـ.

١٧.دواوين الشعراء: شعراء العرب
١٨.ديوان الحماسة للشاعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، طبع مؤسسة الصحافة والنشر لكناؤ الهند.
١٩.الرحلة الحجازية للشيخ محمد لبيب البتنوي، طبع بمطبعة الجمالية بمصر، الطبعة الثانية ١٣٢٩هـ.
٢٠.الرسول القائد اللواء الركن محمد شيت الخطاب، طبع دار النهضة بغداد ١٩٦٠م.
٢١.سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب لأبي الفور محمد أمين البغدادي السويدي، دار الكتب العلمية ١٩٩٥م.
٢٢.سفر نامه نجد والأحساء ميجر كالفرد بالكريف.
٢٣.سيرة ابن هشام للمؤرخ أبي محمد عبد الملك بن هشام الحميدي، المكتبة العلمية بيروت لبنان.
٢٤.السيرة النبوية للعلامة السيد أبي الحسن على الحسني الندوي، طبع المجمع الإسلامي العلمي لكناؤ الهند، الطبعة الثانية عشرة.
٢٥.سيرة النبي للعلامة السيد سليمان الندوي، طبع دار المصنفين شبلي أكيدمي أعظم كره ٢٠١١م.
٢٦.شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للإمام أبي الطيب تقي الدين الفاسي المكي والمالكي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢١هـ.
٢٧.صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من آثار للدكتور محمد البليهد، مطبعة السنة المحمدية بمصر.
٢٨.صفة جزيرة العرب للشيخ محمد الحسن الهمداني، طبع مكتبة الإرشاد صنعاء، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٢٩.عمدة الأخبار في مدينة المختار للشيخ أحمد بن عبد الله العباسي، مطبعة الشيمي، الأسكندرية ١٤٣٠هـ.
٣٠.فجر الإسلام للدكتور أحمد أمين، طبع دار الكتاب العربي بيروت لبنان، الطبعة العاشرة ١٩٦٩م.
٣١.فقه الزكاة للعلامة يوسف القرضاوي، طبع مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.
٣٢.قاموس الأمكنة والبقاع للشيخ على بهجت المصري، بمطبعة التقدم بشارع محمد على بمصر، الطبعة الأولى ١٩٠٦م.
٣٣.القاموس المحيط للغوي مجد الدين الفيروز آبادي، مكتبة إمدادية سهارنفور، الهند، الطبعة السادسة.

٣٤.قلب جزيرة العرب للمؤرخ فؤاد حمزة، طبع مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٩م، الطبعة الثانية.
٣٥.كتاب الأزمنة والأمكنة للمؤرخ علي المرزوقي الأصفهاني، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف الهند حيدر آباد، الطبعة الأولى ١٣٣٢هـ.
٣٦.كتاب المحبر، نشر وزارة الأعلام، دولة فلسطين.
٣٧.المرأة المؤمنة في الكرة الأرضية كرنيليوس قنديك الأمير كاني.
٣٨.معجم البلدان للمؤرخ ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، طبع دار صادر بيروت لبنان، الطبعة الثالثة.
٣٩.المعلقات السبع شعراء المعلقات، مكتبة الكويت الوطنية ١٤٢٤هـ.
٤٠.المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للمؤرخ جواد علي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، الطبعة الثانية ١٩٩٣م.
٤١.مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول للشيخ أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العلمي بيروت لبنان.
٤٢.المملكة العربية السعودية للشيخ فهد خالد السديري، طبع دار الكتب العربي القاهرة – ١٩٧٠م.
٤٣.من نفحات الحرم للأديب على الطنطاوي، طبع دار الفكر بدمشق الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م.
٤٤.مهد العرب للدكتور عبد الوهاب عزام، دارالمعارف للطباعة والنشر، مصر، عام ١٩٤٦م.
٤٥.الوسيط في الأدب العربي وتاريخه للشيخ أحمد الاسكندري ومصطفى عناني بك، طبع دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، طبعة ١٩١٩م.

المجلات والجرائد

١. مجلة حضارة الإسلام، دمشق.
٢. مجلة العربي وزارة الأعلام، الكويت – الكويت.
٣. مجلة المسلمون سعيد رمضان – القاهرة – القاهرة.
٤. الوطن العربي للأستاذ أمين سعيد.

المصادر الأجنبية

1. Atlas of the Islam
2. Edition 15 – Encyclopeadia Britanni –publisher – vol

32 Jorge Cauz- Encyclopaedia Britannaica
3. History of the arab P.K Hitti London- Pubishav Macmillan Palgrave – 2002 sep
4. Stateman year book 1960 London
5. The Middle East Europa Publication London

أطراف الآيات القرآنية

وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخرَ بالوَادِ (الفجر: ٩): ٢٤
لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ (سبأ: ١٥ — ١٦): ٢٧
وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ (الأحقاف: ٢١) ٣٧
وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (النحل: ١٦) ٣٧
وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ (الأعراف: ١٣٠) ٥١
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً. وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً (النبأ: ١٠ — ١١) ٥٢
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ (الإسراء: ١٢) ٥٢
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ. وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (الليل: ١ — ٢) ٥٢
رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ (المعارج: ٤٠) ٥٣
وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ (البقرة: ٢٦٥) ٥٧
وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (الفجر: ٩) ٦٢
وَهُزِّي إِلَيكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِياً (مريم: ٢٥) ٦٤
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (فاطر: ١٣) ٦٥
فَإِذاً لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً (النساء: ٥٣) ٦٥
وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً (النساء: ٤٩) ٦٥
فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ (الواقعة: ٢٨ -٣٢) ٦٦
كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (الصافات: ٤٩) ٧٣
فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (ص: ٣٦) ٧٥
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . (الفجر ٦ — ٨) ٨١
أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ. وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ. (الشعراء: ١٢٨ — ١٣٠) ٨١
وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ (الأحقاف: ٢١) ٨١
وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ. (الحاقة: ٦ — ٧) ٨٢
فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَىٰ إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ (الأحقاف: ٢٥) ٨٢
فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ . (الحاقة: ٧ — ٨) : ٨٢
وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَىٰ (النجم: ٥٠) ص: ٨٢
وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ (الأعراف: ٧٤): ٨٣
وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخرَ بِالوَادِ (الفجر: ٩) ٨٣
وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً (الأعراف: ٧٤) ٨٤
وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ (الشعراء: ١٤٩) ٨٤
وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ (الأعراف: ٧٣) ٨٤
يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا (المائدة: ٢٢) ٨٥
قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ (المائدة: ٢٦) ص: ٨٦
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً، (سبأ: ١٨) ٨٧
جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ، كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (سبـأ: ١٥): ٨٨
فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ، (سبأ: ١٦ — ١٧) ٨٨
إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (الصافات: ٩٩) ٨٩

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ (إبراهيم: ٣٧) ٨٩
وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ، مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، (الأعراف: ٨٥) ٩٠
وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ (الإسراء: ٣١) ١١٤
أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ (التوبة: ٩٧) ١١٥
وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً (الأنفال: ٣٥) ١١٨
فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِ (الكهف: ١٩) ١٣٩
قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ. (البروج: ٤ — ٨): ١٥٢
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. (الفيل: ١ — ٥) ١٥٣
إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ. (البقرة: ١٥٨): ١٦١
لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ، (التوبة: ١٠٨) ١٨٣
وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (الزخرف: ٣١) ١٨٦
أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (النجم: ١٩ — ٢٠): ١٨٧
وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (الحجر: ٨٠) ١٩٠
أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (النجم: ١٩ — ٢٠): ١٩٣

أطراف الأحاديث النبوية

تخرجكم الروم منها كفراً كفراً. ٢٤
اسلكوا ذات اليمين بين ظهري.: ٢٦
نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور. ٥٥ — ٧٥
حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء، يتبرضه الناس تبرضاً.: ٥٩
إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المؤمن.: ٦٥
من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر.: ٦٥
إن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم.: ٩٢
إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء.: ١١٤
أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي.: ١٢٤
أنا النبي لا كذب.: ١٢٥
إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه، فاطلبوه في أشعار العرب. : ١٢٧
يا عباد الله! تداووا ، فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له دواءً. : ١٣٧
أنت رفيق والطبيب الله. : ١٣٧
سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم. : ١٣٨
إن خيّاطاً دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه. : ١٣٩
أحد جبل يحبنا ونحبه، وهو على باب من أبواب المدينة. ١٧٣ — ١٧٠
إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها. : ١٧٢
من خرج حتى يأتي هذا المسجد، يعني مسجد قباء. : ١٨٣
هذا جبل يحبنا ونحبه، على باب من أبواب الجنة. : ١٨٤

أطراف الأشعار

دار سعدى بشحر عمان	قد كساها البلى الملوان	ص: ٣٠
ولقد ضللت أباك يطلب دارماً	كضلال ملتمس طريق وبار	ص: ٣٦
وقد يعقل القلُّ الفتى دون همه	وقد كان لولا القلُّ طلاع أنجدا	ص: ٤٠
نبي يرى ما لا يرون وذكره	أغار لعمري في البلاد وأنجدا	ص: ٤٠
قفا ودّعا نجداً ومن حلَّ بالحمى	وقل لنجد عندنا أن يودعا	ص: ٤١
لا حبذا أنت يا صنعاء من بلد	ولا شعوب هوى مني ولا نقم	ص: ٤١
ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد	لقد زادني مسراك وجداً على وجد	ص: ٤٢
تمتع من شميم عرار نجد	فما بعد العشية من عرار	ص: ٤٢
سلي البانة الغيناء بالأجرع الذي	به البان هل حييت أطلال دارك	ص: ٤٢
ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد	لقد زادني مسراك وجداً على وجد	ص: ٤٣
فما نطفة من ماء مزن تقاذفت	به جنبتا الجودي والليل دامس	ص: ٤٤
وأبصر من زرقاء جو لأنني	متى نظرت عيناي ساواهما علمي	ص: ٤٥
إذا قالت حذام فصدقوها	فإن القول ما قالت حذام	ص: ٤٥
ذكرتك والخطي يخطر بيننا	وقد نهلت منا المثقفة السمر	ص: ٤٧
إن الرسول لسيف يستضاء به	مهند من سيوف الله مسلول	ص: ٤٨
ترى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه	كما زان متن الهندواني رونق	ص: ٤٨
إذا شالت الجوزاء والنجم طالع	فكل مفازات الفرات معابر	ص: ٥٣
ذريني ما أممت بنات نعش	من الطيف الذي ينتاب ليلاً	ص: ٥٣
والمطعمون غذا هبت شآمية	وباكر الحي من صردها صرم	ص: ٥٤
إذا اغبرَّ آفاق السماء وكشفت	بيوتاً وراء الحي نكباء حرجف	ص: ٥٤
فما نطفة من ماء مزن تقاذفت	به جنبتا الجودي، والليل دامس	ص: ٥٤
هجان الحي كالذهب المصفى	صبيحة ديمة يجنيه جان	ص: ٥٨
وقد أغتدي والطير في وكناتها	لغيث من الوسمي رائده خالي	ص: ٥٨
جادت عليه كل بكر حرة	فتركن كل قرارة كالدرهم	ص: ٥٨
اقرأ على الوشل السلام وقل له	كل المشارب مذ هجرت ذميم	ص: ٥٨
فلما نزلنا منزلاً طلّه الندى	أنيقاً وبستاناً من النور حالياً	ص: ٥٩
ألا يا حبذا نفحات نجد	وريّا روضه بعد القطار	ص: ٥٩
حمال ألوية هبّاط أودية	شهاد أندية للجيش جرار	ص: ٦٠
حللت بهذا حلة ثم أصبحت	بأخرى فطاب الواديان كلاهما	ص: ٦٠
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة	أم أومض البرق في الظلماء من إضم	ص: ٦١
بلى إن بالجزع الذي ينبت الغضا	إلي وإن لم ألقه لمداويا	ص: ٦٦
تمتع من شميم عرار نجد	فما بعد العشية من عرار	ص: ٦٦
يبارين الأعنة مصعدات	على أكتافها الأسل الظماء	ص: ٦٦
أهزُّ به في ندوة الحي عطفه	كما هزَّ عطفي بالهجان الأوارك	ص: ٦٦
كأني غداة البين يوم تحمَّلوا	لدى سمرات الحي ناقف حنظل	ص: ٦٦
يمنينا حتى ترف قلوبنا	رفيف الخزامى بات طل يجودها	ص: ٦٧

لـقـد عظم البعير بغير لب فـلم يستغن بـالعظم البعير ص: ٦٩
وإني لمهد من ثنائي فقاصد به لابن عم الصدق شمس بن مالك ص: ٦٩
إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهة الـرجل الحزين ص: ٧٠
أرار الله نقيك في السلامي على من بالحنـين تعولينا ص: ٧٠
أبيت اللعن، إن سكاب علق نفيـس لا تعـار ولا تباع ص: ٧٢
تلوم على أن أمنح الورد لقمة وما تستوي، والورد ساعة تفزع ص: ٧٢
ما كل بيضاء شحمة وما كل سوداء تمرة ص: ٧٢
وأدنيتني حتى إذا ما ملكتني بقول يحل العصم سهل الأباطح ص: ٧٤
حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي فأنت بمرأى من سعاد ومسمع ص: ٧٤
أقول وقد ناحت بقربي حمامة أيا جارتا، لو تشعرين بحالي ص: ٧٤
إذا كان الغراب دليل قوم سيهديهم طريق الهالكين ص: ٧٤
ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد لقد زادني مسراك وجداً على وجد ص: ٧٥
فلما أقرته اللصاب تنفست شمال لأعلى مائه وهو قارس ص: ٧٦
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل ص: ٧٦
سلي البانة الغيناء بالأجرع الذي به البان هل حييت أطلال دارك ص: ٧٧
أهلكن طسما وبعده وغذيّ بهم وذا جدون ص: ٨٣
ألم تر أن الجون أصبح راسياً تطيف به الأيام ما يتأيس ص: ٨٥
إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام ص: ٨٥
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس، ولم يسمر بمكة سامر ص: ٩٢
لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهاناً ص: ١٠٨
وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت، وإن ترشد غزية أرشد ص: ١٠٨
لك المرباع فينا والصفايا وحكمك في النشيطة والفضول ص: ١٠٨
وأحياناً على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا ص: ١٠٩
لحا الله صعلوكا إذا جنّ ليله مصافي المشاش آلفاً كل مجزر ص: ١١٠
قليل التشكي للمهم يصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك ص: ١١٠
وأني لا يهر الضيف كلبي ولا جاري يبيت خبيث نفس ص: ١١١
أماوي إن المال غاد ورائح ولا يبقى من المال إلا الأحاديث والذكر ص: ١١١
إنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى ص: ١١١
إذا المهرة الشقراء أدرك ظهرها فشبّ الإله الحرب بين القبائل ص: ١١٢
فإذا سكرت فإنني رب الخورنق والسدير ص: ١١٢
وإذا هلكت فلا تريدي عاجزاً غساً ولا برماً ولا معزالاً ص: ١١٣
ولو لا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عُودي ص: ١١٣
أكلت حنيفة ربهم عام التقحم والمجاعة ص: ١١٩
ففض الطرف، إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا ص: ١٢٧
قوم هم الأنف، والأذناب غيرهم ومن يُسوّي بأنف الناقة الذنبا ص: ١٢٧
تشب لمقرورين يصطليانها ويات على النار الندى والمحلق ص: ١٢٧
وآليت لا أرثي لها من كلالة ولا من وحى، حتى تلاقي محمداً ص: ١٣١

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها ص: ١٣٢
وأحسن منك لم تر قط عيني وأجمل منك لم تلد النساء ص: ١٣٣
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء ص: ١٣٣
ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا ص: ١٤٥
فإذا انتشيت فإنني رب الخورنق والسدير ص: ١٤٩
إن قتلتنا يا عمرو أعيت على الأعداء قبلك أن تلينا ص: ١٥٠
فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع ص: ١٥٠
لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الأول ص: ١٥١
كأن ثبيراً في عرانين وبله كبير أناس في بجاد مزمل ص: ١٦٦
طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا، ما دعا لله داعٍ ص: ١٧١
تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف ص: ١٨٧
إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني بتيماء، تيماء اليهود غريب ص: ١٩٠
يا راكباً إن الأثيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق ص: ١٩٥

فهرس الكتاب

كلمة الناشر ٣
كلمة المؤلف للطبعة العربية ٦
التقديم ٨
المقدمة بقلم: الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الندوي ١٠
مقدمة الطبعة الأولى ١٤

الباب الأول
جزيرة العرب
مساحتها، وعمرانها وطبيعتها

شبه جزيرة العرب ١٧
مساحتها وعمرانها ١٨
طبيعة جزيرة العرب ٢٠

الباب الثاني
جبال جزيرة العرب الساحلية وميادينها

جبال السراة ٢٢
جبال الحجاز ٢٣
الحرات ٢٣
مدين وثمود ٢٤
مدن جبلية في الحجاز ٢٥
تهامة ٢٥
أمكنة تهامة ومدنها الشهيرة
عسير واليمن ٢٧
حضرموت ٢٩
سواحل شحر ومهرة وظفار ٣٠
جبال عمان ٣١
سواحل عمان ٣٢
الساحل الشرقي من جزيرة العرب ٣٣

الباب الثالث
وسط جزيرة العرب

الربع الخالي ٣٤
النفوذ الكبرى ٣٦
الدهناء ٣٧
بادية الشام ٣٧
نجد ٤٠

سواحل المنطقة الشرقية
قطر ٤٦
الأحساء ٤٧
البحرين ٤٨
الكويت ٤٩
الباب الرابع
فصول جزيرة العرب وأمطارها
قلة الماء في جزيرة العرب ٥١
فصول جزيرة العرب ٥٢
أمطار جزيرة العرب ٥٥
مطر الشتاء ٥٦
مطر الصيف ٥٧
المطر عند العرب ٥٧
الباب الخامس
أودية جزيرة العرب ونباتاتها
الأودية ٦٠
وادي الرمة ٦٠
وادي الدواسر ٦١
وادي حضرموت ٦١
وادي السرحان ٦١
وادي نجران ٦١
وادي إخم (حمص) ٦١
وادي العقيق ٦٢
وادي القرى ٦٢
الماء ٦٢
النباتات ٦٣
التمور ٦٣
نباتات أخرى مهمة في جزيرة العرب ٦٥
الباب السادس
حيوانات جزيرة العرب ورياحها
الإبل ٦٨
الخيل ٧٠
حيوانات أخرى ٧٢
رياح جزيرة العرب ٧٥
جوانب ثقافية من جزيرة العرب ٧٦

الباب السابع

أمم جزيرة العرب وقبائلها

الأجداد ٧٩

العصر الأول إلى ولادة المسيح

العرب البائدة (وهم بنو آرام)

عاد ٨١
بعد عاد ٨٢
عاد الثانية ٨٢
معين ٨٣
ثمود ٨٣
طسم وجديس ٨٤
العمالقة ٨٥
بعض ذريات أخرى ٨٦
بنو أرفخشذ ٨٦
بنو قحطان ٨٦
سبأ ٨٧
بنو إبراهيم ٨٨
قوم لوط ٨٩
مدين ٩٠
أصحاب الأيكة وأبناء ددان ٩٠
أدوم ٩٠
بنو إسرائيل ٩١
بنو إسماعيل ٩٢

العصران الثاني والثالث

أمم جزيرة العرب وقبائلها

بنو قحطان ٩٤
حمير بن سبأ ٩٤
كهلان بن سبأ ٩٥
بنو عدنان ٩٦
ربيعة ٩٦
مضر ٩٧
قيس ٩٧
إلياس ٩٨
كنانة وقريش ٩٩
قريش البطاح ٩٩

مرة ١٠٠
كلاب ١٠٠
قصي ١٠٠
عبد مناف ١٠١
عبد شمس ١٠١
أمية ١٠١
هاشم ١٠١
عبد المطلب ١٠٢
أبو طالب ١٠٣

الباب الثامن
حضارة جزيرة العرب ومدنيتها

عرب البادية ١٠٦
حياة العرب ١٠٧
مروءة العرب ١٠٩
نيل السمعة ١١٠
السخاء ١١٠
الشجاعة والولع بالحرب ١١١
المرأة ١١٣
العبيد والإماء ١١٥

ديانات العرب

النصرانية ١١٥
اليهودية ١١٥
المجوسية ١١٦
الصائبة ١١٦
الوثنية ١١٧
الحياة الاقتصادية ١١٩
أسواق العرب ١١٩
عكاظ ١٢٠
الكهانة ١٢١
الفأل ١٢١
الكياسة والعقل ١٢٢
القيافة ١٢٢
عرب الحضارة ١٢٢

الباب التاسع
ثقافة جزيرة العرب وأدبها

معرفة اللغة ١٢٥
الشعر ١٢٦
أقسام الشعراء ١٢٨
الشعراء الصعاليك ١٢٨
أهم موضوعات الشعر الجاهلي ١٢٨
أسلوب القصائد ١٢٩
المعلقات السبع ١٢٩
أشهر الشعراء في العصر الجاهلي ١٢٩
امرؤ القيس ١٢٩
النابغة الذبياني ١٣٠
زهير بن أبي سلمى ١٣٠
الأعشى بن ميمون ١٣١
عنترة بن شداد العبسي ١٣١
عمرو بن كلثوم ١٣١
طرفة بن العبد ١٣٢
لبيد بن ربيعة ١٣٢
الخنساء ١٣٢
حسان بن ثابت الأنصاري ١٣٢
كعب بن زهير ١٣٣

النثر الأدبي

الخطابة ١٣٤
الوصايا والحكم والأسجاع ١٣٤
الأمثال ١٣٤
القصص ١٣٤

علوم العرب

علم الهيئة ١٣٦
علم الطب ١٣٦
الحارث بن كلدة ١٣٧
ابن أبي رمثة التميمي ١٣٧
ابن الجبر الكناني ١٣٧
خالد بن يزيد ١٣٧

الباب العاشر
أغذية جزيرة العرب وموازينها

أثر قلة المياه ١٣٨
الغذاء ١٣٨
العملات النقدية ١٣٩
موازين الكيل والوزن ١٤١
طرق الاقتصاد ١٤٢
التجارة ١٤٢
الزراعة ١٤٥

الباب الحادي عشر
حكومات جزيرة العرب

البطراء ١٤٧
تدمر ١٤٨
كندة ١٤٨
ملوك الحيرة ١٤٩
الغساسنة ١٥٠
حمير وتبع ١٥١

الباب الثاني عشر
مكة المكرمة

المسجد الحرام ١٥٦
الكعبة المقدسة ١٦٠
زمزم ١٦١
المسعى ١٦١
دار الندوة ١٦١
جبل قعيقعان ١٦٢
جبل أبي قبيس ١٦٢
الحجون ١٦٢
كُداء ١٦٢
كُدي ١٦٢
الصفا ١٦٢
المروة ١٦٢
ذو طوى ١٦٢
جبل عمر (جبل النوبي) ١٦٣
الغزة ١٦٣
سوق الليل وشعب عامر ١٦٣

شعب أبي طالب ١٦٣
المولد النبوي ١٦٣
مولد علي بن أبي طالب ١٦٣
دار خديجة ومولد فاطمة ١٦٣
دار أبي بكر ١٦٣
مولد حمزة ١٦٤
مولد عمر ١٦٤
دار العباس بن عبد المطلب ١٦٤
بنو مخزوم ١٦٤
دار الأرقم ١٦٤
بنو جمح ١٦٤
بنو سهم ١٦٤
بنو شيبة ١٦٤
بنو أمية ١٦٥
جبل ثور ١٦٥
جبل النور وحراء ١٦٥
منى ١٦٥
عرفات ١٦٦
المزدلفة ١٦٦
بطن محسر ١٦٦
جبل ثبير ١٦٦
التنعيم ١٦٦
سَرِف ١٦٦
الحديبية جبل الشميسي ١٦٧
مرّ الظهران ١٦٧
قرن المنازل ١٦٧
يلملم ١٦٨
ذات عرق ١٦٨

الباب الثالث عشر

المدينة المنورة

يثرب ١٦٩
جبل أحد، وسلع وعير ١٧٠
المسجد النبوي ١٧٢
روضة الجنة ١٧٧
الحجرة النبوية الشريفة ١٧٨

الصفة النبوية، ودكة الآغوات ١٧٩
النقا وحاجر ١٨٠
مقبرة البقيع ١٨٠
سوار المدينة ١٨٠
سقيفة بني ساعدة ١٨١
المناخة ١٨١
الآبار المشهورة والماء ١٨١
شجر النخيل ١٨٢
السكك الحديدية للقطارات ١٨٢

آثار المدينة التاريخية وضواحيها

قباء ١٨٣
بئر أريس ١٨٣
مسجد الضرار ١٨٣
العوالي وسنح ١٨٤
منطقة أحد ١٨٤
الغابة ١٨٤
زغابة ١٨٥
وادي العقيق ١٨٥
ذو الحليفة ١٨٥

الباب الرابع عشر

بعض أهم الأمكنة في السيرة النبوية

الطائف ١٨٦
وادي وج ١٨٦
مَثناة ١٨٧
جدة ١٨٧
ينبوع ١٨٨
رابغ ١٨٩
الجحفة ١٨٩
خيبر ١٨٩
الهدى ١٨٩
الوجه ١٨٩
الحناكية ١٨٩
العلاء ١٩٠
تبوك ١٩٠
الحجر، مداين صالح ١٩٠

تيماء ١٩٠
مهد الذهب معدن الحجاز ١٩٠
بدر ١٩٠
مستورة – ودان ١٩١
الأبواء ١٩١

الباب الخامس عشر

شوارع بين مكة والمدينة وأهم مواضعها

شارع من طريق جدة نحو المدينة المنورة: ١٩٢
جدة ١٩٢
ذهبان ١٩٢
تول ١٩٢
قضيمة ١٩٢
الواسطة ١٩٢
الحمراء ١٩٢
مسيجد (المنصرف) ١٩٢
شارع مباشر ١٩٢
عُسفان ١٩٣
قديد ١٩٣
السُقيا ١٩٣
العرج ١٩٣
الرُوَيثة ١٩٣
الروحاء ١٩٣
السيالة ١٩٣
شارع حجة الوداع ١٩٣
ذو الحُليفة ١٩٣
ذو طُوَى ١٩٣
طريق الهجرة ١٩٣
أمج ١٩٤
الخرّار ١٩٤
لقف ١٩٤

مواضع خاصة في طريق بدر

أولات الجيش ١٩٤
ثُربان ١٩٤
الشنوكة ١٩٤

بعض مواضع دينية أو تاريخية

الغميصاء ١٩٤
ذو المجنة ١٩٥

الأثيل ١٩٥
الكدر ١٩٥
قرقرة الكدر ١٩٥
معدن الحجاز ١٩٥
نخلة ١٩٥
النطاة ١٩٥
شامة وطفيل ١٩٥
خُلَيص ١٩٥
وادي حنين ١٩٥
الجعرانة ١٩٥
الجرف ١٩٥
الفرع ١٩٥
حمراء الأسد ١٩٦
الحزورة ١٩٦
الصفراء ١٩٦
فدك ١٩٦
الربذة ١٩٦
بئر معونة ١٩٦
قرد ١٩٦
المريسيع ١٩٦
بواط ١٩٦
العشيرة ١٩٦
الرجيع ١٩٦
أوطاس ١٩٦
المغمس ١٩٧
تبالة ١٩٧
أذاخر ١٩٧
كراع الغميم ١٩٧
الفخ ١٩٧
ثبت المصادر والمراجع ١٩٨
أطراف الآيات القرآنية ٢٠٢
أطراف الأحاديث النبوية ٢٠٣
أطراف الأشعار ٢٠٤
فهرس الكتاب ٢٠٧

المدينة المنورة
قباء
ذو الحليفة (أبار علي)
هدل
الروحاء
الرويثة
المنصرف
ذو مسلم
الجداجد
بطن ذي كثير
مرجح مجاج
مولجة حجاج
مولجة لقف
ثنية المرة
بدر
رابغ الرمل
الجحفة
رابغ البحر
كلية
خيمة أم معبد
قديد
المشلل
خليص
أملج
كديد
غدير الأشطاط
ثنية الغزال
عسفان
بطن مر
سرف
مكة المكرمة
الحديبية
جدة
جبل ثور
البحر الأحمر
طريق هجرة الرسول ﷺ
الطريق الذي سلكه الرسول ﷺ
طريق القوافل آنذاك

محافظة الجموم
محافظة جدة
محافظة الطائف
محافظة الليث
البحر الأحمر
مركز بطحرة
مركز مكة المكرمة
مركز البيضاء
مركز الشعيبة
مركز ام الراكبة
مركز دفاق
مركز الزيمة
مركز جرانة